في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند

«منذ أواخر القرن السادس الهجرى/ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى حتى منتصف القرن العاشر الهجرى / أوائل القرن السادس عشر الميلادى»



دكتورة

إيناس حمدي سرور

قسم التاريخ

شعبة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

في تاريخ وحضارة الإسلام في الهند

«منذ أواخر القرن السادس الهجري / أوائل القرن الثالث عشر الميلادي حتى منتصف القرن العاشر الهجري / أوائل القرن السادس عشر الميلادي»

دكتورة

إيناس حمدي سرور

قسم التاريخ
شعبة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

٢٠١٣

دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع
ت: ٤٨٧٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد الصفحات: 282

المــؤلــف: د. إيناس حمدي سرور

عنوان الكتاب: في تاريخ حضارة الإسلام في الهند

رقـم الإيـداع:

: ISBN

الإدارة: ٣٦ ش سوتير - الأزريطة - أمام كلية الحقوق - جامعة الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

تليفون: 00203 48 70 163

فاكس: 00203 48 30 454

محمول: 002 0122 1666 913

الفرع: ٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - الإسكندرية

Email: darelmaarefa@gmail.com

d_maarefa@yahoo.com

Web site: www.darelmaarefa.com

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك
أنت العليم الحكيم﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة "آية ٣٢"

المقدمة التمهيدية

أ - المقدمة والدراسة التحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث .

يعد التاريخ السياسي والحضاري لبلاد الهند بصفة عامة، لاسيما الحياة الثقافية والعلمية بها في العصر الإسلامي وتحديداً في الفترة الزمنية موضوع الدراسة (أواخر القرن السادس الهجري/أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حتى منتصف القرن العاشر الهجري/أوائل القرن السادس عشر الميلادي) من الموضوعات بالغة الأهمية في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية، والتي هي في أمس الحاجة إلى مزيد من التعريف بها وتسليط مزيد من الضوء على جنباتها .

فبلاد الهند بما حظيت به من إمكانات طبيعية وبشرية هائلة، إضافة إلى ماتوفر لها من عوامل سياسية أحاطت بها، أضحت ميدانيه جديداً من ميادين الجهاد في سبيل نشر الدين والحضارة الإسلامية، ورغم ما احتلته هذه البلاد من مكانة بارزة في التاريخ والحضارة الإسلامية بصفة عامة، إلا أن معظم الكتابات التي تناولت تاريخ بلاد الهند منذ الفتح الإسلامي لها وحتى الفترة الزمنية موضوع الدراسة قد انصب تركيزها على الجانب السياسي والعسكري من هذا التاريخ، إضافة إلى ما حظي به التاريخ الاقتصادي لبلاد الهند من اهتمام في الدراسات والكتابات المتعلقة بتجارة المحيط الهندي في العصور الوسطى، مما يعتبر إجحافاً لأحد أبرز جوانب التاريخ الإسلامي لبلاد الهند، ألا وهو التاريخ الثقافي والعلمي لهذه البلاد في تلك الفترة التي تكاد تخلو مكتبة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية من دراسة علمية مستفيضة ومتكاملة عنها .

ومن هذا المنطلق جاء سبب اختيار هذا الموضوع محوراً لهذه الدراسة التي تأمل الباحثة بواسطتها من أن تتمكن من تسليط مزيد من الضوء على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في تلك الفترة وأن تشغل حيزاً من فراغ مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية منه.

وبناءً على سبب الدراسة وأهدافها، قسمتها الباحثة إلى مقدمة، ثم بابين يشمل كل منهما على ثلاثة فصول، إلى جانب الخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

وتنقسم المقدمة إلى شقين، يتناول الشق الأول منهما أهمية الموضوع وسبب اختياره، ثم دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع التي استعانت بها الباحثة لإعداد هذه الدراسة، أما الشق الثاني فيأتي كمدخل يتناول عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، وهي مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي كان لها دور كبير في تشكيل طبيعية الحياة الثقافية والعلمية لبلاد الهند ومراحل تطورها انتهاءً إلى الفترة الزمنية موضوع الدراسة.

وجاء **الباب الأول** من الدراسة بعنوان «الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي» (٥٩٩-٩٣٢ هـ)/(١٢٠٢-١٥٢٦هـ).

ويشتمل على ثلاثة فصول :-

الفصل الأول بعنوان: «الإسلام وأثره على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند»، وفيه تناولت الباحثة الفتوحات العربية والاسلامية وأثرها في نشر اللغتين العربية والفارسية في الهندوستان، وكيف استمرت المكانة السامية للغة العربية رغم غلبة اللغة الفارسية تدريجياً على مختلف مجالات الحياة في بلاد الهند، ثم يتناول هذا الفصل علاقة سلاطين دهلي بالخلافة العباسية سواء في بغداد (١٣٢-٦٥٦ هـ)/(٧٤٩-١٢٥٨م) أو في القاهرة (٦٥٩-٩٢٣هـ) /(١٢٦١-١٥١٧هـ) فيما بعد، وأثر ذلك على الحياة الثقافية والعلمية بها، ثم تتطرق الباحثة في هذا الجزء إلى الفكر الشيعي الوافد على بلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها وجهود سلاطين الهند في درء خطرهم ومحاربة فكرهم، وأخيرا يتناول هذا الفصل أثر الإسلام على العقيدة الهندوسية، وكيف استطاع الإسلام أن يفرض أفكاره ومبادئه على الفكر الوثني للهندوس ويترك آثاراً ملموسة على عقائدهم وأفكارهم.

أما الفصل الثاني فبعنوان «العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في عصر سلطنة دهلي»، وقد تناول تراجم لعدد كبير من علماء الهند والوافدين عليها الذين كان لهم دوراً ملموساً في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند وخارجها، وقد تم تصنيفهم إلى مجموعتين رئيسيتين :-

- الأولى: وهم العلماء الهنود ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند وخارجها وهم بدورهم ينقسمون إلى فئتين، الفئة الأولى: من ظل منهم مقيماً

في بلاد الهند، يكتسب العلم وينهل من معين علمائها وأدبائها، وهؤلاء بدورهم أمكن تصنيفهم إلى علماء العلوم الدينية من علم التفسير والحديث والقراءات، وكذلك علماء الفقه والأصول والعربية، ثم علماء العلوم اللغوية والفنون الأدبية والموسيقى والذين تنوعوا مابين علماء اللغة العربية من نحو وبلاغة إلى شعراء وأدباء وكذلك علماء التاريخ، ثم علماء الطب والفلك وأخيراً التصوف ورجاله.

- الفئة الثانية: فكانت علماء الهند الذين نزحوا إلى كبريات مدن العالم الاسلامي لاكتساب مزيد من العلم في شتى مجالات العلوم، فمنهم من عاد الى بلاد الهند ليدلي بدلوه في الحياة الثقافية والعلمية بها- ومنهم من آثر البقاء في المدن التي نزح اليها، وقد تنوع هؤلاء مابين الهنود المجاورين بمكة والمدينة، ومابين علماء الهند الذين نزحوا إلى مختلف أقطار ومدن العالم الإسلامي.

- أما المجموعة الثانية: فتمثلت في العلماء والصلحاء الذين وفدوا على بلاد الهند ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية بها وما تركوه من مصنفات علمية وأدبيه قيمة.

والفصل الثالث فبعنوان «مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين دهلي بالعلم والعلماء في بلاد الهند والعالم الاسلامي»، ويتناول جهود عدد من سلاطين دهلي في سبيل تحقيق نهضة ثقافية وعلمية في بلادهم، من حيث اهتمامهم وحفاوتهم بأرباب العلم والفضل والصلاح سواء كانوا من علماء الهند أو من الوافدين عليها من مختلف أقطار العالم الإسلامي، فضلاً عن اتجاههم هم أنفسهم إلى سبيل العلم وميلهم إلى تلقي بعض العلوم والمعارف، وكذلك اهتمامهم بإنشاء المدارس والمساجد وتخصيص النفقات لها.

أما **الباب الثاني** من هذه الدراسة فجاء بعنوان «الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند»، وقد أنقسم بدوره إلى فصول ثلاث :-

الفصل الأول بعنوان: «قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها»، وفيه تناولت الباحثة في إيجاز قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند وعوامل نجاحها في الاستقلال عن سلطنة دهلي، وتطرقت إلى الدور الذي لعبته هذه الدويلات في حمل مشعل النهضة الثقافية والعلمية خلفاً لسلطنة دهلي

التي انتابها كثير من الضعف والاضمحلال بدءاً من أواخر عصر السلطان الدهلوي محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١هـ)، ثم أثر الغزو التيموري على سلطنة دهلي في عام ٨٠١ هـ /١٣٩٩م .

أما الفصل الثاني من هذا الباب فبعنوان: «العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند »، وهو يتناول علماء الهند والعلماء من شتى أرجاء العالم الإسلامي الذين توجهوا صوب تلك الدويلات الناشئة وساهموا في ازدهار الحياة الثقافية والعلمية بها، بما وضعوه من مصنفات جليلة وشروح على أمهات الكتب في مختلف مجالات العلوم .

ويأتي الفصل الثالث بعنوان: «مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند بالعلم والعلماء في ممالكهم وفي العالم الإسلامي».

ويتناول هذا الفصل مظاهر اهتمام سلاطين دويلات الهند المستقلة بالعلم والعلماء في ممالكهم، من حيث اهتمامهم بإنشاء المدارس والزوايا ودور الترجمة، وحث العلماء على التصنيف في شتى مجالات العلوم، و كذلك ترجمة أمهات الكتب من الفارسية إلى العربية والعكس، ثم كيف تعدى هذا الاهتمام حدود ممالكهم بل بلاد الهند قاطبة إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي، مما كان له أثره في ذيوع صيتهم في العالم الإسلامي، واجتذب علماء المسلمين إلى بلادهم.

أما **خاتمة الدراسة** فتتضمن أهم ماخلصت إليه الدراسة من نتائج.

وقد استعانت الباحثة في سبيل إعداد هذه الدراسة بعدد كبير من المصادر التي تنوعت مابين مصادر أولية، وهي تعد من أوثق مصادر التاريخ بصفة عامة، ويقصد بها الوثائق والآثار والنقوش والمسكوكات، التي فيما يختص بموضوع الدراسة قد اقتصرت الاستعانة بها على المسكوكات، التي إضافة إلى ما ألقته من ضوء على التطور السياسي والديني والاقتصادي لبلاد الهند في الفترة الزمنية موضوع الدراسة، فقد ساعدت كذلك على تأكيد ما احتفظت به اللغة العربية في بلاد الهند من مكانة سامية جعلتها لغة سك العملة في سلطنة دهلي والدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند سواء بسواء، وذلك برغم التراجع التدريجي لهذه اللغة في مواجهة الانتشار والسيطرة التدريجية للغة الفارسية على صعيد الحياة السياسية والثقافية والعلمية في بلاد الهند .

أما عن المصادر الأصلية والتي استعانت بها الباحثة في جمع شتات المادة العلمية فقد تنوعت مابين المصادر الأدبية، والمصادر التاريخية من كتب الجغرافيا والرحلات وكتب الحوليات وكذلك كتب التراجم والطبقات و كتب موضوعات العلوم وأسماء الكتب والفنون، إضافة إلى مجموعة كبيرة من المراجع الفارسية والعربية والأجنبية، التي أمدت البحث بمادة قيمة ومفيدة ساهمت في خروجه على صورته .

وفيما يلي تحليل لأهم تلك المصادر والمراجع :-

(١) كتب الجغرافيا والرحلات

وقد شكلت هذه المصادر أهمية كبيرة من حيث احتوائها على مادة علمية قيمة ليس فقط فيما يختص بعلم الجغرافيا وطبيعة بلاد الهند، بل لاحتوائها كذلك على معلومات قيمة تثبت أن المسرح الطبيعي لمنطقة ما يعد من

جملة ما ذكر من أخبار عن هذا الإقليم، ماكان من انتشار اللغة العربية إلى جانب السندية فيه، إلى جانب تعريفه بأهم مدن الإقليم وأنهاره.

ب- كتب الجغرافيا المتخصصة في قطر واحد

ومنها استعنت بكتاب العالم الموسوعي «البيروني» (ت. ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) والموسوم بـ «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»[١] والذي يعد من أقيم الكتب الجغرافية التي تحدثت عن بلاد الهند من حيث طبيعتها ومختلف جوانب تاريخها، وقد أفاد الدراسة بصفة خاصة من حيث وصفه لإقليم كشمير وتأكيده على أنه كان من أهم مراكز علوم الهنادكة إلى جانب مدينة بنارسي، ثم امتداحه لعلماء كشمير وأهمية إجازتهم لمصنف من المصنفات حتى يلقى القبول والرواج المنشود .

جـ- المعاجم الجغرافية

وهي القسم الثالث من كتب الجغرافيا وقد استعنت منها بمصنفين هما :-

- «معجم البلدان»[٢] لياقوت الحموي الرومي (ت. ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، وكذلك «الروض المعطار في خبر الأقطار»[٣] للحميري (ت. ٨٦٦هـ/١٤٦١م)، وكلاهما شكل أهمية كبيرة لهذه الدراسة في التعريف بأهم مدن بلاد الهند وأقاليمها .

ثانياً: كتب الرحلات

لعل من أهم المصادر التي أفادت الدراسة وتنتمي الى هذه الفئة كتاب الرحالة المعروف الشهير ابن بطوطة (ت . ٧٧٩هـ /١٣٧٧م) والمعروف باسم «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار»[٤] والشهير بـ «رحلة ابن بطوطة»، ويعد هذا الرحالة من أعظم الرحالة العرب وأشهرهم وأكثرهم طوافاً بأنحاء الأرض، وكذلك من أدقهم في سرد تفصيلات مشاهداته في البلدان التي قام بزيارتها، وتكمن أهمية هذا الكتاب بالنسبة لموضوع الدراسة في غزارة المعلومات التي يقدمها عن بلاد الهند التي زارها الرحالة ومكث بها مايقرب من الأعوام الثمان في الفترة (٧٣٤-٧٤٣هـ) / (١٣٣٣-١٣٤٢م) في

(١) الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
(٢) (٨ج - ٥مج)، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
(٣) تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠م .
(٤) شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، بيروت(د.ت) .

عهد السلطان الدهلوي محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ) / (١٣٢٥-١٣٥١م)، فبالإضافة إلى وصفه لطبيعة بلاد الهند وتعريفه بأهم مدنها نجده قد تطرق كذلك إلى عهود بعض سلاطين دهلي المشاهير وخاصة السلطان محمد تغلق شاه الثاني، الذي عاصره أثناء وجوده ببلاد الهند، فذكر مدى حبه للعرب وإجلاله للخلفاء العباسيين، إضافة إلى ذكره للكثير من علماء الهند وكذلك العلماء الذين وفدوا عليها من شتى أرجاء العالم الإسلامي ممن التقى بهم، ومدى ما نالوه من التقدير والاهتمام والعطايا الجزيلة، كما اتخذته الباحثة (أي ابن بطوطة نفسه) أحد أمثلة حفاوة سلاطين دهلي بالعلماء والفضلاء ممن نالوا العطايا الجزيلة والتقدير والاحترام من قبل سلطان دهلي، الأمر الذي جعله من أفيد المصادر لموضوع الدراسة .

(٢) كتب الحوليات

وقد استعانت الباحثة بعدد من كتب الحوليات التي أرخت لهذه الفترة موضوع الدراسة لعل أبرزها :-

- بيبرس الدوادار (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة»[١] وكتاب «المختصر في أخبار البشر»[٢] لأبي الفدا (ت. ٧٣٢هـ /١٣٣١م) وكذلك «كنز الدرر وجامع الغرر»[٣] لابن أيبك الدوادار (ت. ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ثم مصنف المقريزي (ت. ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) الموسوم بـ «السلوك لمعرفة دول الملوك»[٤] والذي أمد الدراسة بعدد من تراجم سلاطين الهند متطرقاً إلى مآثرهم في الكرم والجود والحفاوة بالعلم والعلماء في بلادهم وخارجها، أضافة إلى سعيهم لاستجلاب رضى الخلفاء العباسيين بالقاهرة بالمراسلات والهدايا الثمينة، فضلاً عن تناولهم لعدد من علماء الهند الذين نزحوا إلى مصر والشام وغيرها.

ولعل أبرز مصادر هذه الفئة كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»[٥] لابن

(١) تحقيق: زبيدة محمد عطا، طبعة القاهرة ٢٠٠١م .
(٢) تحقيق: محمد زينهم عزب و يحيي سيد حسين، ٤ج، دار المعارف، ١٩٩٩م .
(٣) تحقيق: بيرند راتكة، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
(٤) ج١،ج٢، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٦- ١٩٥٨م
- ج٣،ج٤، تحقبق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٣م .
(٥) ١٦ج، طبعة بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

تغري بردي (ت. ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، الذي أمد البحث بتراجم كثير من سلاطين الهند، والعلماء الذين نزحوا إليها طلباً للعلم والاسترزاق وأبرزهم الشيخ محمد ابن أبي بكر الدماميني (ت. ٨٢٧هـ/١٤٢٤م)، وكذلك علماء الهند الذين نزحوا إلى مصر وبلاد الحرمين الشريفين طلباً للعلم وأبرزهم الشيخ سراج الدين أبي حفص عمر الهندي(ت. ٧٧٣ هـ/١٣٧١م) .

(٣) كتب التراجم والطبقات

وفي هذه الدراسة استعانت الباحثة بعدد من كتب التراجم والطبقات التي أفادت الدراسة إفادة جمة ـ حيث أمدت البحث بعدد كبير من تراجم العلماء وطلاب العلم والصلحاء والفضلاء سواء ممن نزح الى بلاد الهند من علماء المسلمين أو ممن نزح من بلاد الهند إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي وكانت لهم إسهاماتهم في الحياة الثقافية والعلمية بها .

ومن أهم هذه المصادر للدراسة :ـ

- «الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية»[(١)] لابن أبي الوفاء القرشي (ت . ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣ م)، و«البداية والنهاية»[(٢)] لابن كثير (ت .٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)، «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»[(٣)] للمقريزي (ت . ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م) و«إنباء الغمر بأبناء العمر»[(٤)] لابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٣ هـ /١٤٤٨م)، و«تاج التراجم في طبقات الحنفية»[(٥)] لابن قطلوبغا (ت .٨٧٩هـ /١٤٧٤م)، «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»[(٦)] للسخاوي (ت. ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، وقد أمد البحث بمعلومات قيمة ووفيرة عن كثير من علماء الهند ممن جاور بمكة المكرمة والمدينة النبوية إضافة إلى ذكره لتراجم بعض سلاطين الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند ممن أنشأوا المدارس والرباطات في مكة والمدينة وغيرها .

---

(١) ٥مج، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

(٢) ١٤ج، ٧مج، الطبعة الخامسة، دار الحديث، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٢م .

(٣) ٤مج، تحقيق: محمود الجليلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٥) طبعة ليبزج ١٨٦٢م .

(٦) الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

ومن أميز مصادر هذه الفئة إلى موضوع الدراسة كتب «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»[(١)] للسيوطي (ت. ٩١١ هـ/١٥٠٥م)، وكذلك «الطبقات السنية في تراجم الحنفية»[(٢)] للتقي الغزي (ت. ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م) ثم «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»[(٣)] للشوكاني .

(٤) كتب مواضيع العلوم وأسماء الكتب والفنون

وقد تمثلت أهمية هذه المصادر في أنها وفرت تعاريف هامة وشاملة عن فروع العلوم التي مارسها العلماء سواء من بلاد الهند أو من العالم الإسلامي، إضافة إلى تعريفها بكثير من أشهر المصنفات التي وضعت في شتى مجالات العلوم والمعارف مما ساهم بشكل كبير فى إنارة كثير من جنبات هذه الدراسة، وقد أستعانت الباحثة من هذه النوعية من المصادر بالأتي :

- «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»[(٤)] لطاش كبري زاده (ت. ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م) .
- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»[(٥)] لحاجي خليفة (ت. ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧م) .
- «أبجد العلوم»[(٦)] لـ صديق بن حسن القنوجي (ت . ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩ م)، وهو يقع في ثلاثة أجزاء الأول منها بعنوان «الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم» أما الثاني فبعنوان «السحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم» أما الثالث فبعنوان «الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم» وقد أمد الجزء الثالث الدراسة بتراجم كثير من علماء الهند الذين برزوا في شتى مجالات العلوم والفنون .

وقد استعانت الباحثة في هذه الدراسة بعدد من المصادر والمراجع الفارسية والمعربة عن الفارسية ، والتي أمدت البحث بمادة علمية قيمة، وكان أبرزها :ـ

---

(١) الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .

(٢) تحقيق: عبد الفتاح الحلو، القاهرة ١٩٧٠م .

(٣) جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

(٤) ٣مج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٥) طبعة دار التراث، بيروت(د.ت) .

(٦) تحقيق: عبد الجبار ذكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م .

• «تاريخ فيروزشاهي»(١) لضياء الدين البرني (ت. ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م)، وكذلك «تاريخ فرشته»(٢) لمحمد قاسم هندوشاه، ثم كتاب «طبقات أكبري» وهو مترجم عن الفارسية بعنوان «المسلمون في الهند من الفتح العربي حتى الاستعمار البريطاني»(٣). وقد فرغ المؤلف من تصنيفه في عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٤م، ويقع في ثلاثة أجزاء، خصص الجزء الأول منها لسلطنة دهلي، والمتعاقب عليها من أسرات حاكمة، ثم خصص الجزء الثاني للإمبراطورية الإسلامية المغولية في بلاد الهند، أما الجزء الثالث فقد أفرده للدويلات الإسلامية التي استقلت عن سلطنة دهلي.

هذا إلى جانب عدد من المراجع الفارسية التي أفادت الدراسة بما أمدت من تراجم علماء الهند [illegible](٤) أي الثقافة الإسلامية في الهند [illegible](٥) [illegible](٦) [illegible].

وأخيراً فقد استعنت بمجموعة من المراجع العربية التي أفادت موضوع الدراسة وأمدت البحث بمعلومات قيمة لعل أهمها:

• أحمد محمود الساداتي، «تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم»(٧) وهو قسمين تناول الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الهند منذ الفتح العربي لها وحتى نهاية عصر دولة أباطرة المغول على يد الاحتلال البريطاني.

• أبو المعالي أطهر المباركفوري، «رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري»(٨) وهو قسمين في مجلد واحد، الأول منه تناول تراجم الذين ولدوا وعاشوا في

(١) [illegible]
(٢) [illegible]
(٣) [illegible]
(٤) [illegible]
(٥) [illegible]
(٦) [illegible]
(٧) [illegible]
(٨) [illegible]

بلاد السند والهند أو كانوا من طبيعتها وولدوا وعاشوا في الخارج من العلماء والمحدثين والرواة والفقهاء والمشايخ والأدباء وغيرهم، أما القسم الثاني فيتناول تراجم الذين قدموا إلى بلاد السند والهند من شتى أنحاء العالم الإسلامي وساهموا في الحياة الثقافية والعلمية بها.

• عبد الحي الحسني الندوي (١٣٤١هـ/١٩٢٣م)،«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»(١) ويعد من أهم المراجع التي أفادت هذه الدراسة بما وفرت من عدد هائل من تراجم علماء الهند والوافدين عليها وهو ثمانية أجزاء، اختصت الأجزاء الثلاثة الأولى منه بتراجم العلماء الهند حتى التاسع الهجري، وقد قام الندوي في مصنفه هذا بذكر أحوال أعلام الهند ومن وفد عليها، فتناول تراجم العلماء والأتقياء والشعراء والأدباء تفصيلاً، فعرف كل واحد منهم وأساتذته وكذلك من وفد على بلاد الهند، وبلادهم، وما جاءوا به من ذخيرة العلم والأدب، وكيف أفادوا واستفادوا أينما حلوا من بلاد الهند، كما تناول تراجم من سافر من علماء الهند إلى أماكن بعيدة لتحصيل العلوم، وذكر كذلك أحوال سلاطين الهند السياسية والعسكرية والاقتصادية، وكيف خدم كثير من هؤلاء الشريعة الإسلامية، وأغدقوا على العلماء والفقهاء، وحثوهم على البحث والتصنيف.

كما استعانت الباحثة بعدد من الدوريات، كان أبرزها «مجلة ثقافة الهند» وهي مجلة ربع سنوية، يصدرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية(٢) وقد تضمنت أعدادها المختلفة عدداً من المقالات التي أفادت الدراسة إفادة جمة كان أبرزها المقالات التالية:

• «اللغة العربية وعلماؤها في الهند»(٣) لـ أيوب تاج الدين.
• «تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند»(٤) ـ خالد الحامدي.
• «حضارة الهند المركبة»(٥) لرشيد الدين خان.

(١) الطبعة الأولى، دار المعاف الهندية، حيدر أباد الدكن، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
(٢) المجلس الهندي للعلاقات الثقافية هو منظمة حرة لوازرة الشئون الخارجية للحكومة الهندية، أنشأت في عام ١٩٥٠م، لإنشاء وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى.
(٣) مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٨- العدد(١-٢)، آزاد بهوان، نيودلهي ١٩٩٧م.
(٤) مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٧- العدد(١-٤)، آزاد بهوان، نيودلهي ١٩٩٦م.
(٥) مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٧- العدد(١-٤)، آزاد بهوان، نيودلهي ١٩٩٦م.

- «النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم»[1] لمحمد مظفر.
- «تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية»[2] لمشير الحق.

كما استعانت الباحثة بعدد من المراجع الأجنبية والتي أفادت الدراسة فيما يخص التعريف بطائفة السيخ وعقائدهم في بلاد الهند، أهمها (SHER SINGH: philosophy of Sikhism) وكذلك (W.H.NCLOED: Guru Nanak and the Sikh Religion) وأيضاً (J.D CUNNINGHAM: history of the Sikhs) و(KHUSHWANT SINGH: a history of the Sikhs) وغيرها التي أمدت الدراسة بمعلومات قيمة عن بلاد الهند في الفترة موضوع الدراسة.

وختاماً فإذا كان شرف العلم في موضوعه، وغايته، ومسائله، ووثوق براهينه، وشدة الحاجة إليه، وخساسة مقابله، فإن لبلوغ هذا الشرف درب طويل، وأمانة ثقيلة، نجاح أداءها هو شرف الدنيا وعز الآخرة، فاللهم هذا مبلغي من العلم، فتجاوز برحمتك عن خطئي، واغفر بعفوك تقصيري، واجعله عملاً خالصاً لجلال وجهك.

ب ـ عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند

أولاً: العوامل الداخلية:

١- العامل الجغرافي والسكاني.
٢- التاريخ والحضارة العريقة لبلاد الهند.
٣- اهتمام النخبة الحاكمة بالعلوم والثقافة فى بلاد الهند.

ثانياً: العوامل الخارجية:

١- الموجات الإنسانية المتتابعة على بلاد الهند.
٢- اجتياح المغول لشرق العالم الإسلامي.

يرجع ازدهار الحياة الثقافية والعلمية لأمة من الأمم إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية والتى تتكاتف فيما بينها لتشكل بيئة ملائمة لازدهار تلك الثقافة.

فالعوامل الداخلية من طبيعية وسكانية إلى تاريخية وحضارية، فضلاً عن السياسة

(١) مجلة ثقافة الهند، المجلد-٥٠- العدد (١-٢)، آزاد بهوان، نيودلهي ١٩٩٩م.
(٢) مجلة ثقافة الهند، المجلد٤٩- العدد(١)، آزاد بهوان، نيودلهي ١٩٩٨م.

الداخلية الحكيمة التي يتبعها بعض الحكام والتي تهدف إلى الارتقاء بالحياة الثقافية والعلمية في ممالكهم متمثلة فيما يبديه هؤلاء الحكام من اهتمام بالعلم والثقافة وأربابهم من العلماء وأهل الفضل والصلاح. إضافة إلى اهتمامهم بالمنشآت التعليمية من مدارس، وزوايا[1]، وخانقاوات[2]. وعناية بعضهم بجمع أمهات الكتب في شتى مجالات العلوم في مكتبات قصورهم، فضلاً عن عنايتهم بحركة الترجمة من اللغات الأخرى[3]، كل ذلك كان من شأنه أن يضفي نشاطاً وثراءً للحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في تلك الفترة.

أما العوامل الخارجية فقد تعددت وتنوعت لتشمل بعض الهجرات الإنسانية التي تفد على منطقة ما، إما فراراً من بطش واضطهاد الحكام، وإما سعياً وراء العيش والاستقرار في أرض جديدة أكثر رغداً ورخاءً، حاملة معها أنماطها الثقافية والحياتية التي تؤثر وتتأثر بالبيئة الثقافية التى وفدت عليها.

وعلى جانب آخر فإن النشاط التجاري الخارجي لمنطقة ما ينعكس بالضرورة على تنوع الروافد الثقافية الوافدة عليها، كما أن اختلاط هذه الثقافات وتفاعلها مع بعضها البعض كفيل بإيجاد كثير من مظاهر التأثير والتأثر، وبالتالي نشأة بيئة ثقافية ثرية مزدهرة. كما لا نستطيع أن نغفل دور الأحداث السياسية والعسكرية التي تمر بمنطقة ما في التأثير المباشر وغير المباشر على الحياة الثقافية والعلمية لما جاورها من مناطق.[4]

وبلاد الهند والحياة الثقافية والعلمية بها في عصر سلطنة دهلي[5] (٦٠٢-٩٣٢هـ)/

(١) كلمة زاوية فى الصوفية، هي وحدة معمارية صغيرة تنشأ غالباً برسم شخص معين ينقطع فيها للعبادة، وهي مأخوذة من انزوى الرجل (أي تنحى) - أنظر: محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، ط١، القاهرة ١٩٩٠، ص ٥٩.

(٢) الخانقاه: كلمة فارسية معناها بيت، وجعلت في بادئ الأمر لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر، ومع تطور التصوف وتطور العمارة أيضاً تطور مفهوم الخانقاه، ليصبح مسجداً وبيتاً للصوفية، وقد يكون مدرسة للطلبة وهم أنفسهم من الصوفية وقد تتسع الخانقاوات لعدد كبير من الصوفية قد يصل إلى أربعمائة: أنظر: محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، ص ٣٩.

(٣) انظر فيما بعد، الباب الأول، الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٤) لعل أبرز مثال على تأثير الأحداث السياسية والعسكرية ما كان من أثر هجمات المغول على مشرق العالم الإسلامي، أنظر فيما بعد، (ثانياً)-(ب)- اجتياح المغول لشرق العالم الإسلامي، ص١٢.

(٥) دهلي = وهي حاضرة بلاد الهند، وهي مدينة كبيرة تقع على ضفة نهر جمنا، وقد بناها الملك أنانجا بال - Ananga Pal، الذي حكم في القرن الحادي عشر الميلادي، وترجع تسميتها بـ=

(١٢٠٦-١٥٢٦م) هي مثالنا التطبيقي على دور تلك العوامل في تشكيل حياة ثقافية وعلمية مزدهرة في تلك البلاد.

أولاً: العوامل الداخلية:

أ - العامل الجغرافي والسكاني:

فالطبيعة الجغرافية لبلاد الهند والتي تميزت بمظهر تضاريسي سهل في الشمال والشمال الغربي، زاده ثراءً ونماءً مجموعة من الأنهار التي تجري فيه، لعل أشهرها «نهر السند»[١]، وكذلك أنهار «الجانج»[٢]، و«البراهمابوترا»[٣].

وقد روت تلك الأنهار وروافدها شمال شبه القارة الهندية بأكمله، شرقه وغربه

=«دهلي» لأن أرضها كانت غير متماسكة، ولأن «دهلول» في اللغة الهندية معناها التراب الغير متماسك وقد زارها ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، فبهر بها ووصفها بأنها "أعظم مدن الهند، بل مدن الإسلام كلها بالمشرق"، وقد حرف البريطانيون دهلي إلى دلهي وهكذا تلفظ في الوقت الحاضر، أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، بيروت (د.ت)، ص ٤٣٧ - عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ط٣، القاهرة ١٩٩٠م، ص ١٠١.

-Sachchidananda Bahattacharya, A Dictionary of Indian History, University of Calcultta, 1967, p. 293.

(١) نهر السند = أو الأندوس، هو النهر الذي عرفه المسلمون باسم نهر "مهران"، وينبع من جبال الهيمالايا في الشمال، ويقع في الشمال الغربي من شبه القارة (حاليا في باكستان) ويبلغ طول مجراه ٢٩٠٠ كيلومتراً، ويجري من الجنوب إلى الشمال متفرداً في ذلك مع نهر النيل، دون أنهار العالم، ويمده بالمياه خمس روافد هي بهال، راند، كابل، السندروذ، والجندرود، ويُعرف واديه باسم (وادي للبنجاب) أو - وادي الأنهار الخمسة - أنظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ط ليدن ١٩٢٧م، ص ١٨٠ - كذلك: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط القاهرة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، ٩ج، ج١، ص ٣٧٢-٣٧٣. أيضاً: ابن حوقل، المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، ط ليدن ١٨٧٣م، ص ٣٣٤-٣٣٥، ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤١١ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٤.

(٢) الجانج: نهر يقدسه الهنود وينبع من جبال الهيمالايا، ويجري في الشمال الشرقي حتى يصب في خليج البنغال شرقا، في اثنتى عشر مصباً، وأشهر روافده رامونا، جمنا، الجون - أنظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ط ليدن ١٨٩٣م، ص ٥٦، الدمشقي (شيخ الربوة)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط بيروت (د.ت)، ص ١٠٠، أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ط٣، القاهرة ١٩٧٢م، ج١، ص٦، النمر، المرجع السابق، ص ٥ - أيضاً: ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، مج٢، ج٣، ط القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢.

(٣) أحد أنهار الهند الشهيرة، ينبع من جبال الهيمالايا وآسام ويجري في الشمال الشرقي، حتى يلتقي بأحد مصبات نهر الجانج عند مصبه، أنظر: النمر، المرجع نفسه، ص ٥.

وأكسبته خصباً ونماءً، جعله محط أنظار كثير من الشعوب والقبائل التي تبحث عن الأمن والاستقرار.

وقد تأثرت طبائع سكان تلك المناطق الشمالية بدورها بتلك الطبيعة السهلة المنبسطة، فمالوا إلى الانفتاح وحسن تقبل الآخر، وظهر هذا واضحاً في استيعابهم لهؤلاء المهاجرين ولكثير من الغزاة الذين وفدوا على بلادهم عبر معابر وممرات الشمال[١]، بدءاً بالشعوب الهندوأوروبية وانتهاءً بالمسلمين الفاتحين بأمواجهم المتتابعة.

فأدى ذلك إلى تنوع ثقافي ظهر جلياً في مراحل تطور لغة الشمال الهندي، والتي اكتسبت كثيراً من صفات ولهجات تلك الثقافات الوافدة، لتظهر «اللغة الهندوستانية»[٢]، التي سادت شمال ووسط شبه القارة الهندية قبل الفتح الإسلامي.

وبعد الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند، وما ترتب عليها من اختلاط الثقافة الإسلامية بلغتيها العربية والفارسية، بالثقافة الهندية ولغتها الهندوستانية، ظهرت اللغة «الأوردية» التي حوت بداخلها كثيراً من الألفاظ العربية والفارسية والهندية، إضافة إلى اتخاذها للرسم العربي في الكتابة.

أما وسط وجنوب شبه القارة الهندية، فقد تميز بطبيعة تضاريسية وعرة، تمثلت في هضبة الدكن وجبال الوندهايا في الوسط، التي فصلت شمال شبه القارة الهندية عن جنوبها، وكذلك سلسلة جبال الجات الشرقية والغربية التي حفت كل من الساحل الشرقي لبلاد الهند الذي عرف باسم ساحل كرومندل، والساحل الغربي الذي عرف باسم «ساحل المليبار»، إضافة إلى الغابات الكثيفة في الجنوب، والتي شكلت عائقاً

(١) هي مجموعة من الممرات والمعابر الجبلية التي كانت تخترقها الأنهار ووديانها، سلكها الغزاة إلى بلاد الهند، وهي أكثر من تسع معابر، أشهرها، مر مكران، وجومال، وخيبر وهو الذي سلكه محمود الغزنوي ٣٨٨- =٤٢١هـ / ٩٩٨-١٠٣٠م في طريقه لغزو الهند - للمزيد الرجوع إلى - إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ط ليبيا ١٩٨٥، ص ١١
Longman's History of India, (form the beginning to 1526 A.D) Lahore 1958, IP, p. 2, p.3,

(٢) في القرن الخامس قبل الميلاد، حور العامة في شمال شبه القارة الهندية، اللغة السنسكريتية، لغة الشعوب الهندوأوروبية على أرجح الأراء، إلى لغة أكثر يسراً وبساطة هي "البراكريتية" ثم تحولت تلك بدورها إلى "البالية" والتي تولد عنها بمرور الوقت لهجات عديدة مختلفة، كان أهمها وأكثرها انتشاراً "اللغة الهندوستانية" التي سادت شمال بلاد الهند قبل الفتح الإسلامي، أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، الهند وجيرانها، ص١٣، ص ٢٨٣.

صعب الاختراق، زاد من صعوبة اختراقه ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة على مدار العام، ولقد ساعدت كل تلك العوامل على احتفاظ المناطق الجنوبية بكثير من أصالة ونقاء صفاتها البشرية والحضارية والثقافية، ومنع ثقافة الشمال المتأثرة بالثقافات الوافدة عليها من أن تتسرب إلى الجنوب .[1]

ويكفينا مثلاً أن ندرك أنه رغم المراحل العديدة من التطور التي مرت بها اللغة في شمال بلاد الهند كما سبق الإشارة، فإن الجنوب ممثلاً في هضبة الدكن وما تلاها جنوباً قد ظل محتفظاً بلغته الدراڤيدية[2] القديمة والتي تمثلت في لهجات، «تامل»، و «تلوجو»، و «كاناريس»، و «ملايالام»، وأصبحت لغة «تامل» من بينها هي الأداة الأدبية الرئيسية في الجنوب .[3]

كما كان لهذا الامتداد الجغرافي الشاسع لشبه القارة الهندية، أثره في تنوع الأقاليم المناخية من بارد في الشمال إلى شديد الحرارة جنوباً، وهو ما أدى بدوره إلى تنوع كبير في حاصلات الهند النباتية طبيعية كانت أم زراعية، مما ساهم في إكساب بلاد الهند مكانة تجارية هامة على مدار تاريخها .[4]

---

(١) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ج١، ص ٤ - أيضاً: النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢.

(٢) الدراڤيدية: هي مجموعة من اللغات التي يتحدث بها سكان جنوب الهند، وهي أربع لهجات (تامل، تلوجو، كاناريس، ملايالام)، والدراڤيدية تنسب إلى الدراڤيديين الذين يعتقد أنهم كانوا من أول الأجناس التي سكنت شبه القارة الهندية، شمالها وجنوبها، حتى دفعتهم القبائل الآرية التي دخلت من الشمال جنوباً، وهي تكون مجموعة منفصلة تماماً عن اللغات الهندوأوروبية بالرغم من استعارة كلماتها من السنسكريتية، وللغات الدراڤيدية تاريخ مكتوب يرجع إلى أكثر من ألفي عام، ويشعر متحدثوا هذه اللغة بوحدة ثقافية كما يكره بعضهم حقيقة أن اللغة الهندية هي لغة الهند القومية.
- SQACHCHIDANANDA BHATTACHARYA, A Dictionary of Indian History, Calcutta, 1967, p. 314.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص ٢٨٣.

(٤) كان من أهم حاصلات الهند التي لعب العرب دور الوساطة في نقلها إلى أسواق أوروبا، التوابل والأفاوية، من الفلفل والقرفة والقرنفل وجوز الطيب وغيرها وكذلك العطور والبخور، وأيضاً المنسوجات خاصة القطنية منها، والموسلين ونسيج البافتة، والمعادن النفيسة والأحجار الكريمة، والأخشاب والعاج، ومواد الصباغة والصموغ وكذلك بعض الحيوانات البرية، للمزيد الرجوع إلى، الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: الشوربجي، ط القاهرة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، ص ٢٢ - أيضاً، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤ أجزاء في مجلدين، ط بغداد=

ب- التاريخ والحضارة العريقة لبلاد الهند:

ومما ساعد على ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند تلك الخلفية التاريخية والحضارية العريقة، وذلك الماضي المجيد الذي يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد[1]، والذي خلف وراءه مدناً حسنة التخطيط مزودة بمنشآت تدل على تقدم تقني واجتماعي وصناعي كبير، كما غذى الثقافة الهندية بسيل جارف من مختلف مجالات العلوم، من طب وكيمياء، وهندسة وحساب، وفلك، وفلسفة وحكمة وآداب وموسيقى، تلك العلوم التي اشتهر بها الهنود في العالم أجمع، والتي كان للعرب فضل ترجمتها وعنهم أخذها الأوروبيون فيما بعد، خاصة الطب والفلك والحساب .[2]

أما علي صعيد الحياة الدينية في بلاد الهند، فقد كان للهنود من العقائد الدينية ما يمثل كل مراحل العقيدة من الوثنية التعددية المختلطة بصنوف الأساطير، إلى أدق عقيدة في الوحدانية الإلهية .[3]

=١٢٩١هـ / ١٨٧٤م، ج١، ص ٧-١٦٦-٣٩٨، ج٢، ص ١٠٤-٣٦٧ وغيرها - أيضاً: داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، الطبعة الأخيرة، القاهرة ١٩٥٢م، ج١، ٦٣-١١٠-١٤٩-١٨٠-٢٥١-٢٥٥-٢٥٩-٣٤٠ وغيرها - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ج١، ص ٤٣ - سونياهاو، في طلب التوابل، ترجمة عزيز رفعت، ط١، القاهرة ١٩٥٧م، ص ١٤-١٨-٢٣، شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٥١، يوليو، الكويت ١٩٩٠م، ص ٦٩-٢١٦-٢١٩، نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٩٧-١٩٩-٢٠٦-٢١٨-٢٢٦-٢٢٩ - هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٨٥م، ج٢، ٣٢، ج٤، ٩٧-١٠٩.

(١) في عام ١٩٢٤م تم الكشف عن مدينة قديمة قرب (موهنجو - دارو) على الضفة الغربية لنهر السند الأدنى، يعود تاريخها إلى الألف الرابع والثالث قبل الميلاد، وقد وجدت دلائل تشير إلى علاقات تربطها بحضارات الشرق الأدنى القديم في سومر وبابل - راجع: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، الهند وجيرانها، ص ١٥-١٨ - كذلك - الساداتي، المرجع السابق، ج١، ص ٤٤ - أيضاً - إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ١١-١٢، ص ٣٣-٣٥.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٣، ص ٩.

(٣) انفرد البيروني في العربية بأول وأكبر حديث عن قدماء الهنود وحضارتهم ومدنيتهم، وأثبت وجود مبدأ التوحيد عنهم، أنظر: البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل مرذولة دولة، ط٢، بيروت ١٩٨٣م، ص ٢٣-٢٥ - أيضاً: الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ص ٣٥، ول ديورانت، المرجع السابق، ص ٩.

وقد أمدنا البيروني[1] الذي كان على دراية باللغة السنسكريتية وغيرها من لغات الهند، بشرح وافٍ وتفصيلي عن بلاد الهند، وتاريخها، وجغرافيتها، وسكانها ودياناتهم، وفلسفتهم وعلومهم ولغاتهم، في مؤلف اعتبر من أعظم ما صنف عن تاريخ الهند القديم، جاء بعنوان «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة».

جـ- اهتمام النخبة الحاكمة بالعلوم والثقافة ببلاد الهند

ولعل أبرز العوامل الداخلية التي أدت إلى ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند ذلك الاهتمام الذي لقيته العلوم والفنون من قبل عدد كبير من حكام بلاد الهند على امتداد تاريخها وخاصة في الفترة الزمنية موضوع الدراسة، ورغم أن العديد من هؤلاء الحكام لم يكونوا أرباب أقلام إلا أنهم خدموا العلم وعظموا العلماء تعظيماً بلغ بهؤلاء حد إهداء مصنفاتهم إلى أولئك الحكام، وشعروا في ذلك بفخر كبير وسعادة غامرة وحماسة دفعتهم لبذل المزيد من الجهد.

والعهد الغزنوي[2] (٣٨٧-٥٤٧هـ) (٩٩٧-١١٥٢م) على سبيل المثال شاهداً على احترام العلم وتقدير العلماء، حيث ازدان بلاط محمود الغزنوي (٣٨٨-٤٢١هـ)/(٩٩٨-١٠٣٠م) بدرر العلماء من مختلف الأقطار، لجوده وسخائه وكثرة عطاياه، فكان الفردوسي[3]، (ت. ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) من أشهر شعراء بلاطه، ووجد العالم الموسوعي

---

(١) هو: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ) (٩٧٢-١٠٤٨م)، والبيروني، قيل نسبة إلى بيرون مدينة من بلاد الهند، وقيل هي كلمة فارسية تعني "الغريب أو الخارج" كناية عن عدم الاستقرار، لكون أهله كثيري التنقل إما لكونهم تجار، أو مقيمين خارج أسوار المدينة تهرباً من دفع الضرائب، ومن أشهر مصنفاته "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، "تحديد الأماكن لتصحيح مسافات المساكن"، "القانون المسعودي"، "الصيدنة في الطب" - أنظر - ترجمته تفصيلاً: البيروني، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م - المقدمة من ص ٥-١٢.

(٢) وهو العهد الذي بدأ بناصر الدولة سبكتكين (حاكماً من قبل السامانيين) ٣٦٦هـ/٩٧٧م - ٣٨٧هـ/٩٩٧م وانتهاءً بمعز الدولة خسرو شاه ٥٤٧هـ/١١٥٢م - أنظر - كليفورد أ. بوزورث، الأسرات الحاكم في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب، ترجمة: حسين علي اللبودي، ط٢، مؤسسة الشراع، الكويت ١٩٩٥م، ص ٢٤٩.

(٣) الفردوسي: هو أبو القاسم منصور بن فخر الدين بن أحمد بن فرخ الفردوسي، من أشهر شعراء المشرق الإسلامي، توفي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م في بلدته طوس عن عمر يناهز التسعين عاماً، ومن أشهر مصنفاته، الشاهنامه، التي أكمل نظمها بناءً على طلب السلطان محمود الغزنوي بعد أن كان قد بدأها الدقيقي الشاعر الذي قتل في عام ٣٦٥هـ/٩٧٦م - أنظر: عصام الدين عبد الرؤوف=

البيروني، كل التقدير والدعم المادي والمعنوي في بلاط الغزنويين حتى استطاع أن يصنف من الكتب ما خلد اسمه لا في تاريخ الهند فحسب بل أيضاً في التاريخ الإسلامي ككل.[1]

وفي عصر سلطنة دهلي (٦٠٢-٩٣٢هـ)/(١٢٠٦-١٥٢٦م) ألف الملا محمد وهو عالم في بلاط السلطان فيروزشاه التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م) رابع حكام آل تغلق الذين حكموا سلطنة دهلي في الفترة (٧٢٠-٨١٧هـ)/(١٣٢٠-١٤١٤م) كتاباً في الفقه الحنفي، أسماه بـ«فوائد فيروزشاهية» رتب فيه فتاوى الفقه الحنفي، وهو باللغة الفارسية وأهداه لفيروزشاه.[2]

كما رتب العالم شهاب الدين الكتكلاني (ت. ٧٨٥هـ/١٤٧٠م) كتاباً آخر في الفقه الحنفي أسماه «فتاوى إبراهيم شاهية» وأهداه إلى إبراهيم الشرقي (٨٠٤-٨٤٤هـ)/(١٤٠٢-١٤٤٠م) ملك جونبور[3]، والكتاب يقع في جزئين، الأول باللغة الفارسية والثاني باللغة العربية.[4]

إلى غير ذلك من الأمثلة التي سيتم تناولها فيما بعد في موضعه من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.[5]

=الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، ط القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٣٢٢.

(١) أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، بحث منشور، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٨ - العدد (١-٢)، ١٩٩٧م، ص ٥٨ - كذلك - كليفورد أ. بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٤٩ - أيضاً - مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، بحث منشور، مجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٩، العدد ١، ١٩٩٨م، ص ٤٠.

(٢) بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٣ - كذلك، مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، ص ٤٠.

(٣) جونبور = ولاية تقع في شرق بلاد الهند بين دهلي والبنغال، وقد عرف حكامها بـ "سلاطين الشرق"، وقد حكموا في الفترة من (٧٩٦-٨٨٣هـ)/(١٣٩٤-١٤٧٩م)، وكان إبراهيم الشرقي رابع حكام هذه الأسرة، وأعظمهم شأناً، وحكم ما يقرب من الأربعين عاماً شهدت فيهم مملكة جونبور أزهى عصورها. راجع - نظام الدين أحمد بخشي الهروي، طبقات أكبري، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي، ٣ أجزاء، ط القاهرة ١٩٩٥م، ج٣، ص ١٧٣-١٨١ - كذلك - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ج١، ص ١٦٥-١٦٧ - أيضاً: بوزوث، المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٤) بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧٣، أيضاً: مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، ص ٤٠.

(٥) انظر فيما بعد الفصل الثالث من الباب الأول، والفصل الثالث من الباب الثاني.

ثانياً: العوامل الخارجية:

أ - الموجات الإنسانية المتتابعة على بلاد الهند:

اتفق الباحثون على أنه قد ورد على شبه القارة الهندية موجات متتابعة من هجرات لأجناس مختلفة، بدأت في عصور ما قبل التاريخ بموجات قبلية قادمة من الشمال، تلاها الأريون[1]، الذين كان لهم الأثر العظيم في الحضارة والمدنية الهندية، حيث سادت اللغة السنسكريتية[2] في المناطق التي نزلوا بها، كما يعود إليهم الفضل فيما عرفته بلاد الهند من طابع اجتماعي في القرون التالية، فيما عرف بنظام «الطوائف» أو «الطبقات»[3].

وقد ساد الأريون شمال بلاد الهند، بداءاً بوادى البنجاًب، ثم شمال بلاد الهند بأكمله، والذي عرف فيما بعد باسم «هندوستان»[4] .[5]

(١) أرجع البعض لفظة (أري) إلى أصل سنسكريتي معناه (الفلاح) وقد قصد به الأريون (الشريف)، والأريون سلالة شرقية للشعوب الهندوأوروبية التي كانت تستوطن آسيا الصغرى وإيران، وقد غادرت هذه القبائل إيران وتوجهت نحو الشرق حتى وصلت بلاد الهند، هذه القبائل كانت تعيش على الرعي والغزو، - لمزيد من التفاصيل أنظر: أحمد محمود الساداتي، المرجع السابق، ج١، ص ٦-٧ - إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ١٢-١٣، كذلك - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٧ - ١٨ - ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، الهند وجيرانها، ص ١٩-٢٩.

(٢) السنسكريتية، هي أقدم اللغات الهندية، والأساس لكثير من لغات الهند الحديثة، ويقسمها معظم المؤرخين المتخصصين إلى مرحلتين تاريخيتين متداخلتين بعض الشئ، الأولى هي السنسكريتية الفيدية، نسبة إلى الفيدا "كتاب الهندوسية المقدس" واستمرت من القرن السادس عشر إلى القرن الرابع قبل الميلاد، أما المرحلة الثانية، فهي السنسكريتية الكلاسيكية، واستمرت من القرن السادس قبل الميلاد إلى نحو القرن الحادي عشر الميلادي، وهي نتاج اختلاط لغة الشعوب الأرية وهي الهندوأوروبية القديمة مع لغة القبائل الهندية القديمة... وقد كان للسلطان المغولي أكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ)/(١٥٥٦-١٦٠٥م) الفضل في إحياءها لتصبح فيما بعد لغة الهند الحديثة، أنظر: الساداتي، ت. المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٩، النمر، المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) نشأ نظام الطبقات وترسخ في الديانة الهندوسية وكتابها المقدس "الفيدا" كنتيجة طبيعية لتوزيع الأعمال على الناس في المجتمع، فالبعض يقوم بالطقوس الدينية، وهم طبقة "البراهمة" أي الكهنة، وآخرون مهمتهم الحروب وهم طبقة "الأكشترية" أي المحاربين، وثالثة هي "الفيشية" وهم أصحاب الحرف، وتدريجيا وجدت الطبقة الرابعة وهي "الشودرا" وتعرف في الكتابات العربية بطبقة "المنبوذين"، الذين يقومون بأحقر الأعمال لخدمة الطبقات الثلاث الأخرى - أنظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨١م، ص ٥٤-٦٠ - أيضا: الساداتي، المرجع السابق، ص ١١-١٤ - كذلك - النمر، المرجع نفسه، ص ٢٧-٣٠ - ول ديورانت، المرجع السابق، ص ٢١-٢٤.

(٤) الهندوستان، كلمة أطلقها الفرس على ما يقع من بلاد الهند شمال نهر نربدا، وتعني أرض الأنهار، أنظر: النمر، المرجع نفسه، ص ٢ - أيضا ول ديورانت، المرجع نفسه، ص ٢١.

(٥) الساداتي، المرجع نفسه، ص ٩.

وفي عام ٣٢٧ ق.م، غزا الإسكندر المقدوني أرض الهند، وكعادته في البلاد التي غزاها، فقد ترك ببلاد الهند «حامية» ثم قفل عائداً، بعد أن ظل بها ما يقرب من الأعوام الثلاثة، فيما بعد موجة أخرى من الأوروبيين الذين وفدوا على بلاد الهند، واختلطوا بسكانها، وكان من أثر ذلك، أن التفت الهنود لحضارة الإغريق، وكما نقل هؤلاء إلى بلادهم أقاصيص الهند وأساطيرها، سعى الهنود لمعرفة علوم الإغريق، فذهب فلاسفة الهند إلى أثينا لمحاورة سقراط في مشاكل فلسفية عديدة .[1]

أما أهم هذه الموجات، فتمثلت في الفتوح الإسلامية لبلاد الهند، والتي بدأت منذ ١٥هـ/٦٣٦م واستمرت موجاتها حتى عصر الغزنويون (٣٨٧-٥٤٧هـ)/(٩٩٧-١١٥٢م) ومن تلاهم من حكام الهند، الذين بذلوا أقصى الجهد من أجل مد نفوذ الإسلام على أكبر مساحة ممكنة من هذه البلاد، فحملت تلك الأفواج الدين الإسلامي بمبادئه السمحة التي لاقت قبولاً لدى الهنود الذين ظلوا يعانون طويلاً من نظام الطبقات الذي فرضته الديانة الهندوسية، فوجدوا في الإسلام خلاصهم من الذل والمهانة، كما حمل الفاتحين العرب اللغة العربية التي تركت بلا شك أثراً في الثقافة الهندية، وظلت متواجدة بقدر ما في الثقافة الهندية رغم طغيان نفوذ اللغة الفارسية على بلاد الهند كما سنشاهد فيما بعد في موضعه من هذه الدراسة .[2]

كما لا يمكن إغفال مكانة بلاد الهند في التجارة العالمية، والتي أدت إلى وفود أفواج من التجار من شتى أرجاء المعمورة لممارسة تجارتهم بها، وكان من الطبيعي أن يحملوا معهم الكثير من مظاهر حياتهم وثقافاتهم والتي ترك بعضها تأثيره خاصة على المناطق الساحلية لبلاد الهند، التي حفلت بالعديد من الموانئ الهامة ذات المكانة التجارية العالمية، وبخاصة ولاية كجرات الهندية والتي كانت أكثر احتكاكاً بالعرب حتى قبل ظهور الإسلام، كما أدى تسامح ملوك ممالك ساحل مليبار الهندي من الهندوس، وتقديرهم للتجار العرب، (السبب الرئيسي فى ثراء ممالكهم)، إلى ظهور جاليات من التجار العرب وأسرهم في مختلف المناطق الساحلية للهند، والذين هاجروا إلى هذه المناطق، إما لممارسة التجارة، أو للهروب من اضطهاد حكامهم وولاتهم[3] فنشروا الإسلام بهذه المناطق ودخل أهل

(١) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ١٤ - أيضاً - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٨-١٩ - أيضا - ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص ٩١-٩٢.

(٢) أنظر فيما بعد، الباب الأول، الفصل الأول، ص ١٩-٣١ .

(٣) لعل أشهر القبائل العربية التى نزحت إلى الهند، قبيلة "بني هاشم" التي أجلاها الحجاج بن

مليبار[1] من الهند في الإسلام طائعين راغبين لا راهبين.[2]

ب- اجتياح المغول[3] لشرق العالم الإسلامي.

ولعل أهم العوامل الخارجية التي أثرت في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، ما كان من أمر اجتياح جحافل المغول لشرق العالم الإسلامي، والتي جاءت على مرحلتين رئيسيتين، الأولى كانت على يد جنكيزخان[4] (٦٠٣-٦٢٤هـ)/(١٢٠٦-١٢٢٧م)، وهولاكوخان(٦٥٤-٦٦٣هـ)/(١٢٥٦-١٢٦٥م)، وهي التي أشاعت الدمار والخراب بكل ما صادف طريقها، حتى تمكنوا من سحق جيوش الخلافة العباسية المرابطة في العراق، وقاموا بقتل الخليفة العباسي المستعصم (٦٤٠-٦٥٦هـ)/(١٢٤٢-١٢٥٨م) آخر خلفاء بني العباس (١٣٢-٦٥٦هـ)/(٧٤٩-١٢٥٨م) في بغداد، وكان مقتله في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م،

يوسف الثقفي (٤١-٩٥هـ)/(٦٦١-٧١٤م) من العراق، واستقر قسم منها على شواطئ الهند الغربية، بينما استوطن القسم الآخر الشواطئ الشرقية - أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ج، ط٢، دار المعارف ـ مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج٦، حوادث سنة(٨٣هـ)، ص ٣٧٣ - أيضاً ـ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٣٠ - النمر، المرجع نفسه، ص ٦١.

(١) * مليبار هو اسم الساحل الجنوبي الغربي لبلاد الهند، ومن أشهر مدنه كولم وقاليقوط.

(٢) زين الدين بن عبد العزيز المليباري، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين، مطبعة التاريخ، حيدر أباد الدكن، ١٩٣١م، ص ٩، ص١٣-١٥.

(٣) المغول: طائفة من التتار، والتتار شعب كبير من الأمة التركية، وهو مرادف للترك عند الإفرنج، حتى أنهم يعدون قبائل الأتراك كافة كالعثمانيين والتركمان وقرمان وغيرهم من التتار، ومؤرخوا الترك ونسابوهم، يقولون أن أحد ملوك الترك في الأزمنة القديمة، ولد له ولدان توأمان هما تتارخان، ومغل خان، وعلى ذلك فالمغول والتتار والترك أصلا من جنس واحد هو الترك، والذي تشعب إلى شعوب كثيرة وقبائل شتى، اشتهر منهم السلاجقة، والخوارزمية، والتتار، والمغول، والقفجق، والخزر، والأويغور، وكيرايت، ونايمان، والمجر، والبلغار، والقرغيز، إلى غير ذلك من القبائل والشعوب التي عد كل واحد منها قوماً مستقلاً بذاته - للمزيد مراجعة: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٢ج، ط القاهرة ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م، ج١٢، ص ٣٦١ - أيضاً: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ مجلدات، ط بيروت ١٩٧٨م، مج٥، ص ٢٢٨، ٧٩٨-٧٩٩ - أيضاً: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط مصورة عن ط دار الكتب الخديوية، ١٤ جزء، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥، ج١، ص ٣٦٦ - أيضاً: رجب محمد عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، ط القاهرة (د.ت)، ص ١٣-١٤ - كذلك ـ النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٤٢ - مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى، ط٢، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٩٩-١٠٢.

(٤) ولد لرجل يُدعى "يسوكاي" الذي كان خاناً لقبيلة المغول، واسمه الأصلي "تيموجين" أي الحداد -وقد استطاع أن يوحد منغوليا، وينتصر على قبيلة كرايت المغولية المسيحية في عام٦٠٤هـ/١٢٠٦م وبعض حكام الصين المعادين له، ويوحد المغول تحت قيادته، فلقبوه بـ "جنكيزخان" أي الملك المعظم أو ملك الملوك -وقد زحف على شمال الصين في عام ٦١٢هـ/١٢١٥م واستولى عليها واتخذ من مدينة "قره قورم" عاصمة له - أنظر: رجب عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، ص ١٥-١٧ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ١٩٩.

ثم واصل المغول زحفهم حتى وصلوا بلاد الشام، حيث لحقت بهم هزيمة مدوية على يد المماليك في مصر (٦٤٨-٩٢٢هـ)/(١٢٥٠-١٥١٧م) بقيادة الملك المظفر قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ)/(١٢٥٩-١٢٦٠م) في معركة عين جالوت في عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م.[1]

وكان من أثر هذه الهجمات الشرسة للمغول، أن خرجت كثير من الأسر الشريفة، وأرباب العلم والفضل والصلاح من المناطق التي نكبت بغزواتهم، تنشد الأمن والأمان، فتوجه كثير منهم صوب بلاد الهند، القطر الوحيد في المشرق الإسلامي الذي تمكن من صد هجماتهم المرة تلو الأخرى، في عصر دولة المماليك في الهند (٦٠٢-٦٨٩هـ)/(١٢٠٦-١٢٩٠م)،[2] وطوال عصر سلطنة دهلي التي حكمت شمال ووسط بلاد الهند. فأضحت بلاد الهند في أعين هؤلاء الفارين من بطش المغول، واحة للأمن والأمان المنشودين، فحملوا معهم أنماطاً ثقافية عديدة، وعلوم شتى، وطرق متنوعة في التدريس ومصنفات لا تحصى في مختلف مجالات العلم والأدب، إضافة إلى ما حملوه من مخطوطات نجت من تخريب المغول لدور العلم والعبادة، فأصبحت بلاد الهند بفضل هذا الزخم الثقافي والعلمي أرضاً خصبة لنمو ثقافة مزدهرة وحياة علمية نشطة.

ثم تأتي المرحلة الثانية من هجمات المغول، والتي لا تقل في شراستها عن الأولى متمثلة في هجمات «تيمورلنك»[3]، والذي هاجمت جيوشه المشرق الإسلامي، وغزا

---

(١) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، ط القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٦٤ - أيضاً: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم عزب، ٤ أجزاء، ط دار المعارف، ١٩٩٩م، ج٣، ص ٢٣٣ - أيضاً: ابن خلدون، العبر، مج٥، ص ٣٢٤-٤٣٧ - كذلك، النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٤٣ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٤-٢٥، ٢٠٣-٢٠٥، ٢٠٩-٢١٠، أيضاً ـ مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص ١٧٣-١٨٢.

(٢) من المصادفات التاريخية العجيبة، أن تكون كل من دولة المماليك الأولى في مصر (٦٤٨-٧٩٢هـ)/(١٢٥٠-١٣٩٠م)، ودولة المماليك في الهند (٦٠٢-٦٨٩هـ)/(١٢٠٦-١٢٩٠م) هما من تنجحان في صد غزو المغول لأقطارهم، في واحدة من نقاط التقاء عديدة ساقتها الصدفة التاريخية، كأن تكونان متعاصرتين زمنياً تقريباً، وأن تحكم كل منهما امرأة متمثلة في الملكة رضية الدين ابنة ألتمش (٦٣٤-٦٣٧هـ)/(١٢٣٦-١٢٤٠م) في بلاد الهند، والملكة شجر الدر (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) في مصر، إضافة إلى تقرب كلتا الدولتين إلى الخلافة في بغداد طمعاً في نيل رضا الخليفة لاكتساب مزيد من الشرعية لتوطيد أركان السلطة - للمزيد مراجعة ـ أحمد مختار العبادي، دولة سلاطين المماليك الأتراك في الهند وأوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك الأولى في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مج١٢، ١٩٦٤-١٩٦٥م، ص ١١٩-١٢٧، مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، مج٩، ١٩٥٥م، ص ٦٥-٨٣.

(٣) تيمورلنك، واسمه هو (الحديد بن توغاي ابن أبغاي) والمقصود بـ "لنك" في الفارسية أي "الأعرج" لعرج في ساقه، مسقط رأسه قرية تسمى خواجة ايلغاد من إقليم ما وراء النهر، تبعد

بلاد الهند، ودخل دهلي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م، ثم رحل عنها بعد أن أمضى بها حوالي (خمسة عشر يوماً) قضاها جنوده في السلب والنهب والقتل والتدمير، ورغم أن غزوته تلك قد أضعفت من الكيان السياسي لسلطنة دهلي ، وأفقدتها كثيراً من هيبتها حتي تجرأت العديد من الأقاليم علي إعلان الإستقلال عن سيادتها، إلا أن دهلي على الصعيد الحضاري والثقافي قد استردت عافيتها سريعاً من أثر غزواته[1]، وإن كان ذلك يعود في المقام الأول إلى الجهود الفردية للعلماء، الذين أدت هجماته على أقطار المشرق الإسلامي إلى وفود أعداد كبيرة منهم، وكان نصيب سلطنة دهلي هو الأكبر من هذه الموجات الجديدة الوافدة على بلاد الهند .[2]

ولاشك أن تاريخ وحضارة الإسلامي في الهند سيرتبط باسم هذه المؤرخة الشابة ابنة كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، فقد قامت بدراسة علمية مستفيضة تناولت التاريخ السياسي والحضاري للهند في العصر الإسلامي. ولا يسعني بمناسبة تقديم هذا الكتاب إلى الأمة العربية والإسلامية إلا أن أوجه خالص الشكر إلى مؤلفته ابنتي العزيزة إيناس حمدي سرور على ما بذلته من جهد كبير في سبيل إخراج هذا العمل العلمي المبتكر بهذه الصورة المشرقة.

أ.د. حمدي عبد المنعم محمد حسين

عن سمرقند نحواً من ثلاثة عشر شهراً، وقد استقل بالملك في شهور عام ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م وكانت وفاته عام ٨٠٧هـ/١٤٠٥م، وكانت مدة استيلائه مستقلاً بالحكم ستة وثلاثون عاماً – أنظر: ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، صورة من مخطوط مكتبة حيدر أباد الدكن(د.ت)، ص٤، النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٤٢ ، هامش رقم (١).

(١) كان لهجمات تيمورلنك على بلاد الهند أبلغ الأثر في القضاء نهائياً على هيبة سلطنة آل تغلق (٧٢٠-٨١٥هـ)/(١٣٢٠-١٤١٢م) من سلاطين دهلي، وآخر سلاطين هذه الأسرة وهو محمود شاه ناصر الدين (٧٩٥-٨١٥هـ)/(١٣٩٢-١٤١٢م)، الأمر الذي ساعد كثير من الأقاليم على الخروج على طاعة سلطنة دهلي، وكانت هجمات تيمورلنك إيذاناً بنشأة ما عرف باسم "عصر الدويلات المستقلة" في بلاد الهند – أنظر: ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ١٣٦-١٤٣، كذلك، الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٢٠٧ – النمر، المرجع السابق، ص ١٤٤-١٤٧.

(٢) أنظر: أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ج١، ص ١٥٥-١٥٦ ـ النمر، المرجع نفسه، ص ١٤٤-١٤٧، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي، ط القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٧٤-١٧٥.

الباب الأول

الحياة الثقافية والعلمية فى بلاد الهند فى عصر سلطنة دهلي

(٥٩٩-٩٣٢هـ) / (١٢٠٢-١٥٢٦م)

- الفصل الأول: الأسلام وأثره على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند
- - الفصل الثاني: العلماء ودورهم فى الحياة الثقافية والعلمية فى عصر سلطنة دهلي
- - الفصل الثالث: مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين دهلي بالعلم والعلماء في بلاد الهند والعالم الإسلامي

الفصل الأول

الإسلام وأثره

على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند

(١) الفتوحات العربية والإسلامية وأثرها في نشر اللغتين العربية والفارسية في الهندوستان .

(٢) أثر علاقة سلاطين دهلي بالخلافة العباسية على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند .

(٣) الفكر الشيعي الوافد على بلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها .

(٤) أثر الإسلام على العقيدة الهندوسية .

الفصل الأول

الإسلام وأثره
على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند

اصطلح كل من المؤرخين والجغرافيين على حد سواء، على إطلاق مصطلح شبه القارة الهندية، وبلاد الهند، على ذلك الامتداد الجغرافي الشاسع، وذلك التنوع السكاني الهائل لشعوب ذات أصول وعروق مختلفة، مارست أنماطاً ثقافية متعددة ومتباينة في لغاتها ولهجاتها ودياناتها وعاداتها وتقاليدها، والتي هي إما متوارثة بين شعوبها، أو وافدة عليها مع من وفد على بلاد الهند من شعوب وأجناس.

وقد أكد جدارتها لهذا اللقب، ما تبلورت فيه كل أشكال التباين والتنوع تلك في مظهر سياسي غلب عليه طابع الانقسام والتشرذم، ساد بلاد الهند معظم فترات تاريخها القديم وحتى الفترة الزمنية موضوع الدراسة.[1]

حيث لم تشهد هذه الرقعة الممتدة الأطراف قيام كيان سياسي موحد، بل قامت بها العديد من الممالك والدويلات المستقلة، غلبت على طبيعة العلاقات فيما بينها روح الصراع والتنافس على الأرض والثروة، كلٌ على حساب الآخر. وقد كانت سلطنة

(١) توحدت بلاد الهند في كيان سياسي واحد في فترتين لاحقتين، الأولى في عهد الإمبراطور المغولي، محي الدين أورنكزيب عالمكير الأول (١٠٦٨-١١١٨هـ)/(١٦٥٨-١٧٠٧م) والذي تمكن من بسط نفوذ دولته على بلاد الهند كافة بعد أن أخضع منطقة الدكن كلها لسيطرته، وإن كانت هذه الوحدة السياسية قصيرة الأجل، حيث أذنت وفاة أورنكزيب ١١١٨هـ/١٧٠٧م بانهيار دولة أباطرة المغول، بعد أن آلت السلطة من بعده إلى حكام ضعاف، كان آخرهم "سراج الدين بهادور شاه الثاني" (١٢٥٣-١٢٧٤هـ)/(١٨٣٧-١٨٥٨م) والذي خلعه البريطانيون ونفوه إلى بورما، وكانت تلك هي المرة الثانية التي تتوحد فيها بلاد الهند تحت راية واحدة، ولكن تحت وطأة الاستعمار البريطاني (١٨٥٧-١٩٤٧م).
للمزيد من التفاصيل مراجعة: الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، ج٢، ص٣٨٩-٤٥٢ - أيضاً: إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٣١٣-٣١٤ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٢٦٨-٣١٤، ص٣٥٨-٤١٣ - أيضاً: بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٨٦-٢٨٧.

دهلي (٦٠٢-٩٣٢هـ)/(١٢٠٦-١٥٢٦م) من أبرز تلك الكيانات السياسية التي حكمت بلاد الهند على مر تاريخها، والتي - رغم تذبذب نفوذها السياسي وامتدادها المكاني تبعاً لقوة أو ضعف حكامها، وكذلك كثرة ما مرت به من اضطرابات وتحديات داخلية وخارجية - شهدت واحدة من أزهى عصور الحياة الثقافية والعلمية التي مرت بها بلاد الهند على امتداد تاريخها.

وانطلاقاً من مبدأ أن النمط الثقافي لأمة من الأمم، متمثلاً في لغتها ومعتقداتها وعلومها وفنونها وآدابها، إنما يتكون من مجموعة من الروافد والمؤثرات التي امتزجت وتفاعلت مع عناصر البيئة المحلية، مكونة نمطاً ثقافياً يميز أمة عن أخرى، وأن هذا الامتزاج أو التفاعل إنما يحدث في إطار زمني قد يستغرق قروناً عديدة، تمر خلالها ثقافة هذه الأمة بالعديد من المراحل التي تشكل سلسلة متصلة الحلقات، إن فقدت إحداها، انفرط عقد البقية، وانتفى التسلسل المنطقي المنشود لإدراك تطورها وما انتهت إليه من سمات، لذلك اقتضت الضرورة تتبع تلك المراحل وصولاً إلى ما انتهت إليه في الفترة الزمنية موضوع الدراسة.

ففي ظل هذا التنوع الذي شهدته بلاد الهند في مختلف مواردها البشرية منها والطبيعية، ليس من المستغرب إذاً أن ندرك مدى صعوبة أن تنشأ ثقافة واحدة بسيطة الأركان في بيئة متشعبة كبيئة تلك البلاد، بل الأكثر منطقية أن تتكون ثقافة مركبة قائمة على التوفيق والتعاون والتعايش بين تلك الروافد المختلفة، التي تدفقت لتصب فى البوتقة الثقافية لتلك البلاد، سواء الأصيل منها متمثلاً فى «الهندوسية»[1] التي كانت منتشرة اجتماعياً وثقافياً على نطاق واسع من جانب، أو الروافد الإسلامية المتغلبة سياسياً وعسكرياً متمثلة بصفة أساسية في العرب والفرس والأتراك النازحين من الأقاليم المتاخمة لبلاد الهند من جانب آخر.[2]

حيث حمل هؤلاء معهم الثقافة الإسلامية وما تقوم عليه من دين ولغة عربية

(١) الهندوسية: عبارة عن مجموعة من التقاليد والأوضاع التي تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم بعدما وفدوا على الهند واستعمروها، وقد قامت على نظام الطبقات مثل كشاتريا KASHTRIYA وفيشيا VAISHYA والطبقات الوسطى مثل راجبوت RAJPUT وتهاكور THAKUR وجات JAT و مارواري MARWARI وبانيا BANIA... وغيرها - أنظر: رشيد الدين خان، حضارة الهند المركبة، ص ٥٧ - كذلك: النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٣٦.

(٢) رشيد الدين خان، المرجع السابق، ص ٥٧.

وفارسية ثم ما ارتبط بهذه الثقافة من علوم كالتفسير، والفقه، والحديث، والنحو والبلاغة والأدب، والشعر...... إلى غير ذلك من العلوم التي وجدت في بلاد الهند مرتعاً خصباً ثرياً بحضارةٍ وبعلومٍ عريقةٍ متنوعة.

وقد نتج عن امتزاج تلك الثقافة الإسلامية الوافدة بروافدها المختلفة من لغات وعلوم مع العناصر الثقافية والعلمية في البيئة المحلية لبلاد الهند، قيام ثقافة مركبة غنية ومتنوعة جمعت بين كثير من سمات تلك الروافد في مخرج ثقافي رائع، وتلك نعمة أخرى، حبى الله بها بلاد الهند في تلك الفترة، فلولا اتخاذ تلك الروافد لخيار التعاون والتعايش دون المجابهة والصدام فيما بينها، لأدى ذلك بلا شك إلى خسارة فادحة ليس للحضارة الإسلامية فحسب، بل للإنسانية كلها.

وبناءاً على ما سبق، فإنه لدراسة الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند وكي نتمكن من رصد أبعاد صورتها العامة، يجب أن نتطرق إلى المراحل التي مرت بها تلك الثقافة انتهاءً إلى ما أصبحت عليه في الفترة الزمنية موضوع الدراسة، وهي الفترة ما بين أواخر القرن السادس الهجري / أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حتى منتصف القرن العاشر الهجري / أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

أولاً: الفتوحات العربية والإسلامية وأثرها في نشر اللغتين العربية والفارسية في الهندوستان

شهدت بلاد الهند أول عهد لها بالإسلام منذ فجر ظهوره، وذلك من جهتين (الأولى) وهي الأقدم زمنياً، عن طريق التجار العرب الذين وفدوا بحراً على السواحل الغربية لبلاد الهند، نظراً للصلات التجارية الموغلة في القدم والتي ربطت بين شبه الجزيرة العربية، وبلاد الهند، فلعبوا دوراً رئيسياً في نقل بضائع الهند غرباً إلى شبه جزيرة العرب ومصر ومنها إلى أوروبا، وكذلك شرقاً إلى موانئ الصين.[1]

(١) ت. و. أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد العبد، إسماعيل النحراوي، القاهرة ١٩٤٧م، ص ٢٢٥ - أيضاً: جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، بيروت، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٦٦٠-٦٦٢ - أيضاً، بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٥٧.

D.M. Dunlop: Arab Civilization to A.D 1500، Longman Librairie du liban، London-1971, pp. 11-15.

نظر ملوك الهند إلى التجار العرب على أنهم السبب الرئيسي في ثراء ممالكهم، فكانت لهم المكانة السامية والكلمة النافذة لدى هؤلاء الملوك ورعاياهم من الهندوس، ولما حمل هؤلاء التجار إلى بلاد الهند أول قبس من الإسلام إلى تلك المناطق وعملوا على نشره والدعوة إليه بين الهندوس، ساعدهم في ذلك تسامح ملوك الهند وتقديرهم للتجار العرب فمارسوا شعائرهم ودعوا إلى دينهم دون عائق، بل وسمح هؤلاء الملوك لمن شاء من رعاياهم الدخول في الإسلام دون بطش أو اضطهاد.[1]

أما الوسيلة (الثانية) فكانت الفتوحات العربية والإسلامية التي توالت على بلاد الهند، بقصد نشر الدين الإسلامي، وضم بلاد الهند تحت لواء الإسلام.

وقد كانت أولى المحاولات العسكرية الإسلامية لطرق أبواب الهند، تلك التي كانت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ)/(٦٣١-٦٤٣م) ووصلت إلى مدينة «تانة»[2]، و«بروص»[3]، الساحليتين، وكذلك إلى مدينة «الديبل»[4] في عام ١٥هـ/٦٣٣م، وإن كانت هذه المحاولة لم تلق قبولاً أو مباركة من الخليفة عمر رضي الله عنه، فصب جام غضبه على واليه على البحرين وعمان «عثمان بن أبي العاص الثقفي»

(١) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٢١٧-٢١٨.
-D.M. Dunlop: Arab Civilization to A.D 1500, p. 12.

(٢) تانة = من أشهر مدن إقليم لجرات، وهي مدينة ساحلية اشتهرت بتجارة الثياب، وتقع الآن على بعد (١٥ ميلا) شمال مدينة بومباي الحالية، على ساحل بحر العرب - أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٣٦٧ - كذلك - أبو المعالي أطهر المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، جزئين في مجلد، ط٢، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ج١، ص ٣١-٣٢. أيضاً - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٧١، ندوة إقليم الخليج على مر العصور، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٩٩٦م، ص ١١٠.

(٣) بروص = من أشهر مدن الهند الساحلية وأكبرها وهي تُسمى بهروج في ولاية لجرات، أنظر: المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ج١، ص ٣٠.

(٤) الديبل = من مدن إقليم السند، وكانت تقع غرب نهر السند عند أكبر مصب له في المحيط الهندي، وقد تمتعت بمكانة تجارية كبيرة، وقصدتها سفن التجار من عُمان والصين، وموقعها قريب من كراتشي الحالية في دولة باكستان وقد اندثرت الآن، أنظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ص ١٧٥ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٧٩ - أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، بيروت ١٩٨٩م، ص ١٦٧ - الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت ١٩٨٠م، ص ٢٤٩-٢٥٠ - كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، ط٢ بيروت ١٩٨٥م، ص ٣٦٩.

الذي أرسل أخاه «الحكم» على رأس هذه الحملة دون استشارته.[1]

وقد استمرت تلك المحاولات على استحياء في عهد كل من الخليفة «عثمان بن عفان» (٢٣-٣٥هـ)/(٦٤٣-٦٥٥م) وبعده في عهد الخليفة «علي بن أبي طالب» (٣٥-٤٠هـ)/(٦٥٥-٦٦٠م) واتبع ذلك محاولة أخرى في عهد معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ)/(٦٦٠-٦٧٨م)، وكانت جميعها موجه إلى إقليم السند من بلاد الهند.[2]

على أن أولى المحاولات الجادة والتي أتت بثمار ملموسة، تلك الحملة التي كانت في عهد الخليفة الأموي «الوليد بن عبد الملك» (٨٦-٩٦هـ)/(٧٠٥-٧١٥م) وتوجهت في عام ٩١هـ/٧١١م إلى بلاد الهند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي (ت - ٩٥هـ/٧١٥م) ابن أخ الحجاج بن يوسف الثقفي[3]، (٤١-٩٥هـ)/(٦٦١-٧١٤م) عامل الوليد بن عبد الملك على العراق، وقد نجح محمد بن القاسم في فتح السند كلها، وأسس دولة إسلامية على مساحة واسعة من هذا الإقليم، وقد كان هدفه مواصلة فتوحاته شرقاً حتى قنوج[4] - ولكن بوفاة الحجاج في عام ٩٥هـ/٧١٥م ثم من بعده الخليفة «الوليد بن عبد الملك»

(١) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الحرص على سلامة المسلمين، وربما لقلة خبرة العرب بحروب البحر، فأرسل رسالة إلى واليه هذا قال فيها "يا أخا ثقيف، حملت دوداً على عود، وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم" - أنظر: البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، ط بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٦٠٧ - كذلك - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، ص ٤٣ - النمر، المرجع السابق، ص ٧٢ - أيضاً: سهيل عبد الغفار، جهود محدثي شبه القارة الهندية الباكستانية، إدارة تحقيقات إسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام أباد، باكستان (د.ت)، ص ٢.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٧-٦٠٨، الساداتي، المرجع السابق، ج١، ص ٤٤، أيضاً - النمر، المرجع نفسه، ص ٧٢-٧٣.

(٣) الترجمة الكاملة للحجاج بن يوسف الثقفي، راجع - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ٧ أجزاء، ط دار صادر، بيروت ١٩٧١م، ج٢، ص ٢٩-٥٤، كذلك ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤ج،/٧مج، ط٥، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مج٥، ج٩، ص ١٢٥-١٤٨.
-M.G. Rawlinson, India: A Short Cultural History, London 1952, p. 223.

(٤) قنوج = من أشهر مدن بلاد الهند، وتقع في الشمال الشرقي، محصورة بين سفوح جبال الهيمالايا و نهر الجانج الذي يجري إلى الغرب منها، لذلك سميت بـ "مدديش" أي (واسطة الممالك) لأنها بين النهر والجبل - وهي معتدلة المناخ، حصينة وتمتلك ثروة نباتية وحيوانية كبيرة - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٨٠ - أيضا - البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٠ - الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٩٤ - ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٥٢ - أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٤.

وتولى الخليفة «سليمان بن عبد الملك» (٩٦-٩٩هـ)/(٧١٥-٧١٨م) الذي كان على عداء مع الحجاج وأسرته، توقفت تلك الفتوح بل وأمر الخليفة سليمان بالقبض على القائد الشاب، الذي احتجز في محبسه بـ«واسط»* حتى توفي في عام ٩٥هـ/٧١٥م.[١]

ورغم توقف الفتوحات الإسلامية لفترة طويلة، إلا أن شوكة المسلمين في المناطق التي فتحها محمد بن القاسم ظلت محتفظة بقوتها، واستمر تتابع ولاة الدولتين، الأموية (٤١-١٣٢هـ)/(٦٦١-٧٥٠م)، والعباسية (١٣٢-٦٥٦هـ)/(٧٤٩-١٢٥٨م) على حكمها:[٢]

وبتولي الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)/(٨١٣-٨٣٣م) عاد الاهتمام مرة أخرى بفتوح السند حتى وصل نفوذ الإسلام فيها في عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ)/(٨٣٣-٨٤٢م) إلى المنطقة الواقعة بين «كابل» وكشمير والملتان.[٣]

ونتيجة لضعف خلفاء بني العباس في بغداد، أخذت عدة أقاليم في الانفصال تدريجياً عن سلطة بغداد، وكانت ولاية السند من جملة تلك الأقاليم، وقد انقسمت إلى قسمين، شمالي عاصمته «الملتان»، وجنوبي عاصمته «المنصورة»[٤].[٥]

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٩-٦١٠ - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ط١، القاهرة (د.ت)، ص ١١٣ - القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط١، بيروت ١٩٦٤م، ج١، ص١٣٥ - غلام رسول مهر، تاريخ سندهي، ط كراتشي، باكستان (د.ت)، ص ٧٦، أحمد رجب محمد علي، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، ط١، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٤-١٦ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، مجلة ثقافة الهند، مج٤٨، ع(١-٢)، ١٩٩٧م، ص ٥٦ - جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، بيروت ١٩٧٩م، ص ٢٣٢-٢٣٥ - سهيل عبد الغفار، جهود محدثي القارة الهندية، ص ٣ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٧٣-٧٥ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ط٥، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٣٨.

(٢) أنظر قائمة بمن تولى حكم ولاية السند من الولاة الأمويين والعباسيين - أ. ثوون زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، طبعة دار الرائد العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤١٥-٤١٦.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٢٦، غلام رسول مهر، تاريخ سندهي، ص ٧٩.

(٤) المنصورة = مدينة محدثة، بناها أبو جعفر المنصور في صدر ولايته فنسبت إليه، واسمها بالسندية "برهمناباذ" وهي أشبه بجزيرة يحيط بها خليج من نهر السند - أنظر: الاصطخري: مسالك الممالك، ص ١٧٢ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٧٩، الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٩.

(٥) سهيل عبد الغفار، جهود محدثي شبه القارة الهندية الباكستانية، ص ٣ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٧٨ - غلام رسول مهر، تاريخ سندهي، ص ٨٢.

وقد استمر الحكم العربي لإقليم السند ما يقرب من المائتي عام تقريباً (٩٥-٢٩٠هـ)/(٧١٥-٩٠٣م) مما كان له أبعد الأثر في الإتيان بثمار يانعة في ثقافة تلك المنطقة من بلاد الهند في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام، كان أبرزها، انتشار اللغة العربية في تلك المناطق، فهي لغة الدين الإسلامي، والفاتحين الأوائل، ولغة الأسر العربية التي وفدت على ولاية السند تبعاً للفتح الإسلامي واستمرت في التوافد طوال فترة الحكم العربي لها متمثلاً في الولاة الأمويين والعباسيين، وبمرور الوقت ونتيجة لاختلاط العنصر العربي بالعناصر الهندوسية - الذين ازداد إقبالهم على الإسلام لما لمسوه فيه من تسامح ومساواة انتشلتهم من معاناة النظام الطبقي في الديانة الهندوسية - نالت اللغة العربية بوصفها لغة القرآن والحديث المكانة السامية في نفوس المسلمين الجدد وصارت جنباً إلى جنب مع اللغة السندية في تلك المنطقة.[١]

ولعل ما ذكره المقدسي بأن «ديبل بحرية أحاط بها نحو مائة قرية... كلها تجار وكلامهم سندي وعربي»[٢] خير تعبير عن ذلك.

وبما أن اللغة العربية كانت بالطبع هي لغة الحكم والإدارة طوال تلك الفترة، كما أن الولاة العرب، لم يترددوا في الاستعانة بالهنود في النواحي الإدارية لخبرتهم ودرايتهم بأحوال بلادهم، فلنا أن نستنتج أن عدداً كافياً من الهنود، تعلموا اللغة العربية، أو على الأقل أخذوا من الكلمات العربية الكثير، واستخدموها في لغتهم، فتأثرت بها من حيث النطق والكتابة.[٣]

كما كان من أثر الحكم العربي لإقليم السند، أن قصد كثير من العلماء من شتى بقاع العالم العربي والإسلامي هذا الإقليم، واتخذوه مقاماً لهم، يدعون فيه إلى الإسلام، وينشرون العلم والثقافة الإسلامية به، ويساهمون بجهودهم في علوم الحديث والفقه والتفسير وغيرها.

وقد أمدتنا كتب التراجم والطبقات بتراجم كثير من «الرعيل»* الأول من العلماء

(١) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٦٠ - أيضاً: أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٥٦-٥٧ - كذلك، خالد الحامدي، علوم الحديث النبوي في الهند، مجلة ثقافة الهند، مج٤٧، (العدد ١-٤)، ١٩٩٦م، ص ٧.

(٢) المقدسي، المصدر السابق، ص ٤٧٩.

(٣) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٥٩ - أيضاً - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٥٧.
-S.M. IKRAM, Muslim Civilization in India, New York & London, 1964, p. 190.

الذين قصدوا بلاد الهند في القرنين الأول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين)، ممن أرسوا قواعد الإسلام واللغة العربية وعلومهما في هذا الميدان الجديد من ميادين الجهاد.[1]

وعلى الجانب الأخر، سافر علماء من السند والهند إلى عاصمة الخلافة العباسية (بغداد)، لينهلوا من معين اللغة العربية ويساهموا في تعريب كثير من علوم الهند كالرياضيات والطب والفلك والفلسفة... إلخ.[2]

فوجدنا منهم من نبغ في الشعر العربي مثل «أبو عطاء السندي»[3]، وكان من شعراء الدولتين الأموية (٤١-١٣٢هـ)/(٦٦١-٧٥٠م)، والعباسية (١٣٢-٦٥٦هـ)/(٧٤٩-١٢٥٨م).[4] ومنهم من نبغ في اللغة العربية والأدب والشعر، مثل «ابن الأعرابي»[5] (١٥٠-٢٣١هـ)/(٧٦٧-٨٤٦م)، كما ساهم علماء السند في خدمة السنة المطهرة، عن طريق أعتنائهم بالأحاديث النبوية جمعاً وترتيباً وتدويناً، فذكر المقدسي (ت. ٣٨٧هـ/٩٩٧م) عند زيارته إقليم السند أنه «وجد أكثر أهلها أصحاب حديث»، كما لقي بها فقهاء على مذهب الإمام «أبي حنيفة»[6].[7]

(١) المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ج١، ص ٤٥-٢٩٧ - أيضاً: الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦٦هـ/١٩٤٢م، وهو خاص بتراجم علماء الهند من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري.

(٢) سبق لهارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)/(٧٨٦-٨٠٩م)، أن استدعى الطبيب الهندي منكه إلى بغداد لمداواته، كما أمر البرامكة بنقل كتب الطب الهندي إلى اللغة العربية: أنظر: الساداتي، المرجع السابق، ص ٦٠-٦١ - أيضاً - عبد الحكيم بلبع، أدب المعتزلة إلى القرن الرابع الهجري، ط القاهرة ١٩٥٩م، ص ٨٩.

(٣) هو أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ت بعد ١٨٠هـ/٧٩٦م - أنظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٢٨١-٢٨٢ - أيضاً: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م، ج١، ص ٢٢٨-٢٣٠.

(٤) الساداتي، ت. المسلمين في شبةالقارةالهندية وحضارتهم، ص ٦١ - أيضاً: أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٥٧.

(٥) هو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (١٥٠-٢٣١هـ)، وكان أبوه عبداً سندياً، وله مصنفات منها كتاب "النوادر" وكتاب "الأنواء"، وكتاب "تاريخ القبائل".. راجع: أبو الفدا - المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ٥٣.

(٦) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الكوفي، مولى تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة ٨٠هـ/٦٩٩م وكانت وفاته في عام ١٥٠هـ/٧٦٦م، وهوأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة وأقدمهم وفاة - أنظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٤٠٥-٤١٥ - أيضاً: الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٤ أجزاء، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص ٢١٤ - أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ١٤ج/٧مج، دار الحديث، ط٥، القاهرة ١٩٩٨م، مج٥، ج١٠، ص ١١٥-١١٦.

(٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٨١ - أيضاً: محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة=

ومن أشهر المحدثين من علماء السند والذين ذاع صيتهم في العالم العربى والإسلامي «أبو معشر نجيح السندي»[1] (ت. ١٧٠هـ/٧٨٦م) صاحب «المغازي».[2]

على أن هذه الفترة المزدهرة من الاهتمام باللغة العربية وعلومها في إقليم السند، وكذلك درجة انتشارها اللساني على المستوى الاجتماعي، لم يقدر لها أن تستمر طويلاً، فقد كانت الفتوحات الغزنوية (٣٨٧-٥٤٧هـ)/(٩٩٧-١١٥٢م) وخاصة فتوحات محمود الغزنوي* (٣٩١-٤١٧هـ)/(١٠٠٠-١٠٢٦م) - والتي كان الترك قوام جيوشها، وبها بدأ أوسع انتشار للدين الإسلامى في شبه القارة الهندية منذ بدأ الفتوحات الإسلامية - سبباً في بدء الانحسار التدريجي للغة العربية لتحل محلها اللغة الفارسية.[3]

فرغم أن الدولة الغزنوية كان لها الفضل الأكبر في نشر الإسلام بتعاليمه في مساحات شاسعة من بلاد الهند في سياسة مزدوجة من الفتح، ونشر الدعوة، - فما من مدينة فتحوها إلا وخلفوا فيها العلماء للقيام بتعليم أحكام الدين وإقامة الحياة الإسلامية الصحيحة بها[4] - إلا أن العهد الغزنوي كان بداية تنحية اللغة العربية، وفرض سيطرة اللغة الفارسية رويداً رويداً على مجريات الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في تلك الفترة، وإن كان هذا التنحي للغة العربية لم يتم بصورة مفاجئة، بل على مراحل، تمثلت

=للإسلام في القرن العاشر الهجري وأثرها في العقيدة، ط١، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٣٧.

(١) هو نجيح بن عبد الرحمن (أبو معشر السندي) مات في سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م وصلى عليه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)/(٧٨٦-٨٠٩م) - أنظر ترجمته في: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٤ أجزاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م، ج٤، ص ٢١٤ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٣٥-٣٦.

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٣٧ - أيضاً: أيوب تاج الدين، المرجع السابق، ص ٥٧ - أيضاً: عبد الحكيم بلبع، أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ص ٨٩.

(٣) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٩ - أيضاً: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ١٩٦ - أيضاً: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط القاهرة ١٨٦٨م، ص ٣١٩-٣٣٧ - أيضاً: الساداتي، المرجع السابق، ص ٢٠٠ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٣١٤ - محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٣٧.

(٤) يذكر ابن الأثير أن محمود الغزنوي عندما فرغ من قتال بهاطية من أعمال الهند، أصلح أمرها، ورتب قواعدها، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعلمه - أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص ٥٥.

في بقاء اللغة العربية لغة للثقافة والعلوم الدينية الإسلامية، فضلاً عن أن وجود خلافة عباسية في بغداد تمثل السلطة الروحية في العالم الإسلامي، إضافة إلى كونها بالطبع مهداً للغة العربية، أدى إلى استمرار اللغة العربية لغة رسمية في بداية العهد الغزنوي، حيث كانت تتم بها المكاتبات مع الخلافة في بغداد.[1]

وتدريجياً، أخذت اللغة الفارسية في فرض سيطرتها على كلا الجانبين، جانب الحكم والإدارة، ثم جانب الثقافة والعلوم والفنون والآداب.[2]

وقد استتبع هذا التغيير في لغة الحكم والإدارة، سعيَ الهندوس المتطلعين للوظائف الإدارية إلى تعلم اللغة الفارسية، وكذلك فعل المسلمين، الذين شرعوا في تعلم اللغة الفارسية تقرباً من الغزنويين حكامهم الجدد، ونظراً لما عرف به الغزنويون من حب للعلم واهتمام بالنواحي الثقافية، والذي تجلى في تقديرهم للعلماء والفضلاء وتشجيعهم المادي والمعنوي لجهودهم العلمية، فقد سعى العلماء إلى تعلم اللغة الفارسية، والتصنيف بها تقرباً منهم.[3]

وهكذا وجدنا البلاط الغزنوي وقد اجتمع به العلماء من شتى أنحاء العالم الإسلامي لتزدهر بهم الحياة الثقافية والعلمية في تلك الفترة ويخرجوا أروع المصنفات في مجالات العلوم المختلفة من شعر وأدب وتاريخ وطب وفلك ورياضيات وهندسة وفلسفة إلى غير ذلك.[4]

---

(١) نظام الدين أحمد بخشي الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٣٣ – أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٥٨، – كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، القسم السابع (١٢)، ترجمة: غريب محمد غريب، آخرون، الفصل السادس، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٤٠.

(٢) أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٥٨ – كذلك، عبد الحي الحسني الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ط دمشق ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، ص ٤٤.

(٣) إسماعيل العربي، الإسلام التيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٦١، أيضاً: عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص ٣٢٢ – مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، ص ٤٠.

(٤) لعل من أشهر هؤلاء، أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) والذي لقي ترحيباً مادياً ومعنوياً في بلاط محمود الغزنوي، حتى صنف مصنفات جليلة في تاريخ الهند وعلومها، وكذلك أبو الفضل البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)/(٩٩٤-١٠٦٦م) صاحب تاريخ بيهق وكذلك "الفردوسي" (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) أشهر شعراء عصره، صاحب الشاهنامه، والشاعر مسعود بن سعد بن سليمان اللاهوري (ت. ٥١٥هـ/١١٢١م) الذي اختاره السلطان إبراهيم الغزنوي (٤٥١-٤٩٢هـ)/(١٠٥٩-١١١٥م) معلماً لابنه، وغيرهم كثيرون. أنظر: البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، =

وجدير بالذكر أنه برغم توافرالأجواء المواتية لانتشار اللغة الفارسية في بلاد الهند، متمثلة في حكام اللغة الفارسية هي لسانهم وثقافتهم، إضافة إلى عناصر بشرية دائمة التوافد من مناطقٌ تسودها اللغة الفارسية، قوامها الترك والفرس والأفغان، إلا أن الفارسية لم تنتشر على المستوى الشعبي بقدر ما كانت لغة الحكم والإدارة، حيث ظل الهنود الذين اعتنقوا الإسلام على لغتهم ولهجاتهم الأم.

وبطبيعة الحال، ومع مرور الوقت، وبحكم الضرورة، اختلطت اللغة الفارسية مع اللغة العربية واللغات الهندية المحلية في هذه البيئة الثقافية الخصبة المتعددة الروافد، فنتج عن هذا الاختلاط لغة جديدة، عرفت بلغة «هندوي» أو «الهندوستانية» والتي أطلق عليها فيما بعد اسم لغة «الأردو»[1].[2]

على أن اللغة العربية ورغم كل هذه التحديات، ظلت لها مكانة خاصة وسامية في بلاد الهند، لا نستطيع أن نقيسها بمعيار الانتشار، بقدر ما نتلمسه من التقدير والاحترام والإجلال الذي لقيته بحكم أنها لغة القرآن وعلومه.[3]

وتصور لنا رحلة ابن بطوطة (ت. ٧٧٩/١٣٧٧م) إلى بلاد الهند والتي استمرت ما يقرب من الثماني سنوات من ٧٣٤هـ/١٣٣٣م وحتى ٧٤٣هـ/١٣٤٢م في عهد السلطان الدهلوي محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م) تلك المكانة التي احتلتها اللغة العربية وعلماؤها، وكذلك شراح التعاليم الدينية باللغة العربية في بلاد الهند، ولعل الحفاوة والتقدير الذين حظي بهما هذا الرحالة المغربي لتقوم أبرز دليل على ما لقيته اللغة العربية وأهلها من تقدير في بلاد الهند.[4]

ص =٥-١٢، البيقهي، تاريخ بيهق، ترجمة: يحيي الخشاب، صادق نشأت، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٥٦م – أيوب تاج الدين، المرجع السابق، ص ٥٨، عبد الحي الحسني الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص ٤٤ – عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(١) الأردو: كلمة تركية تعني المخيم أو "المعسكر" أي اللغة التي تفاهم بها العسكر والجند الفاتحين وكانت خليط من عدة لغات – أنظر: النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٢٢.

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٦١ ـ أيضاً ـ ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة: نبيل صلاح الدين، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ج١، ص١٣٠-١٣١.

(٣) خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، مجلة ثقافة الهند، مج ٤٧، العدد (١-٤)، ١٩٩٦م، ص ٧.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٧٣-٤٨١، ٥١٥-٥٢٩ – كذلك ـ حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ط دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٦٠-١٦٤.

ويمدنا ابن بطوطة في سياق حديثه بالعديد من المواقف والتي قامت دليلاً على مكانة اللغة العربية في بلاد الهند، فيروي كيف أنه امتدح السلطان محمد تغلق شاه بقصيدة طويلة قرأها عليه، فاستحسنها السلطان وسر بها سروراً كبيراً بل وأصر على أن يقرأها ابن بطوطة كاملة، وقاضي القضاة «كمال الدين الغزنوي» يبين له معانيها وعلق ابن بطوطة على ذلك بأنهم «يحبون الشعر العربي» .[1]

وفي حادثة أخرى، يرويها ابن بطوطة في سياق حديثه عما لاقاه في بلاد الهند من تقدير وإعزاز من قبل السلطان ورجال بلاطه، ونستشف منها استمرارية اللغة العربية بقدر مرموق في بلاد الهند، أن السلطان محمد تغلق شاه قد أمر بتوليته «قضاء دهلي» فأراد بن بطوطة التنصل متعللاً بأنه على «مذهب مالك»[2]، وهؤلاء «حنفية» قاصداً مسلمي الهند، وأضاف: «وأنا لا أعرف اللسان» قاصداً الهندية، ثم ذكر أن السلطان «كان يفهم اللغة العربية، ولا يحسن الجواب بها» وقد أجابه السلطان بأنه قد عين له من ينوب عنه ويشاوره، وهما الشيخان «بهاء الدين الملتاني»، و «كمال الدين البجنوري»، وكلاهما من العلماء الهنود، لدرايتهم باللغة العربية، وإمعاناً في تواضع هذا السلطان وتقديره لابن بطوطة يطالبه بقبول المنصب، ذاكراً أنه عنده بمقام الولد، فيرد ابن بطوطة «بل عبدكم وخديمكم»، وهنا يرد السلطان باللسان العربي: «بل أنت سيدنا ومخدومنا»[3] ورغم ما في هذا التعبير من مبالغة في التواضع من سلطان بلاد الهند، إلا أنه أبلغ تعبير عما كانت تشغله اللغة العربية وأربابها من مكانة سامية.

ومن جهة أخرى فقد أمدتنا كتب التراجم والطبقات ومعاجم المؤلفين والمصنفين بأسماء العديد من علماء الهند الذين نبغوا في العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٥٢٦-٥٢٧.

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة، ينتهي نسبه إلى قبيلة يمنية وهي ذو أصبح، ولد سنة ٩٣هـ/٧١٢م في المدينة المنورة، وتوفي بها سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م ودفن بالبقيع وهو ابن خمس وثمانين سنة. أنظر. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٨٤-٢٨٧ - أيضاً - ابن قنفذ، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، ط٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٤١-١٤٢ - أيضاً: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٤ أجزاء، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٤، ص ٦-٧ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ج، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج١، ص ٢٨٩-٢٩٢.

(٣) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٢٥.

وغيرها، وكذلك من نبغ منهم في اللغة العربية من بلاغة وأدب وشعر، ووضعوا في ذلك مصنفات عديدة، منها ما كان مختصاً باللغة العربية، ومنها ما جمع بينها وبين اللغة الفارسية، حيث صنف الشيخ العالم الفقيه «شهاب الدين الكتكلاني» (ت. ٨٧٥هـ/١٤٧٠م) كتابه الذي أسماه «فتاوى إبراهيم شاهية» في جزئين، الأول باللغة الفارسية ويشتمل على العبادات، والجزء الثاني والأخير باللغة العربية، وهو يحوي أحكاماً فقهية في المعاملات .[1]

إلى غير ذلك من الأمثلة التي سنعرض لها فيما بعد في سياق تناول العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند .[2]

ولعله من الأهمية بمكان أن نذكر ولو على عجالة التأثير الذي كان للغة العربية على سك العملة ببلاد الهند، حيث عثر على نماذج عديدة لعملات ذهبية وفضية ونحاسية وبرونزية سكت في عصر سلطنة دهلي، والممالك التي استقلت عنها، وقد ضربت جميعها باللغة العربية .[3]

وقد كان السلطان شمس الدين التمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م) هو أول من سك العملة باللغة العربية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي، وظلت اللغة العربية هي لغة سكك العملة في عهود من تلاه من سلاطين لدهلي طوال حكم خمس أسرات [4].

وقد شذ عن هذه القاعدة، عملة تذكارية ضربت في عصر السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م) واستمر سكها فيما بين عامي (٧٣٠-٧٣٢هـ)/(١٣٢٩-١٣٣١م) وقد جمعت بين اللغتين العربية والفارسية.

(١) مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، ص ٤٠.

(٢) أنظر فيما بعد، الفصل الثاني من كلا البابين الأول والثاني.

(٣) ريتشارد بلانت، النقود العربية والإسلامية، ترجمة: بسام سروج، إبراهيم سروج، ط١، طرابلس، سوريا ١٩٩٤م، ص ٧٣-٩٠ ـ ملحق رقم (٣) نماذج لعملات سُكت باللغة العربية في عصر سلطنة دهلي.
Amiteshwar Jha، Medieval India Coinages، a Historical and Economical Perspec--tive، Mumbai ،٢٠٠١، p. ٣١-٦٢.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٦٨.

حيث كتب على ظهر هذه العملة وهامش وجهها العبارة الفارسية:-

«مهر شد تنكه رائج در روزكار بنده اميدوار محمد تغلق».

وتعني: «مهرت كمسكوكة رائجة في عهد العبد طالب الرحمة محمد تغلق».

وهي حالة استثنائية إذ لن تظهر اللغة الفارسية في سك العملة حتى وقت متأخر وتحديداً في عصر دولة أباطرة المغول في الهند (٩٣٢-١٢٧٤هـ)/(١٥٢٦-١٨٥٨م).

أما وسط وجه هذه العملة التذكارية، فقد كتب عليه عبارة:-

«من أطاع السلطان فقد أطاع الرحمن».[1]

وباستثناء تلك الحالة، فقد انفردت اللغة العربية كلغة سك العملة في عصر سلطنة دهلي.

ثانياً: علاقة سلاطين دهلي بالخلافة العباسية وأثرها على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند

استمرت الخلافة الإسلامية بدءاً من الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ)/(٦٣٢-٦٦١م)، مروراً بالخلافة الأموية (٤١-١٣٢هـ)/(٦٦١-٧٥٠م) وانتهاءً بالخلافة العباسية في بغداد (١٣٢-٦٥٦هـ)/(٧٤٩-١٢٥٨م) في النظر إلى بلاد الهند بصفتها ولاية تابعة، بداية من اقتصار نفوذ الإسلام فيها على إقليم السند، وانتهاءً بتلك الرقعة الشاسعة الامتداد والتي كانت تابعة للدولتين الغزنوية (٣٣٦-٥٨٢هـ)/(٩٧٧-١١٨٦م) ثم «الغورية»[2] (٣٩٠-٦١٢هـ)/(١٠٠٠-١١٢٥م).

ثم جاءت وفاة «شهاب الدين الغوري» (٥٩٩-٦٠٢هـ)/(١٢٠٣-١٢٠٦م)، في عام ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م إيذاناً بتغير تلك النظرة، حيث أصبحت بلاد الهند وللمرة الأولى

(١) ريتشارد بلانت، النقود العربية والإسلامية، ص ٨١.

(٢) الدولة الغورية: نسبة إلى إقليم جبلي وعر وهو الإقليم الأوسط من أفغانستان، ظل سكانه على وثنيتهم حتى الثلث الأول من القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري تقريباً، حتى عرفوا الإسلام على يد الغزنويين الذين اتخذوا منهم جنداً ومن أمرائهم نواباً لهم، حتى أفل نجم الغزنويين واستولى الغور على أملاك دولتهم فشمل حكم الدولة الغورية خراسان وأفغانستان وشمالي الهند، على أن حكمهم للهند بدأ اعتباراً من عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م - أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٥١-٥٢ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٩٨-٩٩ - أيضاً: بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٥٢-٢٥٣.

منذ دخولها تحت لواء الإسلام دولة مستقلة، بعد أن انتهز قطب الدين أيبك (٦٠٢-٦٠٧هـ)/(١٢٠٦-١٢١٠م) مملوك شهاب الدين الغوري ونائبه على حكم الهند، فرصة انشغال خلفاء سيده في الصراع على الحكم واستقل فعلياً بالحكم فيها، وعندما رأى «غياث الدين محمود» (٦٠٢-٦٠٩هـ)/(١٢٠٦-١٢١٢م) خليفة شهاب الدين أن أيبك هو الحاكم الفعلي للهند وقائد جيوشها، لم يجد بدأ من إقراره عليها بل وإقطاعها له بعد أن أعتقه وأرسل إليه بإمارات السلطنة ولقبه بالسلطان، فجلس قطب الدين أيبك على عرش الهند في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي القعدة من عام ٦٠٢هـ/١٢٠٦م مستهلاً ما عُرف باسم دولة المماليك في الهند.[1]

وقد بدأت المراسلات بصورة مباشرة بين سلاطين دهلي وخلفاء بني العباس بدءاً من سلطنة شمس الدين ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م) والذي سعى إلى نيل رضا الخلفاء في بغداد، فأرسل الشيخ «حسن الصغاني»[2] (ت. ٦٥٠هـ/١٢٥٢م) برسالة إلى الخليفة «الناصر لدين الله بن المستنصر بأمر الله» (٥٧٥-٦٢٢هـ)/(١١٧٩-١٢٢٥م) يطلب فيها التفويض بحكم الهند، توطيداً لنفوذه وترسيخاً لقواعد سلطنته، وقد عاد الشيخ الصغاني بالتفويض الخلافي إلى بلاد الهند عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م.[3]

ثم عاد ألتمش إلى طلب التفويض الخلافي من الخليفة «المستنصر بالله» (٦٢٣-٦٤٠هـ)/ (١٢٢٦-١٢٤٢م) وأرسل له رسالة بهذا المضمون صحبة الشيخ الصغاني في عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م والذي عاد إلى بلاد الهند في عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م حاملاً التفويض

(١) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ٥٤ - أيضاً: الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٩٤ - كذلك: عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص ١٠٥ - محمد أبوالقاسم هندوشاه، تاريخ فرشته، ط بمبئي ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م، جزئين، ج١، ص ٢١٤.

(٢) هو "رضي الدين أبو الفضائل حسن بن محمد بن حسن ابن حيدر بن على العدوي العمري الصغاني" ولد بلاهور عام ٥٥٧هـ/١١٨٢م وكان محدثاً لغوياً فقيهاً. له مصنفات عديدة أبرزها "مشارق الأنوار" جمع فيها عدد من الأحاديث الصحاح، توفي ببغداد ٦٥٠هـ/١٢٥٢م. ترجمته أنظر: ابن أبى الوفاء القرشي، الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ٥ أجزاء، ط٢، القاهرة ١٩٩٣م، ج٢، ترجمة رقم (٤٧٥)، ص ٨٢-٨٣ - أيضاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ط١، بيروت ١٩٩٢م، ج٧، ص ٢٦-٢٧ - القنوجي، أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ٣ أجزاء، ج٣، ص ٢١٦-٢١٧ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٠٥-١٠٨.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ص ١٠٥- ، يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة (د.ت)، مج ٢، ص ١٢٠٨.

الخلافي لألتمش، وكان من مبلغ سعادة وفخر السلطان، أن جعل الخطبة باسمه على المنابر كما سك العملة باسم الخليفة المستنصر، فيما يُعد أول عملة هندية تُضرب باللغة العربية في بلاد الهند .[1]

وقد استغل «الشيخ الصغاني» فرصة رحلاته المتكررة إلى بغداد في اكتساب العلم وكذلك قام بالتدريس والإفادة في بغداد، كما استمع لكبار العلماء من الفقهاء والمحدثين، أثناء وجوده بمكة للحج فجاور مدة، ثم دخل عدن وحصّل العلوم فيها قبل عودته إلى بلاد الهند للمرة الأولى في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، فمكث بها سبع سنوات حتى عاد مرة أخرى إلى بغداد في عام ٦٢٤هـ/١٢٢٨م وظلت رحلاته مستمرة إلى بغداد حتى عهد الملكة رضية الدين ابنة ألتمش (٦٣٤-٦٣٧هـ)/(١٢٣٦-١٢٣٩م)، والتي سارت على نهج أبيها في السعي لكسب رضا الخلفاء العباسيين، وقد حمل إليها «الشيخ الصغاني» التفويض بحكم بلاد الهند من قبل الخليفة «المستنصر بالله»[2]، ثم عاد إلى بغداد في عام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م .[3]

ومما لا شك فيه أن اختيار سلاطين الهند للشيخ الصغاني للاضطلاع بمهمة الرسول إلى الخلافة العباسية في بغداد، قد أتاح له فرصة رائعة لاكتساب العلم على يد كبار العلماء في كبرى المدن الإسلامية، كبغداد، ومكة وعدن، فأثرت معارفه، وأكسبته

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٦٨- الساداتي، ت. المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٩٨-
-Longman's History of India, pp. 254, 269.
Stan Goron and J. P. Goneka: The Coins of the Indian Sultanates, New Delhi, 2001, p. 187.

(٢) يناقض موقف المستنصر في مباركته لحكم رضية الدين في بلاد الهند، ما قام به خلفه "المستعصم" (٦٤٠-٦٥٦هـ)/(١٢٤٢-١٢٥٨م) من تقريع أمراء المماليك في مصر وتعنيفهم لسماحهم بأن تتولى حكم مصر امرأة هي شجر الدر ٦٤٨هـ/١٢٥٠م قائلاً في رسالته "إن كانت الرجال قد عدمت من عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً" ولعل السبب في ذلك كون شجر الدر أمة من إماء الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ)/(١٢٤٠-١٢٤٩م) في حين أن رضية الدين حرة ومن أصول ملكية - أنظر: ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة ١٩٧١م، ص ١٣.

(٣) ابن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٨٣ - السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزئين في مجلد، ط (القاهرة) ١٩٠٨، ج١، ص ٥١٩ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٠٥.

الكثير من العلوم والخبرات، فعاد ليدلي بدلوه في الحياة الثقافية والعلمية في سلطنة دهلي طيلة سبع سنوات .

وقد وصل هذا العالم إلى درجة من العلم جعلت كثيراً من العلماء يعترفون له بالفضل والإتقان في الفقه والحديث واللغة .[1]

وقد استمرت علاقة سلطنة دهلي بالخلافة العباسية في بغداد في عهد السلطان ناصر الدين محمود بن ألتمش والذي حكم ما يقرب من العشرين عاماً (٦٤٤-٦٦٤هـ)/(١٢٤٦-١٢٦٥م)، حيث وصلته في بدايات حكمه لسلطنة دهلي خلع الخلافة، والتفويض بحكم بلاد الهند، فقام بدوره بالدعاء للخليفة على المنابر وضرب السكة باسم الخليفة «المستعصم» .[2]

ورغم أن القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، قد شهد نكبة كبرى أصابت العالم الإسلامي تمثلت في هجمات المغول، والتي أشاعت الخراب والدمار في كل ما صادف طريقها، تلك النكبة التي وصلت إلى ذروتها ببلوغ المغول بغداد وقتلهم للخليفة المستعصم وإسقاط الخلافة العباسية وذلك في عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، إلا أن سلاطين دهلي استمروا على ولائهم وتعلقهم بأهداب الخلافة، وظلت العملات في بلاد الهند تضرب باسم الخليفة «المستعصم» حتى عهد السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م)، رغم مرور سنوات عديدة على مقتله .[3]

(١) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص ٣٤٣ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط بيروت (د.ت)، ج٥، ص ٢٥٠ - الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٠٦.

(٢) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص ٦٧ - أيضاً: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٧٣-
-Stan Goron and J. Pgoneka: The Coins of the Indian Sultanates, p. 188.

(٣) الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص ٦٧ - أيضاً - أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٢٣٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٢٢٦-٢٣٠، أيضاً - ابن خلدون، العبر، مج٥، ص٣٢٤، ص٤٢٤-٤٣٧ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٢٥٩-٢٦٠، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق: أحمد حطيط و فهمي سعد، ٣ مجلدات، ط١، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، مج٢، ص ١٩٤-٢٠٠ - أيضاً - حامد زيان غانم، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية فى ظل دولة المماليك، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٨ - ريتشارد بلانت، النقود العربية والإسلامية، ص ٧٧-٧٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٩٥ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١١٣ - مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى، ص ١٧٣-١٨١.

وقد كان لهجمات المغول على شرق العالم الإسلامي انتهاءً بإسقاطهم الخلافة العباسية في بغداد الكثير من الانعكاسات على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، حيث نزحت إلى بلاد الهند أفواجاً كبيرة من العلماء والصلحاء وكذلك الأسرات الشريفة هرباً من بطش وعسف المغول، وكان من جملة هؤلاء أشراف وسادات البيت العباسي، والذين أنشأ لهم السلطان غياث الدين بلبن مقرات خاصة لإقامتهم، تليق بمكانتهم السامية، أطلق عليها اسم «محلة عباسي» وكان يفخر باختيارهم الإقامة في بلاده ويبذل لهم كل أنواع الرعاية والتكريم .[1]

كما كان من جملة هؤلاء النازحين إلى بلاد الهند علماء أجلاء بارعين في مختلف العلوم، من تفسير وحديث، وفقه، ولغة عربية ونحو وبلاغة، وكلام[2]، فانتشرت اللغة العربية وعلومها، كلغة للدين الإسلامي وعلومه، وظهر في أرض الهند عشرات من المحدثين والفقهاء والأدباء والشعراء، ساهموا في احتلال الهند مكانة كبرى ودوراً بارزاً في إثراء الثقافة الإسلامية .[3]

كما كان لوفود هذا العدد الكبير من العلماء من شتى أقطار العالم الإسلامي - والذين وصفهم المؤرخ «ضياء الدين البرني» (ت. ٧٦٠هـ/١٣٥٩م) بقوله: «إن كل واحد منهم كان وحيد العصر في جميع الفنون من المنقولات والمعقولات، ولم يكن لأحد منهم في ذلك العصر، نظير في العالم كله....»[4] - أن أنشأت في بلاد الهند مدارس كثيرة على غرار مدارس الحجاز ودمشق وبغداد والقاهرة، حتى أقبل المسلمون على تحصيل العلوم

(١) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٤٧ - كذلك - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ٨-٩ - عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص ١١٣.

(٢) علم الكلام: هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير، وإلزامها إياه بإيراد الحجج الدينية، والمراد بالعقائد ما يُقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم، وهو علم يفيد تثبيت العقيدة في النفس وفي إفحام المخالف وإلزامه. أنظر: الشريف الجرجاني، شرح المواقف، ط١ - مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، ٨ أجزاء في ٨ مجلدات، ج١، ص ٣٤ - أيضاً - سعد الدين التفتازاني، تهذيب المنطق والكلام، نسخة مصورة من طبعة دار السعادة، القاهرة ١٩١٢م، ص ٨-٩ - القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص ٤٤٠-٤٥٣.

(٣) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٤٧ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ٨-٩.

(٤) ضياء الدين البرني، تاريخ فيروز شاهي، طبعة كلكته ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، ص ٣٥٢-٣٥٣.

والآداب، وفي القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) تأسست المدارس لأول مرة برعاية الدولة، حتى أصبحت مدينة دهلي وحدها بحلول عهد السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م) حافلة بألف مدرسة، منها مدرسة واحدة للشافعية، وباقيها للحنفية، كما أصبحت دهلي تضم ثروة هائلة من المخطوطات العربية التي أنقذت من عبث المغول .[1]

وقد كان من أبرز آثار سقوط الخلافة العباسية في بغداد، أن أصبح العالم الإسلامي ينقسم إلى قسمين، كانت الثقافة الرفيعة في أحدهما قاصرة على اللغة العربية، في الوقت الذي كان فيه القسم الثاني يستخدم اللغتين العربية والفارسية جنباً إلى جنب لأغراض مختلفة .[2]

ولم يكن سقوط الخلافة العباسية في بغداد، نهايةً لعهد سلاطين دهلي بالخلافة، إذ لم تلبث أن قامت في القاهرة «خلافة عباسية»، في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ)/(١٢٦٠-١٢٧٧م) وهو الذي سعى جاهداً من أجل إحيائها حتى تم له ما أراد في عام ٦٥٩هـ/١٢٦١م .[3]

(١) محمد أبو القاسم هندوشاه، تاريخ فرشته، ج٢، ص ٦٩ - أيضاً إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٢) ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، ج١، ص ١٣١.

(٣) سبقت محاولة الظاهر بيبرس لإحياء الخلافة العباسية محاولات عدة منها محاولة الملك "الناصر يوسف" صاحب دمشق (٦٤٨-٦٥٨هـ)/(١٢٥٠-١٢٦٠م)، ثم محاولة الملك المظفر قطز ٦٥٧هـ/١٢٥٩م، حيث حالت مداهمة المغول للملك الأول ومقتل الثاني على يد أقرب قواده دون تحقيق هدفهم، الذي نجح فيه بيبرس وقددفع بيبرس إلى التفكير في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، إحساسه بالحاجة إلى التأييد الشرعي لملكه= =ولتوطيد نفوذه في وجه أعدائه المتربصين به من بقايا البيت الأيوبى ببلاد الشام على رأسهم الملك الناصر يوسف من جهة، ومن جهة أخرى "المغول" الذين اتخذوا من بغداد مركزاً لهم مهددين به الشام ومصر، هذا بالإضافة إلى ما عرف عنه من اغتصابه العرش بعد أن قتل الملك المظفر قطز - كما أن حامي حمى الخلافة، والمشرف على الحرمين الشريفين لابد وأن يكون هو صاحب السيادة العليا على ما عداه من ملوك وحكام - وقد كان أول الخلفاء العباسيين بالقاهرة الأمير "أبو القاسم أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر العباسي" والذي بويع بالخلافة فى عام ٦٥٩هـ/١٢٥١م، ولقب بالمستنصر بالله، فكان أول خليفة عباسي في القاهرة بعد أن ظل العالم الإسلامي بلا خليفة ما يقرب من الثلاث سنوات ونصف - للمزيد راجع - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٨٥ - أيضاً: بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص ٨٥-٨٨ - أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ٢١٢-٢١٣، كذلك: ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، ص ٨٢-٨٤ - أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٢٣١-٢٣٣ - ابن خلدون، مج٣، ص ٥٤٠ - المقريزي، السلوك

ورغم أن فترة بقاء العالم الإسلامي بلا خليفة لا تتعدى الثلاث سنوات ونصف تقريباً ما بين عامي ٦٥٦-٦٥٩هـ/١٢٥٨-١٢٦١م، إلا أن مصادر التاريخ الإسلامي العربية والفارسية، تصمت تماماً عن ذكر أي إشارة إلى معرفة سلاطين الهند بأمر إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، وذلك منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد حتى عصر السلطان محمد تغلق شاه الثاني، الذي شهد أسمى معاني الإجلال والتقدير للخلافة العباسية بين سلاطين دهلي والهند قاطبة، بل شهد عصره كذلك أكبر عدد من المراسلات التي تمت بين خلفاء بني العباس في القاهرة وبين حكام بلاد الهند المسلمين.[1] فقد استهل محمد تغلق شاه الثاني حكمه بأن اتبع نهج من سبقه من سلاطين دهلي، فسك نقوده باللغة العربية تحمل اسمه مضافاً إليه لقب «ناصر أمير المؤمنين» في تعبير عن ولاءه لخليفة يفترض وجوده، وفور علمه بوجود خلافة عباسية شرعية مستمرة بالقاهرة، إذا به يسعى جاهداً للحصول على مباركة الخليفة العباسي وأن يحصل على تفويض منه بحكم بلاد الهند.[2]

وقد استهلت تلك المراسلات ببعثات تحمل الهدايا في عام ٧٢٦هـ/١٣٢٢م، ثم في عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، أرسل بعثة أخرى تحمل هدية إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون في فترة ولايته الثالثة في الفترة (٧٠٩-٧٤١هـ)/(١٣٠٩-١٣٤٠م)[3]، ويستأذنه

لمعرفة دول الملوك، ١٢ قسم، ٤ أجزاء، ج١، ق١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٥٦-١٩٥٨م، ص ٤٤٨-٤٥١ - أيضاً - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، ص ١٠٧ - أيضاً: القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، مج٢، ص ٢٠٢-٢٠٣ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٥، ص ٢٩٧ - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط. بيروت ١٩٨٦، ص ١٨٠-١٨٥ - أيضاً: سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، ص ٢٣٠-٢٣٥ - محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، ط القاهرة ١٩٦٠م، ص ٥٢.

(١) محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٢٨.

(٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٧٣ - أيضاً: ريتشارد بلانت، النقود العربية والإسلامية، ص ٨٠.

(٣) كان الناصر محمد قد تولى حكم مصر مرتين سابقتين، الأولى في الفترة (٦٩٣-٦٩٤هـ)/(١٢٩٤-١٢٩٥م) خلفاً لأخيه الأشرف خليل (٦٨٩هـ-٦٩٣هـ)/(١٢٩٠-١٢٩٤م) ثم خلع، وتولى للمرة الثانية (٦٩٨-٧٠٨هـ)،(١٢٩٩-١٣٠٩م) ثم خلع ثانية، وكانت فترة ولايته الثالثة أكثر مرات توليه امتداداً، وبلغ إجمالي الفترة التي حكمها إحدى وأربعين عاماً. أنظر: ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ٩ أجزاء، ط٢، القاهرة ١٩٦٢م، ج٤، ص ٣٥٣-٤٧٤ - أيضاً - ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج، ط٢، القاهرة ١٩٨٢-١٩٨٤م، ج١، ق١، ص٣٧٨-٣٨٦، ٤٠١-٤٢٢ - أيضاً: بوزورث، الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامي، ص ٩٩.

في إرسال ركب سنوي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، لعلمه أن الحجاز في ملكه، وقد أرفق مع خطابه هذا تحفاً وهدايا نفيسة.[1]

وفي عام ٧٣٩هـ/١٣٣٧-١٣٣٨م أرسل محمد تغلق شاه الثاني رسالة إلى الخليفة العباسي «أبو الربيع سليمان المستكفي بالله الأول» (٧٠١-٧٤٠هـ)/(١٣٠٢-١٣٣٧م) حملها الشيخ «سعيد الهندي»[2]، الذي توجه بالفعل إلى الخليفة وأعلمه برغبة ملك الهند، فكتب له كتاباً بالنيابة عنه، في حكم بلاد الهند، وعاد الشيخ سعيد من فوره حاملاً كتاب الخليفة، ليستقبل استقبالاً حافلاً من محمد تغلق شاه الذي يبالغ في إكرامه، وقد عمت مظاهر السعادة الغامرة بالتفويض الخلافي شتى مناحي الحياة في بلاد الهند، من زينات واحتفالات، كما أمر بنثر الذهب على منشور الخليفة، وأمر بكتابة اسم الخليفة مطرزاً على الملابس الذهبية وشرفات العمارات، وأن يقرأ كتاب الخليفة على المنبر بين الخطبتين كل يوم جمعة.[3]

وقد مكث الشيخ سعيد الهندي في بلاد الهند شهراً كاملاً توجه بعده إلى مصر مرة أخرى في عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م وبصحبته «الشيخ رجب البرقعي»[4] محملين بهدايا ثمينة وصفت بأنها لا مثيل لها في الخزانة السلطانية وكذلك رسالة من محمد تغلق شاه إلى الخليفة العباسي في القاهرة أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله (الثاني) بن المستكفي

(١) طمع صاحب اليمن الملك المجاهد "سيف الدين علي" (٧٢١-٧٦٤هـ)/(١٣٢٢-١٣٦٣م) في هدية صاحب الهند إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتحايل على المماليك الذين كانوا فى خدمة رسول ملك الهند وأغراهم بقتله ففعلوا وعندما شنق الجميع وصادر الهدايا، وبلغ الناصر ما فعله صاحب اليمن، فأرسل إليه كتاباً يخبره فيه بأنه "بعد أن كان في عداد الملوك أصبح وهو من قطاع الطريق" - أنظر: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ١١٩ - أيضاً: ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر أو (تاريخ ابن الوردي)، جزئين، ط القاهرة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، ج٢، ص ٢٩٤ - كذلك، ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٧٤ - أيضاً: الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط١، القاهرة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ج٢، ص ١٨٠ - أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥م، ص ٢٣٠ - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكى في مصر والشام، ط٣، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٢٤٧ - أيضاً - محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، ص ٣٥٩.

(٢) الشيخ سعيد الهندي، أحد علماء الهند المجاورين بمكة، وشيخ رابط كلالة بها، تركه ابن بطوطة حياً في بلاد الهند في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٧٣.

(٣) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٧٣-١٧٤ - أيضاً: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٧٦-١٧٧ - أيضاً سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٢٤٧ - الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، ص ٣٥٩.

(٤) الشيخ رجب البرقعي: هو أحد شيوخ الصوفية وأصله من مدينة القرم من صحراء قفجق، توفي بعد ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، أنظر" ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٧٤١-٧٥٣هـ)/(١٣٤٠-١٣٥٢م) يطلب فيه تفويضاً منه بحكم بلاد الهند، والسند، وقد رفض الخليفة قراءة الرسالة أو معرفة فحواها إلا في حضور الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٣-٧٤٦هـ)/(١٣٤٢-١٣٤٥م) وقد قرأ الملك الصالح الرسالة وكانت فحواها: «أن السلطان محمد تغلق هو وأهل مملكته دخلوا في الإسلام، وأنهم واقفون على منار الشرع الشريف ويتمسكون بفرائضه وسننه، وقد ذكر أنه لا يتم له ذلك إلا بولاية من الخليفة، ويسأل إحسان السلطان أن يكتب له تقليداً، وتقليد سائر أمور بلاده لتصبح ولايته شرعية، وأن يرسل ذلك صحبة رجل من أهل العلم والدين يظهر لهم ما خفي عليهم من الأمور الشرعية».[1] وبالفعل كتب الخليفة خطاباً يفيد بأنه «قدم ملك الهند نائباً عنه ببلاد الهند وما يليها» وأرسلت الرسالة صحبة شيخ الشيوخ بمصر «ركن الدين العجمي» والشيخ رجب البرقعي وجماعة من الصوفية ومعهم الهدايا النفيسة إلى ملك الهند الذي استقبل المنشور بالتبجيل والاحترام.[2]

ومما سبق نلاحظ أن السمة العامة لهذه المراسلات تمثلت في أن من حملها كانوا في أغلب الأحيان من العلماء ورجال الفقه والحديث وكذلك من شيوخ الصوفية، ولعل السبب في اختيار العلماء ليقوموا بدور السفراء في هذه النوعية من المراسلات، إنما كان تعبيراً عن أسمى معاني التقدير والإجلال للخلافة والخلفاء، فمن يحمل الرسالة السلطانية إلى الخليفة، رسول يحمل أيضاً لواء العلم والدين في المجتمع، ومن ناحيتهم استغل هؤلاء العلماء فرصة إرسالهم إلى أكبر مدن العالم الإسلامي في اكتساب شتى أنواع العلوم والمعارف.

ولا غرو إذاً أن نجد سلاطين الهند، وهم على هذا القدر من التعلق بأهداب الخلافة، متمسكين بكونهم سنيين، أحنافاً كانوا أم شافعية[3]، الأمر الذي ساعد على نشاط علماء

(١) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ١٧٤-١٧٥ - كذلك: ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، ط دمشق، ١٩٩٤م، مج٢، ج١، ص ٣٦٤ - المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٤٥ - أيضاابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جزئين، ٨ أقسام في ٨ مجلدات، ط١، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ق١، ص ٨١.

(٢) ابن بطوطة، نفسه، ص ١٧٥-١٧٦ - أيضاً: ابن قاضي شهبة، تاريخ بن قاضي شهبة، مج٢، ج١، ص ٣٦٤.

(٣) نسبة إلى الإمام الشافعي وهو "محمد بن إدريس الشافعي" ولد في عام ١٥٠هـ/٧٦٧م في غزة، بفلسطين، في العام الذي توفي فيه أبو حنيفة، ووالد الشافعي قرشي، يلتقي نسبه مع رسول الله (صلعم) في عبد مناف جد الرسول، وقد توفي الشافعي في عام ٢٠٤هـ/٨٢٠م ودفن في القاهرة، بعد حياة حافلة صار بعدها أحد الأئمة الأربعة الكبار، لمزيد من التفصيل راجع: ابن خلكان،

الهند ومن وفد من العلماء على بلاد الهند، في مجال علوم الحديث والسنة النبوية، والفقه و «أصوله»[1].

ثالثاً: الفكر الشيعي[2] الوافد على بلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها

تعود بدايات تسلل الفكر الشيعي إلى المناطق التي فتحها العرب من شبه القارة الهندية إلى بداية الخلافة العباسية في بغداد وتحديداً في عهد ثاني خلفاءها «أبو جعفر المنصور»

وفيات الأعيان، ج٣، ص ٣٠٥-٣١٠ - أيضاً: ابن قنفذ، الوفيات، ص ١٥٥-١٥٦ - كذلك، ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٥٠، ص١٧٧- ١٧٩ - تهذيب التهذيب، ج٣، ص ٤٩٧-٥٠٠ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص ٩-١١.

(١) أي علم أصول الفقه = وهذا العلم يعرف باعتبارين، الأول باعتبار الإضافة، أي كلمة أصول وكلمة فقه، والأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره، أما الفقه لغة فهو الفهم، ومنه قوله تعالى: " واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي" طه (٢٧). أما اصطلاحاً: فهو معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية.
أما الاعتبار الثاني فهو التعريف باعتبار العلمية، أي باعتبار كونه علم يبحث عن أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها، وكذلك هو إدراك القواعد التي يصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية، وقيل هو طرق الفقه - أنظر: طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ٣ مجلدات، ط١، بيروت - بنان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ - أيضا: الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري، ٤ أجزاء، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١، ص ١٧-١٨.

(٢) الشيعة في اللغة العربية تعني الفرقة أو الجماعة والأتباع والأنصار المحازبين لشخص أو عقيدة، وشيعة الرجل، أتباعه وأنصاره، والشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده إلا بظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وهم خمس فرق كبرى تشعبت بدورها إلى فرق وفروع صغرى وهؤلاء الخمسة هم:
١-الكيسانية: وهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ويعتقدون فيه اعتقاداً فوق الحد من درجة إحاطته بكل العلوم.
٢-الزيدية: وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم،
٣-الإمامية، وهم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبى عليه الصلاة والسلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً.
٤-الغلاة أو الغالية: وهم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام إلهية.
٥-الإسماعيلية: هم من أثبتوا الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه فى بادئ الأمر.
لمزيد من التفصيل راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، جزئين، ط لندن، باعتناء كورتن، ١٨٤٢م، ج١، ص ١٤٥-١٩٧ - أيضاً: عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٥٩.

(١٣٦-١٥٨هـ)/(٧٥٤-٧٧٥م) الذي بعث إلى السند بالوالي «عمر بن حفص العتكي»[1] والذي رغم ما عُرف عنه من حزم وحسن تدبير، إلا أنه كان على تشيع وثيق للعلويين سراً، فحدث أن رحب بأحد زعمائهم وهو «عبد الله بن محمد الأشتر* الحسني العلوي»[2] وكان قد وفد على السند هرباً من بطش العباسيين ووصلها مع نفر من أتباعه متستراً كتاجر للخيل العتاق*، وبوصوله بدأت بوادر الدعوة للفكر الشيعي في بلاد الهند.[3]

وقد تلقى الداعية رعاية واهتماماً من والي السند «عمر بن حفص» الذي أبقى أمر وصوله إلى السند سراً، وأرسله وأتباعه للإقامة عند أحد حكام الهنادكة المهادنين[4]، خشية بطش الخليفة أبو جعفر المنصور إن علم بأمره، ويبدو أن الخليفة قد علم بخبر هذا العلوي الوافد. فأمر واليه بمهاجمة الإمارة الهندوكية والقضاء على الشريف العلوي، ولكن عمر بن حفص ماطل في تنفيذ أمر الخليفة الذي ما لبث أن عزله في عام ١٥١هـ/٧٦٩م بعد أن كاد أن يفتك به.[5]

ثم تولى «هشام بن عمرو التغلبي»[6] ولاية السند والهند في عام ١٥١هـ/٧٦٨م من

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة العتكي المعروف بهزارمرد (أي ألف رجل) - استعمله المنصور على ولاية السند والهند في عام ١٤٢هـ/٧٦٠م وعزله عنها سنة ١٥١هـ/٧٦٩م وقد توفي في ذي الحجة من عام ١٥٤هـ/٧٧٢م - أنظر ترجمته في ـ الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٩-٣٠ـ أ. فون. زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٤١٦.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي المشهور بعبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض، قدم الهند في أيام المنصور وبها قتل في عام ١٥١هـ/٧٦٩م. أنظر: الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ٢٦-٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ٣٣-٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية، مج٥، ج١٠، ص ١١٦-١١٧ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٥٣-٥٤ - أيضاً: الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٦-٢٨.

(٤) صمتت المصادر عن ذكر اسم هذا الحاكم أو اسم إمارته - أنظر: الساداتي، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج٨، ص ٣٣-٣٤ ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص ١٩٤-١٩٧ - ابن كثير، المصدر السابق، مج٥، ج١٠، ص ١١٦ - الساداتي، المرجع نفسه، ص ٥٣-٥٤، الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ٢٩.

(٦) توفي في عام ١٥٧هـ/٧٧٤م في بغداد بعد عزله عن ولاية السند، والتغلبي، نسبة إلى قبيلة تغلب بن وائل، وهي قبيلة معروفة (تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان) - أنظر: السمعاني، الأنساب، ٥ مجلدات، ٥ أجزاء، =

قبل الخليفة المنصور، خلفاً «لعمر بن حفص»، ولكنه كان يميل أيضاً إلى التشيع سراً.[1]

وعلى أية حال، فلم يقدر لمحمد بن الأشتر العلوي أن ينجح فيما هدف إليه من نزوحه إلى بلاد الهند، إذ لم يلبث أن قُتل على يد «سفيح بن عمرو التغلبي» - الذي يبدو أنه لم يكن يعلم بميل أخيه هشام إلى التشيع - وذلك أثناء خروج الشريف العلوي للتنزه على شاطئ نهر السند، فصادفه سفيح فقتله، وأُسقط في يد هشام التغلبي، الذي لم يسعه إلا أن يتظاهر بأنه مدبر هذا الأمر لصالح الخليفة، وأرسل برأس العلوي إلى بغداد.[2]

ثم حدث ما كان من ضعف الخلافة العباسية في بغداد، وتوقف مسيرة فتوح الهند، وغياب اهتمام الخلفاء بأمر هذا الإقليم[3] من جهة، ومن جهة أخرى انشغال ولاة إقليم السند والهند أنفسهم، في إخماد الفتن والنزاعات التي قامت بين القبائل العربية التي هاجرت إلى هذا الإقليم منذ الفتح العربي له. ورغم هذه الأحوال غير المستقرة، والتي استغلتها فرق «الخوارج»[4] والشيعة، و«القرامطة»[5] في النفاذ إلى إقليم السند، إلا أن

=تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص ٤٦٨.

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص ٣٥ ـ ٣٦ - أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٥، ص ١٩٤-١٩٧ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٥، ج١٠، ص ١١٦ - أيضاً: الساداتي، نفسه، ص ٥٣-٥٤ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٤١٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٣٦ - أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، مج٥، ج١٠، ص ١١٧ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص٥٤-٥٥ - كذلك الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٣٧ - كبير شودري - فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٥٢٨.

(٣) بلغ من إهمال الخلافة لشأن السند أن رأينا الخليفة المعتمد العباسي (٢٥٦-٢٧٩هـ)/(٨٧٠-٨٩٢م) يقطعها للصفاريين هي وبلخ وطخارستان وسيستان وكرمان، عله بذلك يخفف من وطأة ضغطهم على العراق - أنظر: الساداتي، المرجع السابق، ص ٥٧.

(٤) الخوارج = هم من خرجوا على أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) وأولهم كانوا جماعة ممن خرجوا معه في معركة صفين ٣٦هـ/٦٥٦م، وهم ست فرق، تشعبت بدورها إلى فروع عديدة والفرق الست هي الأزارقة، النجدات، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية، والصفرية - والباقون فروع لهم، وقد فشلت محاولتهم لاختراق إقليم السند، بعد أن لاحظ داعيتهم، "حسان بن مجاهد الهمداني" عدم الإقبال على أفكاره، فعاد من حيث أتى: للمزيد - مراجعة: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ١١٤-١٣٧ - الساداتي، المرجع نفسه، ص ٥٤.

(٥) القرامطة = هم فرقة من الزنادقة والملاحدة.. كان يبيحون المحرمات كالخمر... ويُقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق، ويُقال لهم القرامطة، نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار، والمعروف أن القرامطة اتخذوا من البحرين والأحساء مقراً لنشاطهم وكانوا يغيرون على المواقع القريبة منهم وقد اجتاحوا البصرة والكوفة، ودخلوا مكة وأخذوا

الدعوة الشيعية لم يظهر لها اثر قوي في هذا الإقليم إلا في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وأوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، حينما قدم السند دعاة «الإسماعيلية»، وعلى رأسهم من يدعى «الهيثم» رسول الخليفة الفاطمي «عبيد الله المهدي» (٢٩٧-٣٢٢هـ)/(٩٠٩-٩٣٤م) أول خلفاء الفاطميين (٢٩٧-٥٦٧هـ)/(٩٠٩-١١٧١م) في المغرب.[١]

ثم توالى دعاة الإسماعيلية على هذه البلاد، حتى جاءها قائد قدير من قوادهم، يُدعى جلم بن شيبان، الذي قدم الملتان، وسرعان ما التف حوله القرامطة، الذين كانوا قد نفذوا إلى الملتان قادمين من بلاد فارس ومن البحرين في شبه الجزيرة العربية. وقد استغل «جلم» ما كان قائماً بين القبائل العربية فيها من نزاع،[٢] وتمكن من الاستيلاء على مقاليد الحكم بها، فكانت بذلك أول دولة إسماعيلية عرفتها شبه القارة الهندية كلها.

وقد سلك سبيل العنف مع سكان البلاد من مسلمين وهنادكة على حدٍ سواء، فأغلق المسجد الجامع الذي أقامه محمد بن القاسم الثقفي، وهدم المعبد الهندوكي، بعد أن كان المسلمين قد أبقوا عليه ضماناً لتجنب مهاجمة الهنادكة للمدينة.[٣]

ثم تولى بعده حكم الدولة الإسماعيلية في ملتان من يُدعى الشيخ «حميد»، وهو

الحجر = الأسود، ثم سيطروا على معظم أنحاء الجزيرة العربية، واستمر نشاطهم حتى العقود الأولى من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وقد جاهد الفاطميون حتى حصروا نشاطهم في مشارق البلدان والثغور، حتى دخل بعضهم إلى السند، كما تمكنوا من إقناعهم برد الحجر الأسود إلى مكة وكاد أن يختفي أي ذكر لهم في شبه الجزيرة العربية بنهاية القرن الرابع الهجري - للمزيد أنظر: ابن كثير، المصدر السابق، مج٦، ج١١، ص ٦٦-٦٧، ص ٨٦-٨٧.

(١) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص ٥٢، ص٥٧ - زبيد أحمد، عربي أدبيات مين پاك وهند كاحصة (مساهمة باكستان والهند في خدمة الأدب العربي)، ط٣، إدارة ثقافت إسلامية، كلب رودط، لاهور، باكستان، ص ٦٥-٦٦ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ص٧٩ ـ محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٢٣.

(٢) كانت القبائل العربية في السند تطالب بتقسيم الإقليم إلى ثلاثة أقسام: قسم لقريش، وقسم الربيعة، وثالث لقيس - أنظر: الساداتي، المرجع السابق، ص ٧٣، ص٧٥-٧٦ - أيضا: محمد كبير شودري، المرجع السابق، ص٥٢٨.

(٣) الساداتي، المرجع نفسه، ص ٥٧ - أيضاً: ديرى. ن. ماكلين، الدين والمجتمع في عرب السند، ط ليدن ١٩٨٩م، ص ١٣٤-١٣٥ - عبد الرحمن الفرايوني، جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، بنارس - الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٠-٢٢ - شودري، المرجع نفسه، ص ٥٢٨.

من وجده «إسماعيل بن سبكتكين» (٣٨٧-٣٨٨-هـ)/(٩٩٧-٩٩٨م) في مدينة الملتان في عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م فهزمه، ليخلفه حفيده «أبو الفتح داود بن نصير القرمطي»*، وهو من ظل محمود يطارده حتى قضى على حكمه وأنهى الدولة الإسماعيلية في الملتان في عام ٤٠١هـ/١٠١٠م.[١]

ورغم أن هذه الإمارة الإسماعيلية في السند، لم تستمر أكثر من خمسين عاماً، إلا أنها قد نجحت في استقطاب عدد كبير من سكان ملتان إلى مذهبهم، حتى إذا ما قضى محمود الغزنوي على تلك الإمارة، حتى فر أغلبهم إلى كجرات في حين استمر عدداً منهم مقيماً في ملتان.[٢]

وقد شكل هؤلاء الفارين إلى كجرات نواة المرحلة التالية من الدعوة الشيعية الإسماعيلية في بلاد الهند، حيث أسس دعاة الإسماعيلية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ)/(١٠٣٦-١٠٩٤م) مركزاً لهم في إقليم كجرات، بعد أن دخلوا الهند إثر الانقسام «النزاري»[٣]، «المستعلي»[٤] في صفوف الشيعة الإسماعيلية في عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م،[٥] فدخل المستعلية إلى كجرات وغلبوا على باقي الشيعة

(١) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، مج٨، ص ٥٨-٥٩ - الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٣٦-٣٧ - الساداتي، نفسه، ص ٧٠ - ديرى ماكلين، الدين والمجتمع في عرب السند، ص ١٣٥ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٨٤-٨٥ - أيضاًشودري، نفسه، ص ٥٢٩.

(٢) ذكر ابن الأثير (ت. ٦٣٠هـ/١٢٣٨م) فى حوادث عام ٣٩٦هـ، في سياق حديثه عن داود بن نصير القرمطي، ومحاربة محمود الغزنوي له، أنه أي داود "نقل عنه خبث اعتقاده، وميله إلى الإلحاد، وأنه دعا أهل ولايته لما هو عليه فأجابوه" - أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٨، ص ٥٨-٥٩ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٦٣-٦٤.

(٣) النزاري = نسبة إلى نزار بن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وهو لم يتول الخلافة، وأصبح أتباعه يُعرفون بالنزارية، ثم عرفوا فيما بعد باسم الحشاشين، وانتشروا في فارس والشام - بوزورث - الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى، ص ٨٠.

(٤) المستعلي = نسبة إلى الخليفة الفاطمى المستعلى بن المستنصر (٤٨٧-٤٩٥هـ)/(١٠٩٤-١١٠١م) وأتباعه يُعرفون بالمستعلية، وهم أكثر اعتدالاً من النزارية، وأصبحوا أسلاف الطائفة الإسماعيلية (البهرة) المنتشرة في بومباي بالهند - وهى طائفة تعمل بالتجارة - بوزورث، المرجع السابق، ص ٨٠ - مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ط٢، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥م، ص ٤٠٥.

(٥) حدث الانقسام النزاري المستعلي بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله فى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، حيث انشق أتباع ابنه نزار عن الدولة ولُقبوا بالنزارية، أما الذين اتبعوا الخليفة المستعلي بالله فقد لُقبوا بالمستعلية، وبعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥-٥٢٤هـ)/(١١٠١-١١٣٠م)، انقسم

الإسماعيلية بها، وتركز معظمهم فيها وفي جنوب الملتان، وقد استهدفت دعوتهم في هذه المرة، جماعات التجار، ونجحت في تحويلهم إلى الإسماعيلية المستعلية وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم «البهرة»[1].

ومن ناحية أخرى حاول القرامطة من الشيعة الإسماعيلية فرض سيطرتهم مرة أخرى على الملتان، فما كان من السلطان شهاب الدين الغوري (٥٩٩-٦٠٢هـ)/(١٢٠٣-١٢٠٦م) والذي ناب عن أخيه السلطان غياث الدين محمد بن سام الغوري (٥٥٨-٥٩٩هـ)/(١١٦٣-١٢٠٣م) في حكم غزنين[2] في عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م إلا أن توجه إلى الملتان واستولى عليها من يد القرامطة بعد أن كانوا قد تحصنوا لعدة أيام في قلعة أج وأخيراً تم له النصر.[3]

وبصفة عامة فقد لوحظ ندرة ذكر أي نشاط للشيعة الإسماعيلية في بلاد الهند

المستعلية بدورهم إلى طائفتين، الأولى الطيبية، والتي رأت الطيب أبو القاسم إماماً لها، وقالت بغيبته وانتظاره، وطائفة ثانية هي الحافظية، بايعت الحافظ لدين الله (٥٢٥-٥٤٤هـ)/(١١٣١-١١٤٩م)، (٥٤٤-٥٤٩هـ)/(١١٤٩-١١٥٤م) بالخلافة، وقد انقرضت الحافظية وانتهت بانتهاء الخلافة الفاطمية ٥٦٧هـ/١١٧١م وأصبح كل المستعلية من الطيبية، ويُعرفون بالبهرة - للمزيد: راجع: فرهاد دفتري، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ط٢، كامبردج، ٢٠٠٧م ص ٢٠٣ - محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٥٤٤-٥٤٦ - مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٤٠٥.

(١) البهرة = تعني في اللغة الهندية "التاجر"، وذلك لاشتغالهم بالتجارة دون غيرها من المهن، وهم من المستعلية، وقد انقسموا بدورهم إلى عدة فرق هي: الداودية والسليمانية والعلوية والدكوشية وتعني بالهندية (لا لحم) لأنهم= = حرموا أكل اللحم، والطائفة ناكبورية - أنظر: فرهاد دفتري، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ص ٢٠٣ - محمد كبير شودري، المرجع السابق، ص ٥٤٤-٥٤٦.

(٢) غزنين = وهي غزنة: وهي ولاية واسعة الأطراف خراسان بينها وبين بلاد الهند - اشتهرت في نهاية المائة الرابعة، كونها عاصمة الدولة الغزنوية، ولا يعرف الكثير عن صفة عمارتها قبل أن يجدد محمود الغزنوي عمارتها بما غنم من الهند، وقد بلغت في عهده أوج ازدهار لها، وقد خربها السلطان علاء الدين الغوري (٥٤٤-٥٥٦هـ)/(١١٤٩-١١٦١م) بعد أن أخذها عنوة في عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م وأمر بنهبها وحرقها انتقاماً لمقتل أخيه على يد بهرام شاه الغزنوي (٥١٢-٥٤٧هـ)/(١١١٨-١١٥٢م)، فلم تقم لها قائمة بعد ذلك - أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٤٢٨-٤٢٩ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٩٦-٣٩٧ - كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٨٧.

(٣) أحمد بخشي الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص٥١ - عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٩٩.

في الفترة من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ربما لأن معظم الكتابات التاريخية المعاصرة لتلك الفترة، قد كتبها مؤرخين سنة، في عهود ملوك وسلاطين غالبيتهم من السنة، والذين بفضل جهودهم في القضاء على كل محاولة شيعية لفرض السيطرة في أي بقعة من بقاع الهند - إلى جانب دور الجماعات الصوفية[1] والتي كان لها أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية السنية في ربوع الهند في تلك الفترة - نجد أن تأثير الشيعة الإسماعيلية قد تراجع إلى حد كبير، وإن كان ذلك بصفة مؤقتة.[2]

على أية حال، فبحلول القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وإثر هجمات المغول على المشرق الإسلامي، وجه أتباع الفرقة «النزارية»[3] أنظارهم إلى بلاد الهند، خاصة بعد اجتياح المغول لبلاد فارس في عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وتدميرهم لقلعة «ألموت»، حيث تبعثر الإسماعيليون في البلاد، وتوجه قسم منهم إلى بلاد الهند، وكان إمام الفرقة النزارية في تلك الفترة «شمس الدين خورشاه»[4] (٦٤٦-٧١٠هـ)/(١٢٤٨-١٣١٠م) يتعهدهم بإرسال الدعاة وتزويدهم بالإرشادات اللازمة.[5]

---

(١) الصوفية: أو التصوف، ليست دين أو مذهب، إنما هي منهج أو طريقة يسلكها العبد للوصول إلى الله عز وجل، كما يعرفها أصحابها، أما معارضيها، فيعتبرونها ممارسة تعبدية لم تذكر لا في القرآن ولا في السنة، ولا يصح أي سند لإثباتها، وعليه فهي تدخل في نطاق البدعة المحرمة، التي نهى عنها رسول الله (صلعم) وهي تنسب إلى الصوف تعبيراً عن الزهد والتقشف بلبس الخشن، وتقوم الصوفية على الولاية، حيث يعتبر الولي عارفاً بالله الذي يمنحه كرامات تماثل معجزات الأنبياء مثل شفاء المرضى وكشف الغيب، وانتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية، تدعو للزهد وشدة العبادة، ثم تطورت حتى صارت لها طرقاً تعرف باسم الصوفية - أنظر- القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص١٥٢-١٥٤- أيضاإسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٩٢-٩٣.

(٢) حيث سيشهد النشاط الشيعي ازدهاراً ملحوظاً في عصر دولة أباطرة المغول في الهند (٩٣٢-١٢٧٤هـ)/(١٥٢٦-١٨٥٨م) وسيلقى دعماً ومساندة من أباطرة هذه الدولة - أنظر: شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٥٧٠.

(٣) عرفوا فيما بعد باسم "الخوجات" أو "الأغاخانيون" - أنظر: شودري، المرجع السابق، ص ٥٣٠.

(٤) هو "شمس الدين بن ركن الدين خورشاه"، تولى إمامة النزارية بعد مقتل أبيه على أيدي المغول في عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م - أنظر ترجمته في - مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية، بيروت ١٩٦٤م، ص ٣١١-٣١٢.

(٥) شودري، المرجع نفسه، ص ٥٥٥-٥٥٦ - أيضاً: مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ص ٣١٢.

وعندما تولى «إسلام شاه»[1] إمامة النزارية، عني بالدعوة في بلاد الهند عناية خاصة، وركز دعوته في منطقة الملتان وإقليم السند، اللتين شهدتا ظهور باكورات الوجود الشيعي في بلاد الهند، ثم امتد اهتمامه إلى إقليم البنجاب ووادي كشمير والمناطق الساحلية الغربية، كون تلك المناطق تبعد عن «دهلي» حاضرة السلطنة ومقر حكامها السنة المتعلقين بأهداب الخلافة العباسية والمناهضين للفكر الشيعي.[2]

وقد أرسل إسلام شاه عدداً من الدعاة إلى الهند لنشر الدعوة النزارية، كان من أبرزهم، «پير[3] صدر الدين»، الذي تعلم اللغة الهندية وتسمى باسم هندي، وصنف كتاباً أسماه «دسا أوتار» أي (الرسل أو النواب العشرة)، جعل فيه علياً كرم الله وجهه مظهر من مظاهر الألوهية، كما صنف كتاباً آخر أسماه «كنان»، وقد نجح صدر الدين في مهمته، فتبعه كثير من الهندوس واعتنقوا الإسلام على الأفكار النزارية ولقبوه بـ «الخواجة» أي الرجل المكرم أو الشريف أو التاجر، وقد اتخذ من مدينة «كوتري» بالسند مركزاً لدعوته النزارية، وقد توفي في بلدة أج البنجابية في عام ٨١٩ هـ/ ١٤١٧ م.[4]

هذا إلى جانب مجموعة من الدعاة الأخرين الذين ظلوا إلى جانبه لنشر الدعوة النزارية في البلاد الهندية، وكان ذلك في الربع الأخير من القرن الثامن، والنصف الأول من القرن التاسع الهجريين.[5]

وقد كان لقيام الدولة الصفوية[6] في بلاد فارس (٩٠٧-١٢٠٠هـ) / (١٥٠١-١٧٨٦م)

(١) إسلام شاه: هو أحمد بن قاسم شمس الدين محمد، المعروف بإسلام شاه ت. ٨٢٧هـ/١٤٢٤م وقد تولى إمامة النزارية بعد أبيه في عام ٧٧١هـ/١٣٧٠م - أنظر: مصطفى غالب، المرجع السابق، ١١٦-١١٧.

(٢) محمد كبير شودري، نفسه، ص ٥٥٦.

(٣) لفظة "پير" تعادل لفظة حجة عند الإسماعيلية وهما مرادفان لمنصب ديني واحد، أنظر: شودري، نفسه، ص٥٥٦.

(٤) عبد الحي الحسني الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ط دمشق، ١٥٨م، ص ٢١٣ - أيضاً: محمد سعيد ميرزا، مذهب إسلام أور باطني تعليم (الدين الإسلامي والتعليم الباطني)، اردو بازار، لاهور (د.ت)، ص٣٣٢-٣٣٣ - كذلك: محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٥٥٦-٥٥٧.

(٥) سعيد ميرزا، مذهب إسلام أور باطني تعليم، ص ٣٣٢ - أيضاً: الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص ٢١٣ - شودري، المرجع السابق، ص ٥٥٧.

(٦) ترجع نسبة الدولة الصفوية إلى جد ملوك هذه الأسرة، الشيخ صفي الدين أبو إسحاق

والمنتمين إلى الشيعة الإمامية «الاثنى عشرية»[1] الأثر في زيادة تدفق أتباع الفرقة النزاية إلى بلاد الهند، هرباً من اضطهاد الصفويين، الذين سعوا إلى هدم كل حركة رأوا فيها تهديداً لدولتهم وكان هذا إيذاناً باختفاء ذكر النزارية ولجوءهم إلى التستر.[2]

ورغم ندرة الكتابات التاريخية المعاصرة لتلك الفترة والتي تتحدث عن الوجود الشيعي في بلاد الهند، إلا أنه قد وجدت بعض الإشارات التي تطرق إليها بعض مؤرخي تلك الفترة، في سياق حديثهم عن جهود حكام بلاد الهند في إرساء قواعد حكمهم ومحاربتهم للفرق الضالة، والتي قصدوا بها دعاة الفكر الشيعي وأتباعهم في بلاد الهند، والذين نظر إليهم حكام الهند على أنهم «ملاحدة»[3] فسعوا جاهدين إلى وأد حركاتهم، وتشتيت تجمعاتهم والتنكيل بهم وبدعاتهم حيناً وحيناً آخر بالنصح والإرشاد وأمرهم بإتباع سبل السنة الحسنة بصفة عامة دون اشتراط مذهب بعينه، حيث كان سلاطين دهلي ورعيتهم على حد سواء سنة أحنافاً، بعد أن انتشر المذهب الحنفي الذي جاءت به الفتوح الغزنوية في بلاد الهند وساد على المذاهب السنية الأخرى، وتلاه في الانتشار المذهب الشافعي، ولعل السبب في انتشار المذهب الحنفي في بلاد الهند، كونه المذهب السني الوحيد الذي يبيح قراءة القرآن الكريم بلغة غير اللغة العربية.[4]

الأردبيلي" (٦٥٠-٧٣٥هـ)/(١٢٥١-١٣٣٥م) الذي توفي ودفن في مدينة أربيل بالعراق - أنظر: إقبال اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ/٨٢٠م)-(١٣٤٣هـ/١٩٢٥م): ترجمة: محمد علاء الدين منصور، ط القاهرة ١٩٨٩م، ص ٦٣٩.

(١) الاثنى عشرية: هم الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا إن بعده ولده علي الرضى، ثم محمد التقي الجواد، وبعده، الحسن العسكري الذكي، ثم محمد القائم "المنتظر" وهو الثاني عشر - أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص ١٦٨.

(٢) محمد سعيد ميرزا، المرجع السابق، ص ٣٣٦-٣٣٧، أيضاً: شودري، المرجع نفسه، ص٥٥٧-٥٥٨.

(٣) أحمد بخشي الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٩٨.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٢٥ - أيضاً، عبد الحي اللكنوي الهندي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ط١، مطبعة السعادة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ٦: وقد ذكر أن المذهب الحنفي ساد أكثر بلاد الهند والسند والدكن، في حين شاع مذهب الشافعي في بعض بلاد الهند وبعض أطراف بلاد الدكن، أنظر كذلك، أ. ثمون جرونيباوم، حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق، ط القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩٧ - مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، ص ٣٩.

ولعل أبرز هذه الإشارات التي أكدت استمرار محاولات نشر الفكر الشيعي في بلاد الهند، ما كان من قدوم الشيخ «علي الحيدري»، وكان شيعياً على المذهب الإمامي الإثنى عشري، والذي دخل كجرات وسكن بمدينة كنباية[1] ولازم أحد أحبار الهنود، وأخذ عنه علوم أهل الهند، وتعلم لغتهم، وصحبه مدة من الزمن، وتمكن من أن يقنعه بالإسلام، هو وخلق كثير من أهل كجرات ولكنهم أسلموا على التشيع، وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد الهند، وذكر تنكيل محمد تغلق شاه الثاني به وقتله إياه بعد مناصرته أحد الخارجين عليه ومبايعته له ودعائه له .[2]

ومن جملة هذه الإشارات، أن السلطان «فيروزشاه التغلقي» (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م) رابع سلاطين دهلي من أسرة آل تغلق والتي حكمت الهند في الفترة من (٧٢٠-٨١٧هـ)/(١٣٢٠-١٤١٤م) قد ذكر في رسالة من تأليفه - ضمنها أحواله ووقائعه وأسماها «فتوحات فيروز شاهي» وقسمها على ثمانية أبواب - خبر هذا نصه: -

«أخرجت من ولايتي أصحاب المذاهب السيئة، والملحدين، والمبتدعين والمرائين، لأنهم ضللوا الخلق، ودرست رسومهم وعاداتهم وكتبهم» .[3]

وعندما قام الملك مظفر شاه للكجراتي الأول بحكم كجرات في الفترة من (٧٩٣-٨١٤هـ)/(١٣٩١-١٤١١م) أمر العلماء أن يعملوا على هداية هؤلاء الشيعة والذين عرفوا في كجرات باسم «البواهير» أي البهرة، إلى طريق أهل السنة، وقد بذل هؤلاء العلماء جهداً كبيراً في هذا الصدد حتى هدى الله بهم جمعاً كثيراً من هذه الفئة إلى طريق أهل السنة، ومنذ تلك الفترة ولم يقتصر لفظ البهرة على الشيعة فحسب، بل أصبحت تلك الطائفة فرقتين، أهل السنة، وأهل الشيعة .[4]

---

(١) كنباية: مدينة ساحلية تقع على الساحل الغربي لبلاد الهند، في ولاية لكجرات، كان لها شأن كبير في التجارة والصناعة وميناء تدخله السفن العربية بكثرة، وهي مدينة كثيرة البناء بطرز جميلة مختلفة. وهي كمباي الحالية - أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ١٨١ - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٥٦٠ - الحميري، الروض المعطار، ص ٤٩٦ - نعيم زكي فهمي، طرق التجارة، ص ١٧١.

(٢) أنظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٤٩١-٤٩٢ - الندوي، الثقافة الإسلامية في الهند، ٢١٣-٢١٨ - أيضاً ـ الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٨٦-٨٧ - أيضاً ـ شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص٥٦٩.

(٣) أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٩٨.

(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٨٦.

ثم قام السلطان الكجراتي محمود بيكرو (٨٦٣-٩١٧هـ)/(١٤٥٩-١٥١١م)، بمهاجمة شيوخ أحد المناطق التابعة له في ولاية كجرات، وذلك في عام ٨٧٦هـ/١٤٧٢م، وأجبرهم على التسليم له وقد وصفت هذه العشائر جميعها في هذه الحادثة بـ «البهاتية» أو «البهاطية»، وهي تسمية شائعة لأتباع المذهب الشيعي الإسماعيلي في بلاد الهند، وقد أمرهم السلطان بممارسة تعاليم الإسلام السني الصحيحة، كما شملت أوامره لهم التوقف عن مخالطة الهندوس، والكف عن الزواج منهم .[1]

وفي رمضان من عام ٩١٧هـ/١٥١١م، أرسل سلطان الصفويين، «الشاه إسماعيل الصفوي»[2] (٩٠٧-٩٣٠هـ)/(١٥٠١-١٥٢٤م)، تحفاً وهدايا نفيسة إلى السلطان محمود بيكرو، حملها رسوله «ياد كار» (بيك قزلباش)[3] مع جماعة من القزلباش، في محاولة منه لكسب وده وصداقته، ولكن محاولته تلك قد باءت بالفشل حيث رفض السلطان محمود الكجراتي مقابلتهم قائلاً: «لا تريني القزلباش، أعداء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومخترعي الظلم» .[4]

وهي عبارة تنهض دليلاً جديداً على مناهضة السلطان محمود بيكرو للمذهب الشيعي وأتباعه ورعاته على حد سواء.

ورغم تلك المحاولات السابقة لنشر الفكر الشيعي على نطاق واسع في بلاد الهند، والتي لم تحقق النتائج المرجوة منها، إلا أن الفكر الشيعي، حقق انتصاراً يُحسب له في

---

(١) عبد الحميد التوني، تاريخ محمود شاهي، تحقيق: سي. سي. مسرة، ط بارودا، ١٩٨٨م، ص ١٦٧ - أيضاً ـ فرهاد دفتري، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ص ٢٠٠.

(٢) هو الشاه إسماعيل بن سلطان حيدر بن سلطان جنيد بن صدر الدين إبراهيم، وهو مؤسس الأسرة الصفوية (٩٠٧-١٢٠٠هـ)/(١٥٠١-١٧٨٦م) بعد أن قام في عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م بالاستيلاء على كامل الأراضي الفارسية، وإخضاعها لسلطانه، وقد زعم إسماعيل وخلفاؤه أنهم يرتفعون بنسبهم إلى أصول علوية، وزعموا أيضاً أنهم أولياء يرتفعون إلى منزلة شبه مقدسة باعتبارهم مجددين لأئمة الشيعة - أنظر: إقبال اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٦٤٠، أيضاً - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٧.

(٣) القزلباشية = مجموعة من رجال العشائر التركمان من طوائف مختلفة، والقزلباشية تعني "ذوي الرؤوس الحمراء" نظراً إلى ما كانوا يضعونه على رؤوسهم من عمائم حمراء - وقد دانوا لإسماعيل الصفوي وخلفاؤه بالولاء الروحي والسياسي - أنظر: إقبال اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٦٤١ - أيضاً: بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٣٧.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١١٠ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٩.

بلاد الهند، تمثل في منطقة «بيجابور»[1] من بلاد الدكن - والتي شهدت انتشاراً ملحوظاً للمذهب الشيعي الإمامي الإثنى عشري، بفضل جهود حاكم هذه المنطقة «يوسف عادل شاه» (٨٩٥-٩١٦هـ)/(١٤٨٩-١٥١٠م) الذي أعلن تشيعه على المذهب الإثنى عشري، وخطب للأئمة الإثنى عشرية، وبذل قصارى جهده لنشر هذا المذهب في مملكته قسراً، وأرسل إلى الشاه إسماعيل الصفوي يخبره بأمر تشيعه وإخلاصه وولاءه له وللمذهب الإثنى عشري.[2]

وإذا كانت مبادرة يوسف عادل شاه تمثل دفعة قوية للفكر الشيعي الساعي إلى فرض سيطرته على بلاد الهند، إلا أن انتشار الفكر الشيعي في بلاد الهند قد شهد عصره الذهبي منذ بداية حكم دولة أباطرة المغول في الهند (٩٣٢-١٢٧٤هـ)/(١٥٢٦-١٨٥٨م)، حيث فتحوا الباب فيما بعد لدعاة الشيعة، لنشر التشيع بين سكان الهند بلا عوائق، بداية من عهد الإمبراطور المغولي «ظهير الدين بابر» (٩٣٢-٩٣٧هـ)/(١٥٢٦-١٥٣٠م)، ثم في عهد «ناصر الدين همايون»[3] والذي سمح لدعاة الشيعة الإثنى عشرية بنشر التشيع بين الهنود الوثنيين والمسلمين السنة.[4]

رابعاً: أثر الإسلام على العقيدة الهندوسية

عرفت بلاد الهند، الدين الإسلامي الوافد على أراضيها بطريقتين، الأولى وكانت في المدن الساحلية الغربية لشبه القارة الهندية، وخاصة المدن التجارية الهامة مثل كنباية، وكولم[5]،

(١) بيجابور، ولاية هندية، تقع في جنوب شبه القارة الهندية، تتوسط هضبة الدكن، وكانت إحدى الدويلات التي استقلت عن مملكة الدكن البهمنية - أنظر: الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص١٢٥.

(٢) محمد أبو القاسم هندوشاه، تاريخ فرشته، ج٢، ص ١٠٤ - أيضاً: الساداتي، المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧١ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٤، ص ٣٩٧-٣٩٨ - بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٣) تولى الحكم مرتين الأولى (٩٣٧-٩٤٧هـ)/(١٥٣٠-١٥٤٠م) والثانية (٩٦٢-٩٦٣هـ)/(١٥٥٥-١٥٥٦م) - أنظر: بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٤، ص ٣٧٩-٣٩٢ - أيضاً. محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٥٧٠.

(٥) كولم = مدينة هامة على الساحل الغربي لبلاد الهند "مليبار" إلى الجنوب من مدينة قاليقوط، وتمتعت بمكانة تجارية كبيرة، نظراً لما امتلكته من ثروة نباتية هائلة، وتعود شهرتها إلى تصدير الأعشاب والعقاقير الطبية، وقد وصف ابن بطوطة مرساها بأنه أعظم المراسي وأكبرها ويعادل مرسى الإسكندرية وقاليقوط - وهي كيلون Quilon الحالية - أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٠٧ - ابن بطوطة، تحفة النظار، ص٣٩، ص ٥٧٥ - أيضاً: حسين مؤنس،=

وقاليقوط[1] وغيرها، وقد دخلها الإسلام عن طريق التجار العرب، الذين اعتادوا ممارسة التجارة مع بلاد الهند منذ عصور موغلة في القدم، فحملوا معهم الدين الجديد فور إشراق شمسه، ودعوا له بالمنطق والحجة والإقناع.

أما الطريقة الثانية، فجمعت بين السيف والدعوة في وقت واحد، تمثلت في الحملات التي قصدت بلاد الهند منذ عام ١٥هـ/ ٦٣٦م عن طريق الشمال والشمال الغربي لبلاد الهند، أو ما عرف بـ «إقليم السند»[2].

وكان من أثر اختلاف الوسيلة التي دخل بها الإسلام إلى بلاد الهند، أن اختلفت كذلك ردة فعل الهندوس تجاه هذا الدين الجديد وكيفية استقبالهم له، ففي المناطق الساحلية انطوت نظرة الهندوس تجاه الإسلام على كثير من التسامح - ساعد عليه المكانة الكبيرة التي تمتع بها التجار العرب في هذه المدن، بصفتهم الوسطاء في نقل حاصلات الهند إلى الغرب، وكذلك جلب حاصلات الغرب إلى الهند، فكانوا السبب الرئيسي في ازدهار الحياة الاقتصادية في تلك المدن، وثراء ملوكها، الذين نظروا للتجار العرب والمسلمين بكثير من التقدير والاحترام، وسمحوا لهم بالدعوة لدينهم وبناء مساجد لهم وممارسة شعائرهم دون أي عائق، بل سمحوا لمن أراد اعتناق الإسلام من رعاياهم، باعتناقه دون خوف من بطش أو تنكيل.[3]

أما الصورة الثانية لاستقبال الهندوس للدين الإسلامي، فنجدها في تلك المناطق الداخلية في الشمال والشمال الغربي، والتي انطوت على شئ غير قليل من العداء للعرب والإسلام، الذين نظروا إليه على أنه دين حمله إليهم غرباء بالسيف، وقد ظلت الإمارة الإسلامية في إقليم السند تعاني وقتاً طويلاً من جراء استمرار هجمات الهنادكة

=ابن بطوطة ورحلاته، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٧٧ - أيضاً شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص ١٠٩ - نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص ١٧٣.

(١) قاليقوط: إحدى المراكز التجارية الهامة بساحل مليبار، اشتهرت بتجارة التوابل والأحجار الكريمة، وهي مدينة كالكاتا الحالية - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٣٩، ص٥٧٢ - أيضاً: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص١٧٣-١٧٤ - شوقي عثمان، المرجع السابق، ص ١٨٧ - نعيم زكي فهمي، المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٢) وهو دولة باكستان الحالية - أنظر: حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) ت. و. أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٢٥ - أيضاً: جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٦٦٠-٦٦٢.

-D.M. Dunlop: Arab civilization to A.D 1500, p. 12.

في الممالك المحيطة بها .[1]

وبمرور الوقت ومع نشاط الرعيل الأول من الفاتحين العرب في نشر الدعوة الإسلامية، وإطلاع الهندوس على تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة، أقبل الكثير منهم على اعتناق هذا الدين الجديد، والذي ضمن لهم المساواة وألغى الفوارق بين الطبقات التي عانوا منها في ظل العقيدة الهندوسية .[2]

وقد زاد من انفتاح الهنود على الإسلام، ما وجدوه من تسامح المسلمين تجاه عقائدهم، وانتفاء روح التعصب تجاه أصحاب الديانات الأخرى، وهو ما ظهر جلياً في عدم تردد الحكام المسلمين في الاستعانة بالهنود من غير المسلمين في مختلف النواحي الإدارية .[3]

وهكذا نجح المسلمون بتسامحهم في تحويل روح المواجهة بين الثقافة الإسلامية الوافدة والثقافة الهندية الأصيلة إلى روح التعاون والتعايش الذي أدى إلى تأثير متبادل في شتى مجالات الأدب، والعلم والفلسفة .[4]

وعلى جانب آخر كان اعتناء ملوك وسلاطين الهند المسلمين بعلوم الهنادكة وعدم ترددهم في الاستفادة من تلك العلوم والمعارف القديمة كلما سنحت لهم فرصة لذلك سبباً في تنامي مشاعر التسامح والتعاون في المجتمع الهندي بين المسلمين والهنادكة .[5]

وكما كان حرص حكام الهند المسلمين على الاستفادة من علوم الهنادكة وتراثهم القديم، نجد أن اختلاط الهنادكة بالمسلمين قد أدي إلى تأثرهم بالكثير من تعاليم الإسلام وأفكاره ومبادئه، والتي دفعت من لم يعتنق الإسلام منهم إلى إعادة النظر وإعمال الفكر في كثير من عقائدهم وتقاليدهم الدينية، والتي طغت عليها الأساطير والخرافات، فظهرت اتجاهات عديدة تزعمها عدد من الإصلاحيين الهندوس، تهدف إلى تغيير كثير من مبادئ عقيدتهم، وأيضاً إبطال كثير من عاداتها وطقوسها الدينية، وكان الإسلام بتعاليمه ومبادئه السامية هو إلهامهم الأساسي فيها .[6]

(١) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص ٥١-٥٧ - ديري. ن. ماكلين، الدين المجتمع في عرب السند، ص ١٣٤-١٣٥ - محمد كبير شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٥٢٨.

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٥٤ - أيضاً: ت. و. أرنولد، المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(٣) الساداتي، المرجع السابق، ص ٥٩.

(٤) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٥١.

(٥) أحمد بخشي الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٩٢ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٤٥، ١٨٨، ٢٠٢.

(٦) الساداتي، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - أيضاً: إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٥٢.

وأهم هذه الاتجاهات الإصلاحية أو التيارات الفلسفية الدينية التى ظهرت فى بلاد الهند تحت تأثير التقاء الفكر الهندي الوثني، بالدين الإسلامي، فلسفة «الفيدانتا»[1]، والتي أحياها «شانكرا»[2]، وهي فلسفة تقوم على مبدأ وحدة الوجود (Monism)، كما كان مبدأ تحريم الأوثان الذي أرساه الإسلام، وكذلك دعوته إلى إسقاط الحواجز الدينية والاجتماعية التي اعترضت بعض طوائف الهنادكة، خاصة طائفة المنبوذين، من العوامل الهامة التي أدت إلى نشأة عقيدة «باختي» التي ظهرت في جنوب الهند، والتي ستنادي فى إطار تأثرها بالإسلام إلى عبادة إله واحد، وبالحرية في اختيار الدين .[3]

وكان من أهم دعاة هذه العقيدة التي ازدهرت خلال خمسة قرون، من القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجريين (الحادي عشر إلى السادس عشر الميلاديين)، كل من «رامانوجا»[4]، و«كابير»[5]، و«نانك»[6].

(١) فيدانتا: كلمة سنسكريتية، تعني ختام الفيدات، والفيدا هو كتاب الهندوس المقدس، وتنادي فلسفة الفيدانتا بوحدة الوجود، أي بوحدة الخالق والمخلوق، في حين يؤكد الإسلام على وحدانية الله الذي لا شريك له، للمزيد عن فلسفة الفيدانتا - راجع: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، الهند وجيرانها، ص ٢٦٨.

(٢) شانكرا: أحد الإصلاحيين الهنادكة عاش في الفترة (٧٨٨-٨٢٠م)/(١٧٢-٢٠٤هـ) - أنظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٣) أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ص ٦٦-٦٨ - أيضاً: إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٤) رامانوجا: مصلح هندي (٤٤٢-٥٣١هـ)/(١٠٥٠-١١٣٧م) يأتي فى المرتبة الثانية بعد شانكرا في الهندوكية، بوصفه شارحاً ومفسراً لفلسفة الفيدانتا - أنظر: إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٥٤.
-J.D. Cunningham: History of the Sikhs, 2nd Ed, 1953, pp. 29-31.
-M.A. Macauliffe: The Sikh religion, 6 Vol, 1909, Vol 3, pp. 89-102.

(٥) كابير = هو أحد كبار شعراء الهنادكة، ولد في ٨٤٣هـ/١٤٤٠م ومات في ٩٢٤هـ/١٥١٨م - وهو كذلك من أعظم مفكري الهند مكانة - حظيت أفكاره برواج كبير من المسلمين والهندوس معاً - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٥٤ - أيضاً: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص ٣٢٧-٣٢٨.
-J.D. Cunningham, History of the Sikhs, pp. 33-45.
-M.A. Macauliffe: The Sikh religion, Vol 3, pp. 105-147.
-Rawlinson, H.g., India, A short cultural history, pp. 244-246.

(٦) نانك = ويُلقب كذلك بـ "جورو" أي المعلم، ولد سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م في قرية ري بوي دي التي تبعد ٤٠ كيلومتراً عن لاهور، ونشأ نشأة هندوسية تقليدية، كان محباً للإسلام، ونظر إليه البعض على أنه كان مسلماً في الأصل، ثم ابتدع مذهبه هذا "السيخية"، وقد مات في عام

حيث يرى «رامانوجا» (٤٤٢-٥٣١هـ)/(١٠٥٠-١١٣٧م)، والذي عرفت فلسفته باسم «ڤيستاڤا باختي»، أن المثل الأعلى للإنسان، هو حب الله وعبادته والاستسلام التام لقضائه وقدره، في تأثر واضح بالعقيدة الإسلامية.[١]

ولعل أقرب هذه التيارات إلى الفكر الإسلامي تيار «كابير» الفلسفي، والذي تعتبر تعاليمه نسيجاً جمع فيه بين الشعور الديني الإسلامي، والشعور الهندوكي الهندي، فقد كان «كابير» (٨٤٣-٩٢٤هـ)/(١٤٤٠-١٥١٨م) من أبوين هندوكيين، ونشأ نشأة هندوسية تقليدية، وقد درس الدين الإسلامي، وأعلن محبته لهذا الدين[٢]، ولكنه كان أيضاً متجذباً بحكم نشأته إلى الهندوسية، لذلك أراد التوفيق بين الهندوسية والإسلام، فأخذ يقرض شعراً بلغ الغاية في الجمال، «شرح به عقيدة دينية لا يكون فيها معابد ولا مساجد ولا أوثان».[٣]

فقام بمزج كثير من العقائد الهندوكية مع بعض مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي، شريطة أن يبقى التوحيد أساساً لا حياد عنه، فهو من جانب يدين الطقوس الهندوسية وعبادة الأوثان، كما يدين نظام الطبقات ككل وخاصة نظام المنبوذين، ولكنه يأخذ عنهم فكرة «تناسخ الأرواح»[٤]، ويعتنقها، لذلك أخذ يدعو الله في أشعاره ـ كما يفعل

=٩٤٥هـ/١٥٣٩م ودفن في بلده "ديره باناناك" من أعمال البنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه، مكتوب عليه سورة الفاتحة، وبعض قصار سور القرآن، ويحمل أتباعه لقب "المهراجا" - إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص ٥٥.

-W.H. Ncloed: Guru NANAK and the Sikh religion, 1968, p. 5-9.

(١) إسماعيل العربي، نفسه، ص ٥٤.

(٢) قيل أيضاً أن "كابير" كان من أب مسلم وأم من عذارى البراهمة - (لذلك أثرت نشأته تلك على شخصيته وأفكاره التي أنتجت فلسفته الرامية إلى المزج بين الهندوسية والإسلام) - أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص ٣٢٧.

(٣) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٥٤-٥٥ - أيضاً ول ديورانت، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

-Edward Washburn Hopkins: The religions of India, I volume, London, 2004, pp. 105-107.

-Khushwant Singh: A history of the Sikhs, 2 vol. NY 1963-1966, II, pp. 27-53.

(٤) تناسخ الأرواح في ديانات الهند، له علاقة بشريعة "الكارما" - أي الأعمال أو الأفعال - وطبقاً لهذه الشريعة، فإن أفعال الشخص تحدد نوع الجسد الذي سوف تدخله الروح أو تتقمصه أثناء التناسخ، فإن كان الإنسان خيراً حلت روحه في حالة أرقى مثل جسد كاهن، أما الذي عاش حياة =أثمة، فإن روحه ستُبعث في جسد حيوان، ويختلف مفهوم تناسخ الأرواح بين الديانات التي

الهندوس ـ أن يخلصه من أغلال العودة إلى الولادة، والعودة إلى الموت.[١]

ومن جانب آخر، أخذ «كابير» عن الإسلام مبدأ وحدانية الخالق، والمساواة والإخاء بين البشر دون تفرقة أو طبقات، ولكنه في الوقت نفسه، يأخذ على الإسلام تمسكه بنبي واحد وكتاب واحد، ويكرر قوله أن الهندوس والمسلمين شئ واحد، فهم يعبدون إلهاً واحداً، وهم من أصل واحد، فخرج بذلك بعقيدة تنادي، «بألا يكون هناك معابد ولا مساجد ولا أوثان ولا طبقات».[٢]

ورغم أن مذهبه هذا قد لاقى في بادئ الأمر قبولاً لدى عدد كبير من المسلمين والهندوس معاً، إلا أن تياره الفكري هذا قد انقرض بموته[٣]،مقتصراً على ما خلفه «كابير» من مجموعة من الأشعار باللغة البنجابية، تظهر تمازج العقيدتين المختلفتين، الهندوسية والإسلامية، وكأنهما مرتبطين برباط صوفي يجمع بينهما.[٤]

تؤمن به، فمنها من يرى أن التناسخ يكون في أجساد البشر فقط، ومنها من يرى إمكانية كونه فى البشر والحيوان، والبعض يرى أنه يكون فى البشر المنحدرين من نفس الشخص المتوفى - (ولا يخفى أن هذه دعاوي باطلة ليس عليها دليل من كتاب أو سنة) - للمزيد أنظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ص ٦٧-٧٠ - أيضاً: العربي، المرجع السابق، ص ٨١ - ول ديورانت، المرجع نفسه، ص ٤٠، ٢١٣-٢١٨.

.SQACHCHIDANANDA BHATTACHARYA، A Dictionary of Indian History، p-.٧٧٩

.٣٥-٣٢ .pp ،١٩٤٤ ،Sher Singh: Philosophy of Sikhism-

(١) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص ٦٧-٧٠ - العربي، المرجع نفسه، ص ٥٤-٥٥ - ول ديورانت، نفسه، ص ٣٢٨ - شودري، فرق الهند المنتسبة للإسلام، ص ٩٥-١٠٠.

.٣٣ .Sher Singh: Philosophy of Sikhism، p-

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٥٥ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٣، ص ٣٢٨.

.١٠٦ .Edward Washburn، The religions of India، p-

.٣٥ .Khushwant Singh: A History of the Sikhs، II، p-

(٣) بعد موت "كابير" ٩٢٤هـ/١٥١٨م، تنازع كل من المسلمين والهندوس على جسده، هل يُدفن أم يُحرق، كرمز لتنازعهم على انتمائه، أكان مسلماً أم هندوكياً، وحتى اليوم هناك طائفتين صغيرتين تتنافسانه إحداهما مسلمة والأخرى هندوسية، أنظر: ول ديورانت، المرجع السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠.

.٢٤٦ .Rawlinson، India، A short cultural history، p-

(٤) ترك كابير مجموعة كبيرة من الأشعار، ترجم منها شاعر الهند العظيم طاغور (Rabindranath Tagore) (توفي سنة ١٩١٢م) ما يقرب من المائة قصيدة.

أما «ناناك» (٨٧٤-٩٤٥هـ)/(١٤٦٩-١٥٣٨م) والذي كان معاصراً «لكابير» فهو واضع عقيدة «السيخ»[١]، ومؤسسها الأول، والتي هي نتاج تطور فلسفة «المقيستافا باختي» التي بدأها راماتوجا ونقلها إلى شمال شبه القارة الهندية، والتي استلهمت الكثير من مبادئها وأفكارها من تلك الأشعار، التي خلفها «كابير»، وهي تعتبر إحدى حركات الإصلاح الديني، التي تأثرت كثيراً بالإسلام، واندرجت ضمن محاولات التوفيق بين العقائد الهندية والدين الإسلامي.[٢]

وقد نشأ «ناناك» نشأة هندوسية تقليدية، كمعاصره «كابير»، ولكنه تعرف بأسرة مسلمة، كانت تعمل في خدمة أحد زعماء مدينة «سلطانبور» والذي صادف أن عمل لديه «ناناك» أيضاً، فتعرف على الدين الإسلامي عن قرب، وأعلن عن محبته لهذا الدين، وإن ظل منجذباً للهندوسية التي نشأ عليها، فكان ذلك سبباً في رغبته التقريب بين العقيدتين، تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون».[٣]

وقد ادعى «ناناك» أنه رأى الرب الذي أمره بالدعوة إلى تلك الأفكار، وقد زار مكة والمدينة منددا بأفكار الهندوس وعقائدهم الوثنية والطبقية، وكانت مبادئه وأفكاره تلك، هي النواة التي قامت عليها عقيدة السيخ، التي تدعو إلى التوحيد، وتحريم عبادة الأوثان، والتأكيد على وحدانية الخالق الحي الذي لا يموت، والذي ليس - له شكل، ويتعدى عندهم حدود إدراك البشر، ولذلك يتمسكون برمزيته ويمنعون تمثيله في صور، كما أنهم لا يقرون عبادة الشمس والأنهار والأشجار، التي يمارسها الهندوس، ولكنهم من جانب

-H.G. Rawlinson, G.I.E., India, A short cultural history, p. 246.

(١) السيخ: كلمة سنسكريتية، تعني المريد أو التابع أو التلميذ - وهم يتركزون الآن في البنجاب من الهند، وهم أقلية لا يتجاوز عددها ١٥مليون نسمة، وهم شديدوا العداء للمسلمين والهنادكة على حد سواء، وقد أيدوا الوجود البريطاني في الهند، ويسعون إقامة دولتهم الخاصة. فقد حادوا عن التسامح الذي نشأت عليه عقيدتهم ومالوا نحو العنف والتعصب - أنظر: العربي، المرجع السابق، ص٨٠-٨٢ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص٢٤.

-Hopkins: The religions of India, p. 231.

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٨١ - أيضاً: ول ديورانت، قصة الحضارة، ص ٣٢٧-٣٣٠.

-Rawlinson, India (A short cultural history), pp. 244-246.

(٣) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٥٤.

-W.H. Ncloed: Guru NANAK and the Sikh religion, p. 20-23.

آخر، يبيحون شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، ويحرمون لحم البقر مجاراة للهنادكة، كما أنهم يستخدمون كل من الأسماء الإسلامية والهندوسية.[١]

وهكذا خرجت السيخية بسمات مثلث الامتزاج بين التصوف الهندي، والعقيدة الهندوسية وبعض مبادئ الدين الإسلامي، لتنادي «بأن غاية الإنسان في الحياة هي نيل رضى الله والإخلاص في عبادته».[٢]

ومما سبق يتضح لنا مدى تأثير الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية على عقائد الهنادكة، ذلك التأثير الذي تتضح مدى أهميته إذا أدركنا أنه رغم نجاح الإسلام في اكتساب أعداد كبيرة من الهنادكة إلى صفه، فإن هؤلاء المسلمين الذين ضمهم الإسلام تحت عباءته، لم تكن لهم الغلبة العددية في بلاد الهند، مقارنة بأعداد من ظلوا على وثنيتهم ولم يعتنقوا الإسلام من الهنادكة، وإن كانت للمسلمين بالطبع الغلبة السياسية والعسكرية.[٣]

وهو ما ينهض دليلاً على قوة وثبات أركان هذا الدين، وقدرة الثقافة الإسلامية على أن تسود غيرها من الثقافات، وأن تغزو بمبادئها السامية فكر وعقائد أصحاب الديانات الأخرى، بالحجة والمنطق، والإقناع.

(١) إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص ٨٠-٨٢.

(٢) إسماعيل العربي، نفسه، ص ٥٥.

(٣) يقول ول ديورانت: " ليس من العجيب أن يفشل الإسلام في اكتساب الهند إلى اعتناقه، إنما المعجزة هي ألا يخضع الإسلام في الهند للهندوسية، فبقاء هذه الديانة الموحدة على بساطتها وصلابتها وسط ألوان من الديانات التي تذهب إلى تعدد الألهة، (بل ويفرض مبادئه وأفكاره، وتعاليمه على فكر أصحاب تلك الديانات، فلا يملكون إلا الاقتداء بها)، دليل على ما يتصف به العقل الإسلامي من رجولة ".
أنظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص ٤٠٧.

الفصل الثاني

العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي

أولاً : دور العلماء الهنود في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي.

١ - العلماء الهنود المقيمون

أ - علماء العلوم الدينية.

١ - علماء التفسير والحديث والقراءات.

٢ - علماء الفقه والأصول والعربية.

ب - علماء العلوم اللغوية والفنون الأدبية والموسيقى.

١ - علماء اللغة العربية (النحو والبلاغة).

٢ - الشعراء والأدباء.

٣ - علماء التاريخ.

ج - علماء الطب والفلك.

د - التصوف ورجاله.

٢ - العلماء الهنود النازحين.

أ - العلماء الهنود المجاورين بمكة والمدينة.

ب - العلماء الهنود النازحين إلى مصر والشام وغيرها.

ثانياً: دور العلماء الوافدين على بلاد الهند في الحياة الثقافية والعلمية بها في عصر سلطنة دهلي.

الفصل الثاني

العلماء ودورهم
في الحياة الثقافية والعلمية
في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي

إذا كانت الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في الفترة الزمنية محل الدراسة قد تشكلت تبعاً للتفاعل بين العديد من الروافد الثقافية والعوامل الداخلية والخارجية كما سبقت الإشارة، فإن العنصر البشري قد لعب الدور الأكبر في إظهار نتائج هذا التمازج والتفاعل المذكور، مجسداً أهم سمات تلك المرحلة من مراحل تطور الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، ومعبراً عن مدى ازدهارها، وذلك في كم وكيف النتاج العلمي والأدبي لعلماء ذلك العصر، سواء ممن ولدوا ونشأوا في بلاد الهند أو ممن وفدوا عليها وشاركوا في الحياة الثقافية والعلمية بها.

فقد احتضنت بلاد الهند في الفترة ما بين القرن السادس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلى القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) كوكبة من كبار العلماء والفضلاء والصلحاء، ممن برعوا في شتى مجالات العلوم والفنون والآداب، فكانوا سبباً رئيسياً وعاملاً من أكبر عوامل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في تلك الفترة.

وهؤلاء العلماء وطلاب العلم كانوا جزءاً من منظومة تعليمية متميزة، يمر خلالها طلاب العلم بمراحل تعليمية مكثفة سواءً في مدارس الهند أو مساجدها، تستوجب أن يقوم الطالب بدراسة أشهر المصنفات في العلم الذي يرغب في التخصص فيه، ويقوم بقراءتها على مشايخ وأساتذة عصره، حتى إذا ما رأى شيخه أو أستاذه أنه أظهر كفاءة في الحفظ والمعرفة، منحه ما يعرف بـ «الإجازة» التي تؤهله كي ينتقل إلى المرحلة التالية فيكون إما مدرساً، أو إماماً، أو واعظاً، أو مرشداً (في مجال التصوف)، كما أن منهم من يتجه إلى الإفتاء، والبعض الأخر إلى القضاء.[1]

---

(١) أحمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ط مؤسسة حمادة، اليرموك، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦م، ص٢١٢.

وقد أمدتنا كتب التراجم والطبقات العامة والخاصة بسير كثير من هؤلاء العلماء، والذين طبقاً لما توافر للباحثة من تراجم لهم، ارتأت أن يكون تصنيفهم على مجموعتين رئيسيتين:

أولاً: العلماء الهنود، وهم من تفخر بلاد الهند بأنهم ولدوا ونشأوا في ربوعها وبرعوا في مختلف مجالات العلوم بها، وهؤلاء أمكن تصنيفهم بدورهم إلى فئتين:

(١) **الفئة الأولى**: من ظل منهم مقيماً في بلاد الهند ولم يغادرها، يكتسب العلم وينهل من معين علماءها وأدباءها، وكذلك من علم أولئك الذين وفدوا على أرضها من علماء من أنحاء شتى من العالم الإسلامي ومن هؤلاء من برعوا في علوم القرآن والحديث والفقه، ومنهم من برع في اللغة العربية والشعر والنثر والأدب والتاريخ، كما أن منهم من برع في العلوم العقلية، من فلك وطب ورياضيات إلى غير ذلك من العلوم.

(٢) **الفئة الثانية**: أما الفئة الثانية فهم علماء الهند الذين ولدوا ونشأوا على أرضها، ثم نزحوا إلى بلدان العالم الإسلامي وكبريات مدنه، طلباً للعلم والمعرفة، فنهلوا من علم علماء تلك المدن والبلدان، وساهموا بقسط وافر في الحياة الثقافية والعلمية فيها، ثم وجدنا أن منهم من آثر البقاء في البلدان التي نزح إليها فعاش ومات ودفن بها، ومنهم من قفل عائداً إلى بلاد الهند ليفيد بلاده بما اكتسب من علوم أثناء ترحاله، وقد أمكن تصنيف هؤلاء العلماء النازحين بدورهم إلى مجموعتين:

١- العلماء الهنود الذين جاوروا[1] بمكة والمدينة.

(١) المجاورة: الجار هو الذي يجاورك، تقول: جاورته مجاورة، جواراً وجُواراً والكسر أفصح١، وجاوره مجاورة أي ساكنه ولاصقه في المسكن٢، أما المجاورة فهي الاعتكاف في المسجد٣ في حين أن المجاورة بمكة والمدينة يراد بها المقام مطلقاً غير ملتزم بشرط الاعتكاف الشرعي٤، والمجاورة بمكة والمدينة، ظاهرة دينية واجتماعية اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته. وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف الفئات في قضاء فترة صفاء ذهني وروحي في رحاب مكة وجوار البيت الحرام وهي تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه٥.
١- الجوهري، الصحاح، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م، ج٢، مادة جور، ص ٦١٧.
٢- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ج١، ص ١٤٦.
٣- الجوهري، الصحاح، ج٢، ص ٦١٨.
٤- ابن منظور، لسان العرب، ج٢، مادة جور، ص ٧٢٤.
٥- عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من ٥٧٠-٦٦٠هـ/١١٧٤-١٢٦١م، بحث مقدم إلى ندوة - مكة المكرمة - عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص ٧.

٢- العلماء الهنود الذين نزحوا إلى مصر والشام وغيره.

ثانياً: العلماء الوافدين على بلاد الهند والذين وفدوا على بلاد الهند في تلك الفترة لأسباب عدة إما هرباً من اضطهاد حاكم أو والٍ، وإما فراراً من إجتياحات المغول لبلدان العالم الإسلامي، وشجعهم على ذلك علمهم بمدى اهتمام ملوك وسلاطين دهلي بالعلم وأربابه وسخاء عطاياهم لهؤلاء العلماء تبعاً لجهودهم العلمية والأدبية، وفيما يلي ذكر هؤلاء العلماء وجهودهم العلمية والأدبية.

أولاً: دور العلماء الهنود في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي:

(١) العلماء الهنود المقيمون:

أ - علماء العلوم الدينية:

١ - علماء التفسير والحديث والقراءات

تجدر الإشارة - في مستهل الحديث عن علماء هذه الفئة - إلى أن دراسة علم القراءات والذي يهدف إلى النطق الصحيح لألفاظ القرآن، وكذلك دراسة علمي الحديث النبوي والتفسير، اللذان يهدفان إلى تفسير معاني القرآن الكريم، وخدمة الدين الإسلامي والسنة النبوية المطهرة، تستوجب الإلمام بعلوم اللغة العربية وأصول الفقه والكلام وغيرها، التي تعتبر من أهم مقومات الإشتغال بها، وذلك بهدف حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة.[1]

وبناءً على ما سبق، فإنه برغم ما أمدتنا به مصادر تراجم هؤلاء العلماء، بما يفيد درايتهم بكثير من تلك العلوم وبراعتهم فيها، إلا أن تصنيفهم كعلماء تفسير أو حديث أو قراءات أو غير ذلك، جاء تبعاً لما تركوه من مصنفات جعلتهم أكثر تخصصاً في علم دون غيره.

وفيما يلي ذكر لأهم هؤلاء العلماء وفقاً لأقدمية تواريخ وفاتهم:

يعتبر الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الماريكلي الإمام كمال الدين الزاهد

(١) طاش كبري زادة، المصدر السابق، مج٢، ص ٥٤.

الدهلوي (ت. ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) من أبرز علماء الهند الذين اشتغلوا بعلم الحديث، وقد أخذ الحديث عن الشيخ حسن بن محمد الصغاني (ت. ٦٥٠هـ/١٢٥٣م) صاحب «مشارق الأنوار»، كما تتلمذ على الشيخ برهان الدين المرغيناني (ت. ٥٩٣هـ/١١٩٧م) صاحب «الهداية»[1]، وقد صنف كتاباً في علم الحديث أسماه «آثار النيرين في أخبار الصحيحين»، وقد وصف بأنه كان عالماً فاضلاً محققاً ورعاً زاهداً متبحراً في الفقه والحديث، وقد أجازه الشيخ الصغاني نفسه، وكانت وفاة الماريكلي ومدفنه بمدينة دهلي.[2]

أما **الشيخ محمد بن علي بن الحميد السعيدي السوالي فريد الدين الناكوري**، فقد وصف بأنه أحد كبار المشايخ في عصره، وقد ولد ونشأ بمدينة ناكور وقد أجازه والده في الحديث في ربيع الأول من عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م. وقد توفي بدهلي ودفن بها في عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م.[3]

وقد كان **الشيخ الفاضل علاء الدين المقرئ الدهلوي**، من أوائل من ذكرتهم مصادر تراجم علماء الهند ممن برعوا في القراءة والتجويد، حيث يذكر صاحب «نزهة الخواطر»، أنه كان أحد العلماء البارزين في هذا العلم، وقد درس وأفاد بدار الملك دهلي في عهد السلطان «علاء الدين الخلجي» (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م).[4]

أما الشيخ العالم المجود «**زكى الدين المقرئ الدهلوى**» فقد كان أحد الأساتذة المشهورين في القراءة والتجويد في الهند في القرن الثامن الهجري.[5]

كما كان الشيخ **مخلص بن عبد الله الدهلوي** (ت. ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) من كبار علماء عصره في مجال علم تفسير القرآن الكريم ببلاد الهند، وقد صنف تفسيراً أسماه

---

(١) كتاب الهداية في الفروع، وهو شرح على متن له سماه "بداية المبتدى"، أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢مج، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت)، مج٢، ص٢٠٣١-٢٠٣٢.

(٢) خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص١٠ - محمد اسحق، علم حديث مين باك وهند كاحصه (إسهامات باكستان والهند في علم الحديث)، ترجمة: حسين الرزاقي، ط١، دار ثقافت إسلامي، لاهور، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ص ١٧٢، الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٠٤.

(٣) خالد الحامدي، المرجع السابق، ص ١٢ - محمد إسحق، إسهامات باكستان والهند في علم الحديث، ص ١٧٩، الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٨-١٠٩.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٤٧ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٨٥.

(٥) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٤٧.

«كشف الكشاف»، وهو شرح كتاب «الكشاف عن حقائق التنزيل» للإمام «الزمخشري الخوارزمي»(ت. ٥٣٨هـ/١١٤٣م).[1]

ومن أشهر علماء الهند في تلك الفترة الأمير الكبير «**تاتارخان الدهلوي الأعظم**»، الذي كان ربيباً للسلطان «غياث الدين تغلق شاه الأول» (٧٢٠-٧٢٥هـ)/(١٣٢٠-١٣٢٥م) الذي اقتناه ورباه فى كنفه، ثم قربه إليه ولده وخليفته محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م)، وولاه الأعمال الجليلة، حتى صار ركناً من أركان سلطنته، وقد وصف بأنه كان عادلاً، فاضلاً، شديد التمسك بالشريعة المطهرة، وقد سار إلى الحرمين الشريفين فسعد بالحج والزيارة، كما كان مقبلاً على العلم، مجالساً للعلماء، ومحسناً إليهم، وقد كان له باع في مجال التفسير، فصنف كتاباً في التفسير أسماه «التاتارخاني»، كما كلف العالم الهندي «عالم بن العلاء الدهلوي» (ت. ٧٨٦هـ/١٣٨٤م)[2] بأن يصنف له كتاباً أسماه «الفتاوى التاتارخانية»، وقد توفي في عهد السلطان فيروزشاه التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م).[3]

أما الشيخ **ضياء الدين عمر بن محمد السنامي**، الذي ذكره صاحب نزهة الخواطر، في تراجم رجال القرن الثامن الهجري، فقد ذكر أنه كانت له يد بيضاء في تفسير القرآن الكريم وكشف حقائقه، ومن مصنفاته «تفسير سورة يوسف من القرآن الكريم»، وكذلك «الفتاوى الضيائية».[4]

ثم الشيخ الفاضل الكبير **القاسم بن عمر الدهلوى**، الذي ولد ونشأ بمدينة دهلي، فحفظ القرآن الكريم وتتلمذ على يد العالم جلال الدين الدهلوي، فأخذ عنه الفقه والحديث، وقد صنف كتاباً في التفسير أسماه «لطائف التفسير» في تفسير القرآن، والذي وصفه صاحب سير الأولياء بأنه «يحتوي على اللطائف والأسرار».[5]

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج٢، ص ١٤٧٥-١٤٨٤ - أيضاً: القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٧ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٦٠.

(٢) ستأتي ترجمته تفصيلاً ضمن علماء الفقه والأصول والعربية فى موضعه من هذا الفصل إن شاء الله.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٨-١٩.

(٤) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٩٧-٩٨.

(٥) محمد مبارك، سير الأولياء، طبع بدهلي، ١٣٠٢هـ/١٨٨٧م، ص ٥٧ - الندوي، نفسه، ج٢، ص ١١٣.

٢ - علماء الفقه والأصول والعربية:

ولقد احتل هؤلاء المرتبة الأولى في تعداد من اشتغل من العلماء الهنود بالعلوم الدينية، ولعل الشيخ «نجم الدين الصغري» (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) هو أول من ذكر من علماء الفقه الهنود، وهو الذي وصف بأنه الشيخ العالم الفقيه، وأحد الرجال المشهورين بالهند، وقد تولى شياخة الإسلام بها، وذلك في عهد السلطان شمس الدين ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١٠-١٢٣٥م) وتوفي في عهده .[1]

في حين كان الشيخ العالم الكبير العلامة أبو بكر بن يوسف بن الحسين السقراني الإمام سراج الدين السجزي، أحد كبار العلماء البارزين في الفقه وأصوله، كما برع في اللغة العربية، ودرس وأفاد مدة طويلة بدار الملك دهلي في عهد السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م) ومن قبله من الملوك، وقد أخذ عنه جمع كثير من العلماء .[2]

ومن العلماء الذين برعوا في الفقه وأصوله وفي اللغة العربية في عهد السلطان غياث الدين بلبن، الشيخ العالم الفقيه سديد الدين الحنفي الدهلوي، أحد كبار علماء الفقه الحنفي وأصوله، وعلوم اللغة العربية، وكان يدرس أيضاً بدار الملك دهلي في عصر السلطان المذكور .[3]

ثم الشيخ الفقيه شرف الدين الولوالجي الدهلوي، وهو من كبار الأساتذة الذين درسوا وأفادوا بدار الملك دهلي في عهده، وقد تولى الشيخ الولوالجي قضاء دهلي في عهد السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٥-١٣١٦م) .[4]

وكذلك الشيخ العالم الفقيه القاضي «ظهير الدين الدهلوي»، ممن كانوا يدرسون ويفيدون في دار الملك دهلي في عهد السلطان بلبن أيضاً، وقد أخذ عنه خلق كثير من العلماء .[5]

---

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٣٥.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٢١.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج١، ص ١٦١.
(٤) الندوي، نفسه، ج١، ص ١٦٣، ج٢، ص ٢٢.
(٥) الندوي، نفسه، ج١، ص ١٧١.

الشيخ الفاضل القاضي كمال الدين الجعفري البدايوني أحد كبار العلماء الهنود الذين برعوا في الفقه وله كتاب «المغني في الفقه»، وقد توفي ودفن ببدايون*، في القرن السابع الهجري كما أورد صاحب نزهة الخواطر .[1]

ولعل من أبرز فقهاء عهد السلطان غياث الدين بلبن، الشيخ الفاضل «فصيح الدين الدهلوي»، أحد الفقهاء البارزين، البارعين في العلم والعمل، وهو الذي قرأ أصول الفقه وسائر الفنون على غيره من كبار العلماء، وقد وصف بأنه مفرط الذكاء، جيد القريحة، كثير الدرس والإفادة، حتى جعله السلطان غياث الدين بلبن معلماً لأبنائه، وقد اعتزل التدريس فيما بعد وانقطع للعبادة والزهد، ومال إلى التصوف .[2]

وقد شهد عصر السلطان علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م)، ازدهاراً كبيراً في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، فرغم أن هذا السلطان كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنه كان محباً للعلم والثقافة ويصادق العلماء ويُظهر لهم التقدير والاحترام البالغين[3]، لذا اجتمع في بلاطه علماء كثيرون، نخص بالذكر منهم في هذا المقام من اشتغل بالفقه وأصوله وبعلوم اللغة العربية، والذين عملوا بالتدريس في دار الملك دهلي في عصره، وإن كنا للأسف لا نعرف إلا القليل عنهم وعن إنتاجهم ولعل أبرز هؤلاء :-

الشيخ حسان الدين الدهلوي، وهو ممن اشتغلوا بالدرس والإفادة بدار الملك دهلي وله من المصنفات «بحار الذخيرة».[4]

أما الشيخ الكبير حجة الدين الملتاني والشيخ ركن الدين الحنفي السنامي، والقاضي شرف الدين الرهاهي الدهلوي، والشيخ صدر الدين الساوي، والشيخ علاء الدين الناصر الدهلوي، والشيخ علاء الدين كرك، والشيخ الفاضل علاء الدين اللاهوري، والذي وصف بأنه كان أحد الأساتذة المشهورين بدهلي في عهد السلطان علاء الدين

---

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٠١.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٩-١١٠ - كذلك: محمد مبارك، سير الأولياء، ص١٢٩.
(٣) أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦١.
(٤) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٧ - أيوب تاج الدين، المرجع السابق، ص ٦٣.

للخلجي.[1] والشيخ كريم الدين الجوهري الدهلوي، والشيخ نجم الدين الدهلوي المشهور بـ «انتشار»، والشيخ نصير الدين الدهلوي، والشيخ نصير الدين الصابوني، والشيخ نصير الدين الكروي، والشيخ نظام الدين الكلاهي، فقد كانوا جميعاً من العلماء الهنود الذين برعوا في علوم الفقه وأصول الفقه واللغة العربية، وجلسوا للدرس والإفادة بدار الملك دهلي في عصر السلطان علاء الدين للخلجي، وقد أوردهم صاحب نزهة الخواطر ضمن رجال المائة الثامنة وتحديداً في عهد السلطان المذكور.[2]

وإذا كانت سلطنة دهلي في عصر السلطان علاء الدين محمد شاه المخلجي قد شهدت هذا العدد من علماء الفقه والأصول العربية الهنود، فلم يكن عصر السلطان غياث الدين تغلق شاه الأول (٧٢٠ – ٧٢٥هـ)/(١٣٢٠–١٣٢٥م) – مؤسس حكم أسرة آل تغلق والتي حكمت سلطنة دهلي في الفترة (٧٢٠–٨١٧هـ)/(١٣٢٠–١٤١٤م) – بأقل أهمية، حيث شهد مجموعة من علماء الفقه والأصول والعربية لعل أبرزهم:-

الشيخ الفاضل الكبير افتخار الدين المكيلاني، أحد العلماء الهنود البارزين في الفقه والأصول والعربية، وقد قام بتدريس كافة الكتب الدراسية.[3]

الشيخ الفقيه القاضي سماء الدين الدهلوي، والذي كان عالماً مشهوراً في عصره، وقد ولاه السلطان غياث الدين تغلق شاه، القضاء بمدينة دهلي.[4]

ولعل أبرز الفقهاء في عصر السلطان غياث الدين تغلق، الشيخ الفاضل العلامة، عبد الكريم الحنفي الشرواني، أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول والعربية، وكان يدرس ويفيد في مدينة دهلي، ولعل أبرز ما درس من كتب الفقه «هداية الفقه»[5]، و«أصول

---

(١) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٨٥.

(٢) أنظر: الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٣٦، ٤٥، ٥٢، ٦٣، ٨٤–٨٥، ١١٥، ١٧٢–١٧٢ – على الترتيب.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٥.

(٤) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٩.

(٥) هداية الفقه = هو كتاب الهداية في الفروع لشيخ الإسلام برهان الدين على بن أبي بكر المرغيناني الحنفى (ت. ٥٩٣هـ/١١٩٦م)، وقد اعتنى به الفقهاء قديما وحديثا، وقيل أو من شرحه حميد الدين على بن محمد بن على الضرير البخاري(ت. ٦٦٧هـ/١٢٦٩م) فى جزئين، ويسمى بالفوائد وغيره الكثير من الشروح، للمزيد: راجع، حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ٢٠٣١–٢٠٣٩.

البزدوي»[1].[2]

وقد أمدنا الرحالة العربي المغربي «ابن بطوطة»[3] (ت. ٧٧٩هـ/١٣٣٧م) بأسماء بعض فقهاء الهند الذين التقاهم في اثناء تواجده ببلاد الهند ومن أبرزهم:-

- الشيخ العالم الفقيه «بدر الدين الشافعي المعبري»، الذي كان قاضياً بمدينة «منكرور»[4]، وقد ذكر ابن بطوطة أنه كان شافعي المذهب، كما كان يقرئ العلم.[5]

- الشيخ الفقيه زين الدين المبارك المكواليري والذي كان قاضياً ببلدة كواليار في عهد السلطان قطب الدين مبارك شاه المخلجي (٧١٦–٧٢٠هـ)/(١٣١٦–١٣٢٠م).[6]

- الشيخ الفقيه الإمام صدر الدين البهكري الحنفي السندي، أحد الفقهاء البارعين في العلم وقد لقيه ابن بطوطة فى مدينة بهكر من بلاد السند في عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م.[7]

- الشيخ الفاضل الكبير فخر الدين عثمان المليباري أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول وكان قاضياً على مدينة قاليقوط** حينما لقيه ابن بطوطة بها.[8]

ومن أبرز علماء الفقه في ذلك العصر، الشيخ الفقيه مخلص بن عبد الله الشيخ حميد الدين الهندي الدهلوي، أحد كبار الفقهاء الحنفية فى بلاد الهند، وقد عكف على

---

(١) أصول البزدوي: هو كتاب فى أصول الفقه للإمام فخر الإسلام على بن محمد البزدوي (نسبة إلى قرية بزدة) من قرى نسف، وهي على مدرج طريق بخارى وبلخ من إقليم خراسان، توفي في عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م وكتابه هذا وصف بأنه عظيم الشأن، جليل البرهان، وله شروح كثيرة – للمزيد مراجعة، حاجي خليفة، المصدر السابق، مج٢، ص ١١٢–١١٣ – كذلك الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٥–٥٣٦.

(٢) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٧٠.

(٣) سيأتي ذكره تفصيلاً فيمن وفد على بلاد الهند من علماء، في موضعه من هذا الفصل، ص١٠٨–١٠٩.

(٤) منكرور أو منجرور = إحدى المدن الساحلية الكبيرة على ساحل مليبار (أوسط الساحل الغربي لبلاد الهند) على خور يسمى خور الدنب، وتسمى اليوم منقلور، أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٦٩ – حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص ١٧٣ – أيضاً، الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٧.

(٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٥٦٩ – الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧.

(٦) ابن بطوطة، نفسه، ص ٤٥٤ – كذلك، الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٧.

(٧) ابن بطوطة، نفسه، ص ٤٢١ – أيضاً: الندوي، نفسه، ج٢، ص ٦٣.

(٨) ابن بطوطة، نفسه، ص ٥٧٢ – أيضاً: الندوي، نفسه، ج٢، ص ٧٧.

تحصيل العلوم الشرعية، فنبغ في الفقه، وشرح كتاب «الهداية في الفقه» شرحاً حسناً ولكنه لم يكمله، وقد امتدح صاحب كشف الظنون شرحه هذا قائلاً: «إن شرحه في هداية الفقه شرح مفيد، ما قصر فيه عن تحقيق المباني ولا التلى فيه تنقيح المعاني، وهو شرح ممزوج لطيف»، وقد كانت وفاته في عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م .[1]

ـ الشيخ العالم الكبير فريد الدين عالم بن العلاء الحنفي الأندريتي، أحد العلماء البارعين في الفقه والأصول واللغة العربية، صنف «الفتاوى التاتارخانية» في الفقه الحنفي وقد أطلق عليه أيضاً «زاد السفر» أو«زاد المسافر» وقد صنفه في عام ٧٧٧هـ/١٣٧٦م للأمير الكبير تاتارخان فسماه باسمه، كما رتب أبواب كتاب «الهداية في الفقه»، وقد توفي العلاء الأندريتي في عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م .[2]

الشيخ يوسف بن الجمال الملتاني، أحد كبار الفقهاء الحنفية، الهندي المولد والنشأة والوفاة، حيث ولد بمدينة الملتان من إقليم السند ونشأ بها، ثم دخل دهلي فولاه السلطان فيروزشاه التغلقي التدريس بالمدرسة الفيروزية التي أسسها بالمدينة، وللشيخ الملتاني مصنفات عدة، منها «اليوسفي» وهو شرح بسيط على كتاب «لب الألباب» في علم الإعراب «للبيضاوي»[3]، وصنف كذلك «توجيه الكلام» وهو شرح «منار الأصول»[4]، وقد توفي الشيخ يوسف الملتاني في عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م.[5]

ومن فقهاء الهند في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، الشيخ الإمام العالم ركن الدين البدايوني، أحد الفقهاء البارعين في الفقه الحنفي والأصول والعربية وهو من

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ٢٠٣٩ - أيضاً: القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٧ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها، ص ٦٢ - كذلك الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) حاجي خليفة، المصدر السابق، ص ٢٦٨ - أيوب تاج الدين، المرجع السابق، ص ٦٣ - أيضاً: الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٧-٦٨.

(٣) هو الإمام الشافعي "ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي" (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): أنظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه، مج٢، ص ١٦٩٨.

(٤) هو كتاب "منار الأنوار" في أصول الفقه، للشيخ الإمام (أبي البركات عبد الله بن أحمد)، المعروف بحافظ الدين النسفي (ت. ٧١٠هـ/١٣١٠م) وهو متن متين، جامع مختصر نافع، اعتنى بشأنه العلماء، وله عدة شروح، أنظر: حاجي خليفة، نفسه، مج٢، ص ١٨٢٣-١٨٢٧.

(٥) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٧٨.

أساتذة الشيخ «سراج الدين أبو حفص عمر الهندي»[1]، أحد علماء الهند الذين نزحوا إلى مصر، وقد تولى قضاء الحنفية بها .[2]

كذلك الشيخ العلامة سراج الدين الثقفي الدهلوي، أحد كبار علماء الهند في الفقه والأصول والعربية وهو أحد أساتذة الشيخ «عمر الهندي» .[3]

ثم الشيخ الكبير، وجيه الدين الرازي، أحد كبار الفقهاء بدهلي في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وقد اعتبر من كبار الأساتذة بدهلي .[4]

وقد حفل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بمجموعة من العلماء الهنود الذين برعوا في علوم الفقه وأصول الفقه واللغة العربية، ممن أدلوا بدلوهم في هذا المجال بالتدريس والإفادة فى دار الملك دهلي من جهة، وبالتصنيف ووضع الشروح على أشهر المصنفات في الفقه وأصوله من جهة أخرى. ومن أبرز هؤلاء:-

ـ الشيخ العالم الكبير خواجكي بن محمد الحنفي الدهلوي، الذي ولد ونشأ بدار الملك دهلي، وقد اشتغل بتحصيل العلم على الشيخ «معين الدين العمراني»[5]، فبرز في الفقه والأصول والعربية، ثم اشتغل بالتدريس في دهلي زمناً طويلاً، ثم خرج منها قبل إغارة تيمورلنك عليها في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م، واتجه جنوباً وأقام في بلدة تدعى كالبي، وقد توفي بها في عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م .[6]

(١) توفي في عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م وستأتي ترجمته تفصيلاً ضمن العلماء الهنود والنازحين في موضعه من هذا الفصل، ص١٠١-١٠٢ .

(٢) ابن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج٤، ص ١٤٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٤٥-٤٦.

(٣) ابن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٠٤ - الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٩.

(٤) ابن أبي الوفاء القرشي، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٤٦ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٧٦-١٧٧.

(٥) هو الشيخ معين الدين العمراني الدهلوي، كان فاضلاً مشاراً إليه بالأنامل، درس بدهلي وأرسله السلطان محمد تغلق شاه الثاني (ت. ٧٥٢هـ/١٣٥١م) إلى القاضي عضد الايجي بشيراز والتمس قدومه بالهند، فأمسكه السلطان أبو اسحق وأكرم الشيخ إكراماً بليغاً، ... وله تصانيف منها "الحواشي على الكنز"، وعلى الحسامي، وعلى مفتاح العلوم، أنظر: القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٨.

(٦) الندوي، نفسه، ج٣، ص٦٣-٦٤.

القاضي محمود بن العلاء النصيرآبادي، الذي ولد ونشأ بنصيرآباد من بلاد الهند وتولى قضاءها في عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، وقد ذكر صاحب نزهة الخواطر أنه «حصل له الفتوح في الفقه فلا يكاد يجارى فيه، وجر أذيال المفاخرة على ذويه، مع وقوف تام على علوم كثيرة وفنون جمة»[1]، وقد توفي في عام ٨٦٨هـ/١٤٦٢م بنصيرآباد ودفن بها .[2]

الشيخ الفاضل الكبير محمود بن محمد الشيخ سعد الدين الدهلوي، أحد كبار الفقهاء الحنفية، قام بشرح «منار الأنوار» في أصول الفقه، للشيخ حافظ الدين النسفي (ت. ٧١٠هـ/١٣١٠م) وأطلق على شرحه هذا اسم «إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار»، وقد توفي في عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م .[3]

ب- علماء العلوم اللغوية والفنون الأدبية والموسيقى:

وقد تخصص هؤلاء العلماء في دراسة علوم اللغة العربية والاشتغال بها من نحو وصرف وبلاغة إلى غير ذلك، حتى ما إن وصلوا إلى مرحلة الإتقان اللغوي، حتى جـدوا هذا الإتقان في نتاج أدبي متنوع ما بين شعر ونثر ومصنفات أدبية تاريخية، إضافة إلى ميل بعضهم إلى علم الموسيقى فاشتغلوا به حتى برعوا فيه وسوف نتناول ذلك تفصيلاً فيما يلي:-

١ - علماء اللغة العربية (النحو والبلاغة):

سبقت الإشارة في سياق تناول علماء التفسير والحديث والقراءات، إلى أن إتقان اللغة العربية وعلومها. كان القاسم المشترك الأعظم بين علماء ذلك العصر المشتغلين بالعلوم الدينية بصفة عامة، إذ لا انفصال بين علوم القرآن والحديث والسنة وبين اللغة العربية وعلومها، وإنما قادنا إلى هذا الشكل من تصنيف هؤلاء العلماء، ما تركوه هم من مصنفات من جهة وما ذكرته مصادر تراجمهم من اشتغالهم بتدريس أحد هذه العلوم، أو الاشتغال بتحصيلها من جهة أخرى.

وفيما يلي ذكر لأشهر علماء الهند الذين اشتغلوا بالعلوم اللغوية وبرعوا فيها :-

---

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٠.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٦٠.
(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٨٢٤ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٦٠، ج٣، ص ١٦٧.

الشيخ عبد الله بن محمد الحسيني الشيخ جمال الدين الدهلوي، ممن برعوا في اللغة العربية والنحو، وقد صنف «العباب شرح اللباب»[1] في النحو في عام ٧٣٥هـ/١٣٣٤م، للسلطان محمد تغلق شاه الثاني، كما صنف أيضاً «شرح تنقيح الأصول»، وقد توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .[2]

الشيخ الفاضل، محمود بن أبي محمود الدهلوي، الذي صنف في عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، كتاباً أسماه «آداب الفضلاء في اللغة» وقد جعله قسمين، أولهما: الألفاظ الفارسية وفسرها باللغة الهندية، وثانيهما: اصطلاحات الشعراء، كلاهما بترتيب الحروف.[3]

الشيخ أحمد بن عمر الدولت آبادي الهندي الدهلوي (ت. ٨٤٩هـ/١٤٤٤م)، وكان من كبار علماء الهند في علم النحو، حيث صنف «الحواشي على الكافية»[4]، «والإرشاد في النحو»، الذي وصفه صاحب كشف الظنون بأنه فتن لطيف، تعمق في تهذيبه كل التعمق، وتأنق في ترتيبه حق التأنق» .[5]

الشيخ الفاضل محمود بن محمد الدهلوي تاج الدين النحوي، الذي كان من علماء الهند المشهورين في معرفة النحو العربية، وقد صنف كتاباً في النحو أسماه «المقصد في النحو» وقد توفي في عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م .[6]

هذا بالإضافة إلى مجموعة من علماء الهند الذين برعوا في العلوم اللغوية، ممن أوردهم صاحب نزهة الخواطر ضمن تراجم رجال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر

---

(١) هو شرح على "اللباب في النحو" للشيخ الإمام تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد المعروف بالفاضل الأسفراييني، المتوفي عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م: أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٥٤٣.
(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٦٦.
(٣) حاجي خليفة، المصدر السابق، مج١، ص ٤٤ - أيضاً: الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٦٦.
(٤) "الكافية في النحو" كتاب للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي النحوي المتوفي سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م وقد نظمها في أرجوزة أسماها "الوافية" وشرحها، للمزيد راجع: حاجي خليفة، المصدر نفسه، مج٢، ص ١٣٧٠-١٣٧٦.
(٥) حاجي خليفة، نفسه، مج١، ص ٦٨، مج٢، ص ١٣٧١ - أيضاً: إسماعيل البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تصحيح: محمد شرف الدين، رفعت الكليسي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (د.ت)، ج٢، ص ٥٦١.
(٦) حاجي خليفة، نفسه، مج٢، ص ١٨٠٦ - أيضاً: الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٦٧.

الميلادي من أبرزهم الشيخ الفاضل ركن الدين الأندريتي،[1] وكذلك الشيخ الفاضل العلامة ظهير الدين البهكري السندي، الذي وصفه بأنه «لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة وكذلك الفقه والأصول»،[2] في حين وصف الشيخ الكبير فريد الدين الشافعي الأودي* بأنه «لم يكن مثله في زمانه في النحو اللغة العربية والتفسير».[3]

٢ - الشعراء والأدباء:

ومن أبرز شعراء الهند وأدبائها في عصر سلطنة دهلي، الشيخ الفاضل تاج الدين الدهلوي الدبير، المشهور بـ«ريزة»، ومعناها «الفتيت»[4]، ولقب بذلك لأنه كان نحيفاً صغير الجسد، وقد ولي ديوان الرسائل** في عهد السلطان شمس الدين ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م)، كما ألف قصيدة يهنئ فيها السلطان المذكور بفتح قلعة جواليار في عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م يقول فيها:

هر قلعة كه سلطان سلاطين بكرفت

از عون خدا ونصرت دين بكرفت

آن قلعة كليور وآن حصن حصين

در ستمائة سنة ثلاثين بكرفت[5]

ومعناها:-

كل قلعة أخذها سلطان السلاطين

أخذها بعون الله ونصرة الدين

أخذ قلعة جواليار هذا الحصن الحصين

أخذها في سنة ستمائة وثلاثين

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٤٥.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٦.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٠٨.
(٤) المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ص ٧٩ - أيضاً - الندوي، نفسه، ج١، ص ١٣٣.
(٥) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٦٩ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٣٤.

ومن شعراء هذه الفترة أيضاً: فخر الملك فخر الدين عميد التونكي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال، شغل منصب مستوفي الممالك* في بلاد الهند في عصر السلطان الصالح ناصر الدين محمود بن الألتمش (٦٤٤-٦٦٤هـ)/(١٢٤٦-١٢٦٥م)، وكان شاعراً مجيداً، له قصائد غراء بالفارسية، ومن شعره قوله:

منكه چون سيمرغ دريك كوشه مسكن كرده أم

ما وراى مركز خاكى نشيمن كرده أم

ننك هر مرغى در ين بوم ازچه معنى ميكشم

رفته ام عنقا صفت دركوه مسكن كرده ام .[1]

ومعناها:

منذ أن أنزوى كل طير في مسكنه

واتخذ له مركزاً في مستقره الدنيوى

عرف كل طير في هذه المنطقة معنى الخزى

فمن اتخذت صفة العنقاء استراحت في مسكنها البعيد

أما الشيخ الفاضل شمس الدين السنامي الدبير، فقد كان من العلماء البارزين في الإنشاء وقرض الشعر، وكان متولياً بديوان الإنشاء في عهد السلطان ناصر الدين محمود بن الألتمش، وله قصائد غراء في مديحه، وكان شاعراً بليغاً مجيد الشعر، اعترف بفضله الشاعر «أمير خسرو الدهلوي» (ت. ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) الآتى ذكره في فاتحة كتابه «غرة الكمال»، وقد توفي السنامي في عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م .[2]

وقد ذكر صاحب طبقات أكبري، بعضاً من شعراء الهند الذين برعوا وذاع صيتهم في الشعر والأدب في عصر السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م)، فذكر منهم الأمير حسن السنجري الذي كان مشهوراً بسلامة الكلام ولطافة الحديث، وقد وصفوه بـ (سعدي هندوستان) نظراً لكثرة ما نظم من غزليات، وكتب من كلام جميل، وله : «فوائد الفوائد» و تصانيف أخرى كثيرة النظم والنثر. [3]

(١) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٨٧.
(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١١٩٨ - أيضاً، الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٥٥-٥٦.
(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٤٨.

ومن شعراء عصر السلطان علاء الدين المخلجي أيضاً والذين ذكرهم صاحب طبقات أكبري، «صدر الدين علي»، و «فخر الدين قواس»، و «حميد الدين راجه» و «عبيد حكيم»، و شهاب صدر نشين»، وكانوا جميعاً ينالون الأنعام لكونهم شعراء وكان لكل واحد أسلوب خاص في شعره، ودواوينهم وشعرهم يشهدان لهم بالكمال والفضل والأدب، ولكنه لم يورد من أشعارهم أو مصنفاتهم شيئاً. [1]

على أن أبرز شعراء الهند في تلك الفترة الشاعر والإمام والشيخ الفاضل «خسرو بن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي»، الذي وصف بأنه لم يكن له نظير في العلم والمعرفة، خاصة الشعر والبلاغة والموسيقى، كما كانت له يد بيضاء في فنون الكلام، والمعنى، والنظم والنثر، وقد ولد الشاعر خسرو الدهلوي في عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م في بيتالي من أعمال دهلي، ونشأ في دار الملك دهلي، حتى تنبل في عهد السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م) الذي جعله أميراً، وقد حرص الأمير خسرو على الجد والتحصيل حتى بلغ الغاية، وتفرد بالشعر والموسيقى والبلاغة وغيرها، ثم مال إلى التصوف، كما نال حظاً وافراً من تقرب الملوك والأمراء، فنال منهم الصلات والعطايا الجزيلة، وقد بلغ من تفرده في الموسيقى أن اخترع رقصات وألحان جديدة، عاشت بعده وأصبحت مع مرور الزمن تحفاً من ذخائر التقاليد الهندوسية والفارسية.[2] كما قام باختراع آلة موسيقية تُسمى «ستيار»، ووضع ألحاناً مثل «چوّالي»، «بهار»، و«باسان»، التي تعتبر جزءاً هاماً من الموسيقى الكلاسيكية الهندية.[3]

ولأمير خسرو الدهلوي شعر باللغة العربية، كما أن له عدد من الكتب الشهيرة، بعضها باللغة العربية، وجلها بالفارسية، ومن أشهر مصنفاته «الإعجاز الخسروي فى البدائع»، و «محسنات الكلام»[4]، و «غرة الكمال»، و «البقية النقية»، و «نهاية الكمال»، وله كذلك خمس قصائد بالفارسية منها «مرآة الصفا»، وهي قصيدة سينية في

(١) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٤٨.
(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٤٧-١٤٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٣٨ - إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٥٠.
(٣) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ٣١٨-٣١٩.
(٤) كتاب "محسنات الكلام"، يقع فى ثلاث مجلدات، فرغ من تصنيفه سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م - انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١١٩٨ - إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص ٣١٩ - الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٩.

مائة وخمسين بيتاً، بالإضافة إلى تصنيفه لـ«مزدوجات» جمع فيها بين الشعر والتاريخ منها «تاج الفتوح»، وهي مزدوجة في غزوات السلطان جلال الدين فيروزشاه المخلجي (٦٨٩-٦٩٥هـ)/(١٢٩٠-١٢٩٥م)، ومنها أيضاً «خزائن الفتوح»، وهي مزدوجة في فتوح السلطان علاء الدين محمد شاه المخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م)، ومنها «نه سبهر»"، وهي مزدوجة صنفها باسم السلطان قطب الدين مبارك شاه المخلجي (٧١٦-٧٢٠هـ)/(١٣١٦-١٣٢٠م)، ومنها «تغلق نامة» في غزوات السلطان غياث الدين تغلق شاه (٧٢٠-٧٢٥هـ)/(١٣٢٠-١٣٢٤م).[1]

ومن شعره قوله:-

ذاب الفؤاد وسال من عيني الدم   وحكى الدوامع كل ما أنا أكتم
وإذا بحت لدى الورى كرب النوى   تبكي الأحبة والأعادي ترحم
يا عاهل العشاق دعني باكياً   إن السكون على المحب محرم
من بات مثلي فهو يدري حالتي   طول الليالي كيف بات متيم[2]

وقد كانت وفاة «خسرو الدهلوي» في ليلة الجمعة ١٨ من شوال سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وله أربع وسبعون عاماً، وقد دفن في مدينة دهلي. [3]

ومن أبرز شعراء الهند في تلك الفترة الشيخ الفاضل ضياء الدين الخشبي البدايوني والذي برع إلى جانب الشعر في الإنشاء والموسيقى، وقد صنف كتاباً ضخماً بالفارسية في عام ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، يحتوي على الحكم والنصائح، بعبارات مهذبة، واستعارات مستعذبة، بالنثر والنظم، إضافة إلى كتابين في السلوك باللغة الفارسية، كما برع في علوم أخرى، مثل الطب كما نشاهد فيما بعد في موضعه من هذا الفصل. [4]

ومن شعراء الهند أيضاً، الشيخ القاضي «عبد المقتدر بن القاضي ركن الدين الشريحي الكندي الدهلوي» (ت. ٧٩١هـ/١٣٨٩م)، ولد ونشأ بدار الملك دهلي، وكان

(١) أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦١-٦٢ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٣٩.
(٢) أيوب تاج الدين، المرجع السابق، ص ٦٢ - أيضاً: الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٠.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٤١.
(٤) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٦٦.

عالماً مقتدراً في اللغة العربية، كما برع في الأدب والإنشاء، وله قصيدة لامية طويلة في مدح النبي (صلعم) أولها:

يا سائق (الظعن) في الأسحار والأصل ... سلم على دار سلمى وابك ثم سل

ومنها:

وإنني رجل من معشر سحبوا ... ذيل التبتل والتقوى على زحل

أسد إذا سخطوا أمنوا عدوهم ... قوم إذا فرحوا أعطوا بلا ملل

ما قال قائلهم يوماً لواحدهم ... لو كنت من «مازن» لم تستبح إبلي

ومن قوله أيضاً:

يا طالب الجاه في الدنيا تكون غداً ... على شفا حفرة النيران والشعل

يا طالب العز في العقبى بلا عمل ... هل تنفعنك فيها كثرة الأمل[1]

أما الشيخ أحمد بن محمد التهانيسري، فقد كان من أبرز شعراء الهند في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وهو الذي وصف بأنه من أدباء الهند وفضلائها البارعين، ولد ونشأ بدار الملك دهلي، وقرأ العلم على القاضي عبد المقتدر الشريحي الكندي (ت. ٧٩١هـ/١٣٨٩م)، ثم خرج من دهلي في فتنة تيمورلنك سنة (٨٠١هـ/١٣٩٩م)، بعد أن علم بنية تيمورلنك اصطحابه معه إلى سمرقند[***] ليكون في مجلسه، فأبى وخرج إلى «كالپی» من جنوب الهند، وسكن بها، واشتغل بالدرس والتعليم بها، إلى أن توفي داخل قلعتها في عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م.[2]

وللتهانيسري قصيدة دالية بديعة في مدح النبي (صلعم) أولها:-

أطار لبي حنين الطائر الغرد ... وهاج لوعة قلبي التائه الكمد

واذكرتني عهوداً بالحمى سلفت ... حمامة صدحت من لاعج الكبد[3]

---

(١) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٨ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦٣ - عبد الحق الدهلوي، أخبار الأخيار في أسرار الأبرار، ط دهلي ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ص ٧٧ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٧٠-٧٦.

(٢) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٨-٢١٩ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦٤، الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٨-١٣.

(٣) القنوجي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩.

ومنها:

يا أفضل الناس من ماض ومؤتنف ... وأكرم الخلق من حر ومن عبد

أفديك بالروح والقلب المشوق معاً ... والنفس والمال والأهلين والولد

قد عاقني البعد عن مرماي يا سكني ... وطال شوقي إلى لقياك يا سندي[1]

٣ - علماء التاريخ:

وقد برز من علماء الهند من برعوا في علم التاريخ، وتركوا مصنفات قيمة، سجلوا فيها ما عاصروه من أحداث وشاهدوه من وقائع في عهود من عاصروا من سلاطين دهلي، وقد ساعدهم في ذلك قربهم من هؤلاء السلاطين، وملازمتهم لبلاطهم، ومداومتهم على مجالسهم، مما وفر لهم مناخاً خصباً ومادة علمية قيمة لوضع تلك المصنفات، والتي وصل إلينا بعضها، لتعد رغم قلتها أهم مصادر التأريخ لتلك الفترات التي عاصروها، ولعل أبرز هؤلاء العلماء:-

الشيخ العالم الكبير القاضي أبو عمر عثمان بن محمد بن عثمان بن إبراهيم بن عبد الخالق الجوزجاني، الشيخ منهاج الدين سراج الدين الدهلوي صاحب «طبقات ناصري»، ولد على الأرجح في عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م في لاهور، اعتماداً على ما صرح به هو نفسه بقوله أنه كان ابن ثمانية عشرة عاماً في عام (٦٠٧هـ/١٢١٠م) عندما توفي والده في سنه المبكرة تلك، فرحل في طلب العلم إلى بلاد وعرة، وقد دخل الجوزجاني مدينة أج من بلاد السند، لأربع ليال بقين من جمادى الأولى في عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، وتقرب إلى (ناصر الدين قباجة)[2]، ملك السند (٦٠٢-٦٢٤هـ)/(١٢٠٦-١٢٣٧م) فولاه التدريس بالمدرسة الفيروزية، وعندما استولى السلطان شمس الدين ألتمش سلطان دهلي على السند وحاصر قلعتها أج تقرب إليه الجوزجاني في عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، فولاه السلطان ألتمش القضاء والخطابة والإمامة والاحتساب وغير ذلك من الأمور الشرعية بمدينة

---

(١) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١١.

(٢) ناصر الدين قباجة، هو أحد مماليك السلطان الغوري (معز الدين محمد بن سام) (ت. ٦٠٢هـ/١٢٠٦م) الذين اقتسموا الملك بعده، وحمل كل واحد منهم لقب المعزي، وهم قطب الدين أيبك فى لاهور ودهلي (٦٠٢-٦٠٧هـ)/(١٢٠٦-١٢١٠م)، وتاج الدين يلدوز فى غزنة (٦٠٢-٦١٣هـ)/(١٢٠٦-١٢١٦م) وبختيار محمد خلجى في البنغال ولكنو. أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٥٧-٦٤ - أ. فو زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٤١٩.

كواليار في عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م فاستقل بها إلى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، ثم دخل دهلي في عهد السلطانة رضية الدين ابنة ألتمش (٦٣٤-٦٣٧هـ)/(١٢٣٦-١٢٣٩م)، فولي أوقاف المدرسة الناصرية بدهلي مع القضاء بمدينة كواليار وقد ظل على تقربة بملوك وسلاطين دهلي حتى ولاه السلطان «ناصر الدين محمود بن الألتمش» (٦٤٤-٦٦٤هـ)/(١٢٤٦-١٢٦٥م) في عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م أوقاف المدرسة الناصرية، وقد صنف له الجوزجاني «ناصر نامه» وهي منظومة في غزوات ناصر الدين محمود شاه وانتهى منها في عام ٦٤٥هـ/١٢٤٧م. إضافة إلى براعته في السير والتاريخ والشعر وكذلك الفقه والأصول، وقد ترك مصنفات عديدة منها «طبقات ناصري» في التاريخ، صنفه في عهد السلطان ناصر الدين محمود بن ألتمش، وكذلك «ناصر نامه»، وله كذلك قصائد فارسية في المديح.

ويعد كتابه طبقات ناصري من أقيم المصادر التاريخية التي أرخت لتلك الفترة حيث يقع في ثلاث وعشرين مجلداً، يبدأ في المجلد الأول بتاريخ الأنبياء ثم يتبعه في الثاني بأخبار الخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة، وأعقاب سيدنا علي رضي الله عنه، أما الجزء الثالث ففي أخبار الخلافة الأموية، والرابع في أخبار الخلافة العباسية إلى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م (أي حتى سقوطها في بغداد) والخامس في أخبار ملوك الفرس، والسادس في تاريخ ملوك اليمن، والسابع في أخبار الدولة الطاهرية[1] (٢٠٥-٢٥٩هـ)/(٨٢١-٨٧٣م)، والثامن في أخبار (الصفاريين)[2]، حتى عام ٢٨٩هـ/٩٠٢م، والمجلد التاسع في أخبار «الدولة السامانية»[3]

(١) الدولة الطاهرية: نسبة إلى طاهر الأول بن الحسين الملقب بـ "ذو اليمينين" أول حكام الطاهريين في خراسان (٢٠٥-٢٠٧هـ)/(٨٢١-٨٢٢م)، وهو مولى من موالي الفرس، علا شأنه في عصر الخليفة المأمون، فعمل قائداً لقواته في الحرب التي خاضها ضد أخيه الأمين عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م، وقد ولاه بغداد بعد استيلاءه عليها ثم ولاه حكم فارس والشرق، وقد هم طاهر الأول بالاستقلال بها وإسقاط اسم الخليفة من الخطبة ولكن وافته المنية قبل ذلك، وقام الخليفة بتعيين ابنه طلحة (٢٠٧-٢١٣هـ)/(٨٢٢-٨٢٨م) الأكثر أهلية لتولي الحكم وقد= = استمر حكمهم لخراسان بخضوع اسمي للخلافة في بغداد حتى عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م حيث سقطت في يد الصفاريين. أنظر: بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٤٨-١٤٩.

(٢) الصفاريون = نسبة إلى يعقوب بن الليث الصفار أول حكامهم في سجستان (٢٥٣-٢٦٥هـ)/(٨٦٧-٨٧٩م) والصفار هي المهنة التي كان يزالوها وتعني (النحاس) وقد حكموا في سجستان حتى عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م - بوزورث، المرجع السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) السامانية، وهم السامانيون في خراسان وما وراء النهر حكموا في الفترة (٢٠٤-٣٩٥هـ)/(٨١٩-١٠٠٥م) وينتسبون إلى مؤسس هذه الأسرة ويدعى سامان - خودا - والذي اعتنق الإسلام والتحق أحفاده الأربعة بخدمة الخليفة المأمون في خرسان، وقد انتهى حكم دولتهم بأن اقتسمت أراضيهم بين القرخانيين في "ما وراء النهر" (٣٨٢-٦٠٧هـ)/(٩٩٢-١٢١١م) والغزنويين في خراسان - أنظر: بوزورث، المرجع نفسه، ص ١٥٠-١٥٢.

من ٢٨٩هـ/٩٠٢م حتى عهد عبد الملك بن نوح (٣٤٣-٣٥٠هـ)/(٩٥٤-٩٦١م)، والعاشر في أخبار آل بويه[1] من بدء أمرهم حتى عهد أبي الفوارس شرف الدولة (٣٧٢-٣٨٠هـ)/(٩٨٣-٩٩٠م)، ثم الحادي عشر في أخبار ملوك غزنة منذ عهد سبكتكين (٣٦٦-٣٨٧هـ)/(٩٧٧-٩٩٧م) إلى عهد خسرو ملك (٥٥-٥٨٢هـ)/(١١٦٠-١١٨٦م)، يليه الثاني عشر في أخبار الملوك السلجوقية[2]، أما الثالث عشر ففي أخبار الملوك السنجرية[3] من أتابكة كل من العراق والفرس وملوك نيسابور[4] (٥١١-٥٩٠هـ)/(١١١٨-١١٩٤م)، والرابع عشر في أخبار ملوك نيمروز سجستان، والخامس عشر في أخبار أتابكة الشام وأيوبية مصر، والسادس عشر في أخبار ملوك خوارزم، والسابع عشر في أخبار الشبستانية من ملوك الغور (٤٠١-٥٦٩هـ)/ (١٠١١-١١٧٣م)، والثامن عشر في أخبار ملوك باميان وطخارستان (٥٤٠-٦١٢هـ)/(١١٤٥-١٢١٥م)، والتاسع عشر في ذكر ملوك الشبستانية بغزنة (٥٦٩-٦١٢هـ)/(١١٧٣-١٢١٥م)، والعشرون في أخبار الملوك المعزية بالهند، وفيه أخبار قطب الدين أيبك وناصر الدين قباجة وبهاء الدين طغرل وبختيار المخلجي ومن بعده إلى غياث الدين، والحادي والعشرون في أخبار الملوك الألتمشية بالهند، من شمس الدين ألتمش إلى

(١) هم آل بويه في فارس والعراق (٣٢٠-٤٥٤هـ)/(٩٣٢-١٠٦٢م) وهي إحدى الأسر الديلمية القوية التي سادت في تلك المنطقة قبل ظهور السلاجقة، وهم شيعة اثنا عشرية انتهوا بقضاء السلاجقة على نفوذهم إثر غزوهم لبغداد - أنظر: بوزورث، نفسه، ص ١٤٢-١٤٥.

(٢) ينتمي السلاجقة أصلاً إلى أسرة من أسر الأمراء الذين ظهروا في عشيرة قينيق الغزية التركية، وكانوا يقطنون السهوب الواقعة شمالي بحر قزوين وآرال، اعتنقوا الإسلام أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ودخلوا بلدان العالم الإسلامي في صورة قوات عسكرية تعمل في خدمة القوى المتنازعة في تلك البلدان، وفي عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م أعلن طغرل الأول نفسه سلطاناً في نيسابور واكتسب التعاطف السني إثر أخذه على عاتقه تحرير خلفاء بني العباس من الوصاية البويهية الشيعية، وقد امتد حكمهم ليشمل العراق وفارس وكرمان والشام، وانتهى عهدهم بقيام إحدى ثورات قبائل الغز التي نجحت في عام ٥٩٠هـ/١١٨٦م في تقويض حكمهم الذي انتهى بمقتل آخر حكامهم طغرل بن أرسلان في عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م - أنظر: روزورث، نفسه، ص١٦٧-١٧٠.

(٣) السنجرية = نسبة إلى معز الدين سنجر حاكماً في شمالي فارس (٤٩٠-٥٥٢هـ)/(١٠٩٧-١١٥٧م) - أنظر: بوزورث، نفسه، ص ١٦٧.

(٤) نيسابور وفي الفارسية الحديثة تلفظ نيشابور، وهي مشتقة من نيوشاه بور أي موضع سابور الطيب، وسميت بذلك نسبة إلى الملك سابور الثاني الساساني الذي جدد بناءها في المائة الرابعة للميلاد، وتقع في إقليم خراسان، وقد افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في عام ٣٠هـ/٦٥١م - أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٨٨ - كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٢٤.

ناصر الدين محمود، والثاني والعشرون في أخبار نواب الملوك الشمسية بإقطاع الهند، أما الثالث والعشرون والأخير ففي غزوات السلطان سنجر وفتح تركستان بيد خوارزم شاه إلى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وقد توفي الجوزجاني في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م.(١)

ومن مؤرخي الهند المشاهير، الشيخ الفاضل القاضي ضياء الدين بن مؤيد الملك البرني، كان من مشاهير الفضلاء وأعرفهم بالتاريخ وسياسة المدن، وقد وصف بأنه كان كثير المحاضرة، مفيد المجالسة، واسع الإطلاع على العلوم، وله باع طويل في الإنشاء وقرض الشعر، وله مصنفات جليلة منها «التاريخ الفيروزشاهي»، وهو في تاريخ الملوك الثمانية من عهد غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م) إلى عهد فيروزشاه التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م) وقد أودعه ما شاهده في تلك العصور، وقد فرغ من تأليفه سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م في عهد فيروزشاه التغلقي، ومن مصنفاته كذلك «خسرت نامه»، و«مآثر السادات»، وقد توفي البرني في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م.(٢)

ومن مؤرخي الهند أيضاً، الشيخ رزق الله الدهلوي (ت. ٨٨٩هـ)/(١٤٨٤م) وهو الملقب بمشتاق، وله تصنيف عرف باسم «تاريخ اسكندر لودي».(٣)

جـ - علماء الطب والفلك:

ومن أشهر علماء الهند في مجال الطب والفلك في هذه الفترة الآتي ذكرهم:-

الفاضل الحكيم حسام الدين الماريكلي، وكان من الأطباء المشهورين في عصره، والفضلاء المعروفين في زمانه، وكان يدرس بدار الملك دهلي، ويعمل بالطب كذلك في عصر السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م).(٤)

الشيخ الفاضل الكبير حميد الدين الحكيم المطرزي، وكان أحد العلماء البارزين في علوم الطب والنجوم، وغيرها من العلوم، وقد وصفه صاحب «نزهة الخواطر» بأنه «لم يكن له نظير في الحذاقة والتدبير ومعرفة الأمراض ووصف الأدوية»، وهو من رجال

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١١٠٧ - أيضاً: الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٧٤-١٧٨.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٤.
(٣) البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص ٢١٥.
(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٤٤.

القرن السابع الهجري.(١)

الشيخ الفاضل العلامة اليمني، الحكيم الدهلوي، وكان أحد العلماء البارزين أيضاً في الصناعة الطبية، وكان يدرس ويفيد بدار الملك دهلي في عهد السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م).(٢)

الشيخ الفاضل ضياء الدين الخشبي البدايوني، وكان من ابرع علماء الهند فى مجال الطب في تلك الفترة، وقد صنف كتاب (الكليات والجزئيات) وهو في الصناعة الطبية، شرح فيه العقاقير والحشائش الهندية التي تستخدم في التداوي وغيره، وسماها بأسماء هندية، وكانت وفاة الشيخ الخشبي في عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م.(٣)

الشيخ الفاضل «صدر الدين» الذي ورث مهنة الطب عن والده الشيخ حسام الدين الماريكلي السابق ذكره، فكان صدر الدين أحد الأطباء البارعين في العلم والعمل، وكان يقوم بالتدريس في دهلي في عهد السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي إلى جانب ممارسته للطب، وكان لفرط براعته وذكاءه، يعرف أسباب المرض في أول لقاء للمريض، ثم ينهج مسار علاجه، فيشفي الله المريض عاجلاً.(٤)

ومن أطباء عصر السلطان علاء الدين الخلجي أيضاً، الشيخ الفاضل أعز الدين البدايوني، الذي كان أحد أساتذة دهلي المشهورين، وامتدحه صاحب «نزهة الخواطر» بأنه كانت له أيادٍ بيضاء في الصناعة الطبية ومداواة الناس.(٥)

في حين كان الشيخ الفاضل الكبير أحمد بن الشهاب الدهلوي (ت. ٧٥٩هـ/١٣٥٨م)، وهو الذي ولد في دهلي ونشأ بها وأخذ العلم عن أساتذة عصره المشاهير بها - رجلاً حاذقاً في الطب وغيره من العلوم، وقد مال أيضاً إلى التصوف، وله مصنفات منها «الصحائف في الحقائق والمعارف».(٦)

(١) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٦.
(٢) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٧٨.
(٣) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٦٦.
(٤) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٦١.
(٥) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٤.
(٦) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٨.

د - التصوف ورجاله :

ولعله من المناسب في ختام تناولنا لعلماء الهند المقيمين بها، من حيث المولد والنشأة وممارسة حياتهم العلمية والثقافية، أن نفرد هذا الجزء لذكر رجال التصوف من علماء الهند، والذين رغم ميلهم إلى حياة الزهد والتقشف وانتهاجهم طرقاً" مختلفة في سبيل الوصول إلى أعلى درجات القرب من الله عز وجل، إلا أنهم اشتغلوا كذلك بأنواع مختلفة من العلوم اكتساباً ثم تدريساً وتصنيفاً، حيث تميزت المنظومة التعليمية في بلاد الهند في تلك الفترة بأن طالب العلم لم يكن ليمنح إجازته العلمية إلا بعدما يتخرط في إحدى الطرق الصوفية، في ظاهرة تدل على سيطرة التصوف على جزء كبير من الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في تلك الفترة .[1]

ومن أبرز علماء الهند في هذا المجال : الشيخ زكريا بن محمد الملتاني، الذي ولد بمدينة ملتان من إقليم السند في عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م وتوفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره، فسافر إلى بخارى" وأخذ العلم بها عن كبار الأستاذة، ثم سافر إلى الحجاز، فحج وزار وأقام بالمدينة المنورة خمس سنين، وأخذ الحديث عن الشيخ كمال الدين محمد اليماني، ثم رحل إلى القدس الشريف وزار المسجد الأقصى وشاهد أضرحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رحل إلى بغداد وأخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي[2] (ت. ٥٨٧هـ/١١٩١م)، ثم عاد إلى ملتان وتصدر للإرشاد، وقد تشعب منه كثير من طرق الأولياء، ومن وصاياه: «سلامة الجسد في قلة الطعام، وسلامة الروح في ترك الأنام، وسلامة الدين في الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام»، وكانت وفاته في يوم الخميس سابع صفر من عام ٦٦٦هـ/١٢٦٨م وقد بلغ المائة من العمر.[3]

---

(١) الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٢١٢ .

(٢) السهروردي = نسبة إلى مدينة سُهْرَوَرد، وهي بلدة بين زنجان وهمذان، وهي مدينة صغيرة يغلب عليها الأكراد، وهو أبو يحيى بن حبش بن أميرك، ولد بسهرورد ما بين عامي ٥٤٩-٥٥١هـ/١١٥٥-١١٥٧م وهو صاحب الطريقة السهروردية، ويُقال له المقتول، لأنه اتهم بالكفر والخروج على السنة، فقتل، وقيل امتنع عن الطعام حتى وفاته، وكان عمره وقت وفاته ما بين السادسة والثامنة والثلاثين، أنظر - الحميري، الروض المعطار، ص٣٢٨ - ايضاً - القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٦٨ - عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، ط١، دار الرشاد، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩م، ص٢١٦-٢١٩.

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٥٧-١٥٩.

والشيخ حميد الدين الناكوري أحمد بن إبراهيم بن سعيد السعيدي السوالي الصوفي، المشهور بـ «سلطان التاركين»، هو أول مولود ولد بدار الملك دهلي، بعدما فتحها قطب الدين أيبك في عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م، وكان من ذرية الصحابي سعيد بن زيد المبشر بالجنة (رضي الله عنه)، وقد لقب بسلطان التاركين لزهده في زخرف الدنيا، واستغنائه عن الناس، وكانت له أرض في سوالي من أعمال ناكور ببلاد الهند، ويقتات وأولاده منها، وهو أول من صنف من مشائخ «الجشتية»[1]، واشتهر من تصانيفه «أصول الطريقة»، توفي في ربيع الثاني من عام ٦٧٣هـ/١٤٧٤م .[2]

أما الشيخ حسام الدين الملتاني، فهو أحد رجال الصوفية المشهورين بالعلم والمعرفة، وقد أخذ الطريقة السهروردية عن الشيخ محمد بن زكريا الملتاني، وقطن مدينة بديوان بإقليم السند وبها توفي، وكان قد أوصى عند وفاته بأن يُدفن في موضع خارج البلدة، رأى رسول الله (صلعم) في منامه يتوضأ فيه على بركة ماء، فسارع فور إفاقته إلى ذلك المكان فرأى فيه الأثر، وقد دفن فيه بالفعل وكانت وفاته في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م .[3]

ولعل أبرز رجال التصوف في بلاد الهند، الشيخ العالم الفقيه الزاهد، اسحق بن علي بن اسحق البخاري الشيخ بدر الدين الدهلوي، وكان من كبار العلماء، يتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنهما)، وقد ولد ونشأ بمدينة دهلي، وقرأ العلم على أبيه منهاج الدين علي بن اسحق البخاري، وقد اشتغل بالتدريس مدة طويلة في المدرسة المعزية بدهلي، ثم انتوى السفر إلى مدينة بخارى، وعندما وصل إلى مدينة أجودهن من إقليم السند، آثر البقاء لدى أحد شيوخها البارزين وهو الشيخ فريد

---

(١) الجشتية = طريقة صوفية هندية، قيل إن مؤسسها يُدعى أبا اسحاق، من نسل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هاجر إلى بلدة جشت في خراسان وإليها يُنسب، وقيل منشؤها أحمد أبدال الجشتي، من بلدة جشت أيضاً، واستقدمه إلى الهند أحد كبار علمائها وهو الشيخ معين الدين السجزي (ت. ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) واستقر في أجمير، وقيل إن معين الدين هو نفسه الجشتي صاحب الطريقة، والجشتية يركزون في الذكر على الشهادة ويؤكدون على إلا الله، ويترغون في صلاتهم، ويلبسون الثياب المصبوغة بلحاء شجر السنط، ومن شعائر الدخول في الطريقة أن المريد يصلي أولاً ركعتين ثم تؤخذ عليه التوبة، ويُلقن معاني كلمات مثل الفقر والقناعة والرياضة وغيرها من الطقوس - أنظر - عبد المنعم الحفني، أعلام التصوف، ص ١٠٢-١٠٤.

(٢) المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ص ٩٩-١٠٠ - أيضاً: عبد الحق الدهلوي، أخبار الأخيار في أسرار الأبرار، ص ١٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) المباركبوري، المرجع السابق، ص ٨٩ - الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٤.

الدين مسعود الأجودهني (ت. ٦٦٤هـ/١٢٦٦م)، والذي زوجه ابنته، فلازمه مدة حياته، وكان عالماً فقيهاً زاهداً وسخياً، شاعراً، وصف كذلك بأنه كان من أهل التفنن في العلوم، مقدماً في المعارف، كثير البكاء، شديد الخشية، وله مصنفات منها «أسرار الأولياء»، ومنظومة عربية في التصريف، وقد توفي في السادس من جمادى الأخرة من عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م بأجودهن ودفن بها.[(١)]

ويأتي الشيخ محي الدين الكاشاني ضمن أبرز رجال العلم والتصوف ببلاد الهند في القرن الثامن الهجري، فقد كان أحد كبار العلماء في الفقه والأصول والعربية، أخذ العلم عن كبار علماء دهلي، ثم اشتغل بالتدريس والإفادة بدار الملك دهلي، وشغل منصب القضاء بها، ثم اتخذ طريق التصوف وأخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني (من رجال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) وهو الذي كتب له إجازة نصها كالأتي: «مي بايد كه تارك دنيا باشي بسوي دنيا وأرباب دنيا مائل نشوي وده قبول نكني وصله بادشاهان نكايري واكر مسافر ان برتور سند وبرتو جنري بناشد اين حال نعمتي شمري از نعمتها ئي إلهي».

ومعناها:-

«كن تاركاً للدنيا كل الدنيا، ولا تمل إلى أرباب الدنيا، تنل القبول، وتصل إلى الله، وارحل في طلب البر تصل إلى أعلى درجات النعمة من أنعم الله، فإن فعلت ما أمرتك وظني أن تفعل فأنت خليفتي، وإن لم تفعل فالله خليفتي على المسلمين».

ففعل ما أمر الشيخ ومزق سند القضاء بحضرته، وانقطع إلى الله سبحانه، مع الاستمرار في التدريس والإفادة، وقد توفي الكاشاني في عام ٧١٩هـ/١٣١٩م.[(٢)]

أما الشيخ محمد بن اسحق الدهلوي، فقد كان من كبار علماء الصوفية، حيث نشأ هو وأخيه موسى فى كنف الشيخ نظام الدين البدايوني بعد وفاة والدهما في صغرهما - وقد حفظ القرآن وحصّل الكثير من العلوم على يد كبار علماء دهلي، وكان له معرفة بالإيقاع والنغم وبراعة في الموسيقى والشعر، وقد صنف كتاب «أنوار المجالس» الذي جمع فيه ملفوظات شيخه نظام الدين البدايوني، وقد توفي في عام ٧٣٤هـ/١٣٣٤م.[(٣)]

(١) الندوي: المرجع نفسه، ج١، ص ١٢٤-١٢٥.
(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٦٣-١٦٤.
(٣) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٢٨.

ومن علماء التصوف وشيوخه في الهند الشيخ عثمان بن داود الملتاني - أحد المشائخ الجشتية، كان بارعاً في الفقه والأصول، حفظ الهداية في الفقه، والأصول للبزدوي، وقد أخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين البدايوني أيضاً، ولازمه مدة من الزمن، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار، ورجع إلى الهند ودخل دهلي في يوم الجمعة وأعلم شيخه أنه حج ولم يزر فأخبره أن من يسعد بالحج فله أن يستأنف النية لزيارة النبي (صلعم) فسافر في وقته وساعته ورحل إلى المدينة المنورة فزار، ثم عاد إلى دهلي، وقد رحل الشيخ عثمان إلى كجرات بعدما أمر محمد تغلق شاه الثاني برحيل الناس إلى دولة آباد الدكن* وقد توفي بـكجرات في عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م-١٣٣٦م ودفن بها.[(١)]

أما الشيخ نجم الدين الحسن بن العلاء السنجري الدهلوي، فقد كان أحد الرجال المشهورين بالفضل والصلاح عاش فترة من الزمان في بلاط السلطان غياث الدين بلبن وولده محمد، وتمتع في أثناء ذلك برغد العيش، ثم سلك طريق التصوف، وأخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين البدايوني، وجمع ملفوظاته في مجلد أسماه «فوائد الفوائد»، وقد توفي في التاسع والعشرين من صفر سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م فى مدينة ديوچير ودفن بها.[(٢)]

كما كان الشيخ الكبير محمد بن يحيي الشيخ شمس الدين الأودي من أبرز رجال التصوف في بلاد الهند، كما كان أحد العلماء البارعين في علوم الفقه والأصول واللغة العربية، وقد أخذ العلم عن كبار الأساتذة والمشايخ بدهلي وغيرها، وقد أخذ الطريقة بدوره عن الشيخ نظام الدين البدايوني وصحبه فترة وقد استخلفه الشيخ في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٤م وهو دليل على ما بلغه الأودي من مكانة في التصوف، وللشيخ الأودي مصنفات جليلة، منها «شمس المعارف» في العلوم الشرعية، وقد عرف عنه عزوفه عن الأغنياء، وكثرة اشتغاله بالعلم حتى توفي في عام ٧٤٧هـ/١٣٤٦م في عهد السلطان محمد تغلق شاه الثاني في مدينة دهلي ودفن بها.[(٣)]

في حين كان الشيخ الصالح محمد بن المبارك الكرماني ثم الدهلوي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، والذي كانت ولادته ونشأته في مدينة دهلي، حيث قرأ

*

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٧٦-٧٧.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٦-٢٧.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٤٧.

العلم على أجلّ علمائها وشيوخها، وأبرزهم الشيخ نظام الدين البدايوني، الذي أدركه في صباه وحضر مجلسه، وقد ارتحل إلى مدينة دولت آباد، في أيام محمد غلق الثاني مع أهله، ثم عاد إلى دهلي وبها توفي في عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م، ومن مصنفاته «سير الأولياء» وهو في أخبار المشايخ الجشتية، ويعتبر من أقيم المصنفات في طبقات المشايخ.[1]

ويعتبر الشيخ يوسف الجشتي مثال لرجال التصوف الذين برعوا في غير واحد من العلوم، حيث برع في الفقه والأصول، وله التصانيف فيها، حيث صنف «تحفة النصائح» وهو منظومة في الفقه، وكانت وفاته في عام ٧٧٤هـ/١٣٧٢م.[2]

ومن هؤلاء المشايخ أيضاً كل من:-

الشيخ ركن الدين الملتاني ثم الظفرآبادي، برع في الفقه والأصول إلى جانب التصوف، وقد ذكر فيه صاحب نزهة الخواطر: أنه «كان ممن يُشار إليه في استحضار المسائل الجزئية، وله كعب عال في حقائق التوحيد والمعرفة»، وقد اشتغل بالتدريس مدة من الزمان، ثم تركه واتجه إلى التصوف وأخذ الطريقة السهروردية عن والده ولازمه مدة طويلة، حتى نال حظاً وافراً من المعارف الإلهية، وتولى المشيخة بعد أبيه حتى توفي في المحرم من عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م.[3]

القاضي محمد الساوي الصوفي، أحد المشايخ الجشتية، وكان عالماً كبيراً بارعاً في الفقه والأصول واللغة العربية والتصوف، وقد اشتغل أيضاً بالدرس والإفادة مدة حياته، حتى توفي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م.[4]

الشيخ العالم الصالح فتح الله بن نظام الدين الصوفي الأودي، من العلماء الذين برعوا في الفقه والأصول والعربية، ودرس طويلاً في الجامع الكبير بدهلي، ثم ترك التدريس واشتغل بالذكر، وقد كانت لديه كتب عديدة عزيزة الوجود، قيل فرقها على الناس، وقيل أنه أغرقها في الماء، وقد توفي في ربيع الثاني من عام ٨٢١هـ/١٤١٨م.[5]

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٤٢.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧٩.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٥.
(٤) الندوي، نفسه، ج٣، ص ١٥٦-١٥٧.
(٥) الندوي، نفسه، ج٣، ص ١١٢-١١٣.

الشيخ شير خان الحنفي الصوفي الدهلوي، الشهير بـ«مسعود بيك» وكان من عشيرة السلطان فيروزشاه المخلجي (٦٨٩-٦٩٥هـ)/(١٢٩٠-١٢٩٥م)، ونتيجة لذلك، فقد نعم لفترة طويلة من حياته بالغنى والإمارة، ثم آثر الزهد والترك والتجريد والانزواء والصيام والقيام في جوف الليل، وله مصنفات منها «التمهيدات»، وهو على نهج كتاب «تمهيدات عين القضاة «للهمذاني»، كما له ديوان الشعر الفارسي، وأيضاً «مرآة العارفين في الحقائق والمعارف»، وهي مرتبة على أربع عشرة حقيقة، وكانت وفاته في عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م.[1]

الشيخ «سعد الدين الهندي الخيرآبادي الصوفي» (ت. ٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ومن مصنفاته «مجمع السلوك» وهو في التصوف، إضافة إلى مجموعة من الشروح الغراء على الكتب المتداولة في ذلك العصر من أمثال «شرح البزدوي»، «شرح الحسامي»، «شرح الكافية»، «شرحة المصباح»..... وقد دفن بخيرآباد من مملكة أودة الهندية.[2]

الشيخ سماء الدين بن جلال السهروردي الملتاني الهندي (ت. ٩٠١هـ/١٤٩٦م) ومن مصنفاته «مفتاح الأسرار» في التصوف.[3]

الشيخ حسن بن طاهر البهاري الدهلوي (ت. ٩٠٩هت/١٥٠٣م) ومن مصنفاته «مفتاح الفيض».[4]

تلك كانت مختارات من تراجم أبرز رجال التصوف في بلاد الهند، وجاء معيار الاختيار فيها ما لعبوه من دور في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في تلك الفترة، وكذلك ما تركوه من مصنفات في مجال التصوف وغيره.

(٢) العلماء الهنود النازحين:

أ - العلماء الهنود المجاورين بمكة والمدينة:

تعتبر المجاورة بمكة والمدينة ظاهرة دينية واجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف أرجاء المعمورة في قضاء فترة من

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٦٤٨ - البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، مج١، ص ٣٢١ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٨٥-٨٦.
(٢) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢٢٠ - البغدادي، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٣٤.
(٣) البغدادي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٥٢٢.
(٤) البغدادي، نفسه، ج٢، ص ٥٢٧.

الصفاء الروحي في رحابهما، وقد اختلفت مدة المجاورة حسب رغبة المجاور ودوافعه، فمنهم من جاور شهوراً ومنهم أطال البقاء مجاوراً لأعوام ومنهم من أثر البقاء الدائم، فاختلطوا بأهل البلاد وشاركوا في مختلف مناحي الحياة لا سيما الثقافية منها .(١)

وقد كان حملة لواء العلم سواء كانوا علماءً أم طلاباً، من أبرز فئات المجاورين بمكة والمدينة، حيث وعى هؤلاء أكثر من غيرهم فضل المجاورة وقيمتها في إثراء حياتهم العلمية وأثرها في توسيع ثقافاتهم، فهي تتيح لهم من الروافد العلمية المتنوعة، والمناهل الأصيلة المتعددة، ما يكفل لهم قسطاً وافراً من العلوم والمعارف المختلفة، في ظل تواجد الكثير من علماء أقطار العالم الإسلامي شرقاً وغرباً على مدار العام .(٢)

وفيما يلي ذكر لأبرز من جاور بمكة والمدينة من علماء الهند النازحين عنها:-

الشيخ ريحان الهندي، وقد جاور بالمدينة الشريفة، وكان أحد خدمة المسجد النبوي، وكان من الخدام الذين طالت إقامتهم في الخدمة الشريفة، وله مآثر حسنة كثيرة في المدينة، حيث شيد بها رباطين* حسنين، عم النفع بهما وكذلك نخيل جيد وسقاية للماء، ودارين.. وكان باراً بالصلحاء والعلماء، وقد توفي بعد عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م .(٣)

الشيخ سعيد بن يوسف أبو محمد الرفاعي الصوفي وكان أحد فراشي الحرم النبوي الشريف، ويعرف بالهندي، وتوفي بعد عام ٧٣٠هـ/١٣٣٠م .(٤)

الشيخ أبي الفضائل عبد الرحمن بن البرهان أبي المكارم أحمد بن وحيد الدين.. الغزنوي الدهلوي المولد والنشأة الحنفي، حج وجاور بالمدينة المنورة حتى عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م، وذلك وفقاً لما ذكره السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) في سياق ترجمته للشيخ الحافظ الخزرجي السعدي(٥) المتوفي في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م والذي التقى الشيخ عبد الرحمن الغزنوي الدهلوي المذكور، بالمدينة المنورة في تلك الفترة وكتب عنه بعضاً من نظمه .(٦)

(١) عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية، ص ٧.
(٢) عبد العزيز السنيدي، المرجع السابق، ص ٣-٤.
(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط دار نشر الثقافة، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٣ج، ج٢، ص ٧٢-٧٣.
(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ص ١٦٣-١٦٤.
(٥) ترجمته تفصيلاً في السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، رقم ٢٢١٦، ص ٣٨٤-٣٩٠.
(٦) السخاوي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨٧.

الشيخ العالم المحدث، محمد بن يوسف بن علي المكراني الهندي الحنفي (ت. بعد ٧٥٢هـ/١٣٥١م وقد كان هو وولده محمد ممن جاور بمكة المكرمة طلباً للعلم فأخذا عن كبار علماء مكة في الحديث النبوي الشريف، وسمع من الرضي الصبري، صحيح ابن حبان (٣٥٤هـ/٩٦٥م) وتمت إجازته عن أحاديث من صحيح ابن حبان وذلك في رجب من عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م، وتوفي بعد توجهه من مكة عائداً إلى بلاد الهند .(١)

الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن أحمد بن منصور بهاء الدين الهندي الحنفي، نزيل مكة والمجاور بها وبالمدينة النبوية، وكان عالماً بالفقه واللغة العربية، مع حلم وأدب وعقل وحسن خلق، وقد توفي أثناء قيامه بالحج عام ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، إثر سقوطه عن دابته فأصيب بالشلل وحمل إلى مكة حيث توفي في هذا العام أو الذي يليه .(٢)

الشيخ محمد بن محمد الصغاني ضياء الدين الهندي الحنفي، سمع بالقاهرة وغيرها، ثم أقام بالمدينة النبوية سنين يفتي ويدرس، حتى حدثت بينه وبين أميرها جفوة انتقل على إثرها للإقامة بمكة، وتولى تدريس الحنفية، وقد توفي بمكة في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وقد جاوز الثمانين، وقد كان يؤخذ عليه عصبيته المفرطة لمذهبه الحنفي، لما فيها من الغض من الإمام الشافعي، إلا أنه كان عارفاً بمذهبه وأصوله إضافة إلى مشاركته في العربية وغيرها .(٣)

الشيخ نجيب بن عبد الله الهندي، والذي التقاه المقريزي (ت. ٨٤٥هـ/١٤٤١م) بمكة في عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، ونزل بجواره في رباط الخوزي*، وأخبره أن له من العمر ٩٥ سنة، منها مدة إقامته بمكة خمس وثلاثون عاماً، وأنه طوال هذه المدة داوم على أن يأخذ في كل يوم عمره.. وكان يتلوا كل يوم ثلث القرآن الكريم... إلا أنه أخذ عليه غلوّه في مذهبه الحنفي غلّواً يفضي به إلى أذى من يخالفه، وقد توفي في عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م(٤).

الشيخ عمر بن عبد الله الهندي، ثم المكي سراج الدين «الفافي»* وكان عارفاً بالفقه

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٥٥-١٦٠.
(٢) السخاوي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٧٦٨-٧٦٩ – الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٩٤-٩٥.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٤٢-١٤٣.
(٤) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ص ٥٠٥-٥٠٦ – أيضاً: ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، (٩ ج × ٥ مج)، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مج ١، ج٢، ص ١٢٨.

والأصول واللغة العربية، أقام بمكة أكثر من أربعين سنة، فأفاد ودرس وأخذ عنه الكثيرون في تلك العلوم، وقد توفي في ذي الحجة من عام ٨١٥هـ/١٤١٢م عن سبعين عاماً.[1]

الشيخ حسين بن أحمد بن محمد ناصر الدين أبو علي الهندي الأصل المكي (ت. ٨٢٤هـ/١٤٢١م)، ولد فى جمادى الأولى من عام ٧٤٢هـ/١٣٤١م أو التي بعدها بمكة وسمع من كبار العلماء بها، ثم دخل ديار مصر والشام واليمن عدة مرات، وقد وصف بأنه كان مفتناً بالفائدة، مكرراً لقراءة الصحيح كل سنة في أواخر عمره.[2]

الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عمر بن يوسف بن إسماعيل الشهاب أبو الخير بن الضياء الصاغاني الأصل، نسبة إلى الإمام الشهير «صاحب المشارق»، وغيرها، فهو هندي الأصل، مدني المولد، مكي الإقامة، حنفي المذهب، ويعرف بابن الضياء، ولد في ربيع الأول من عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م بالمدينة النبوية، وسمع بها على كبار علمائها، ثم من كبار علماء مكة، ثم من علماء القاهرة، وقد أولى العلم غاية اهتمامه، خاصة علم الفقه، وقد درس وأفتى كثيراً، كما قام بتدريس اللغة البنجالية وغيرها من اللغات الهندية... كما اشتغل بقضاء مكة من قبل السلطان الناصر فرج[3] سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٤م)، فكان أول حنفي يستقل بها، وقد توفي بمكة في عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م.[4]

الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الملك وجيه الدين ابن عمدة الدين القرشي العمري الهندي الحنفي، ويُعرف بـ«راجه»، كانت له عناية بالفقه واجتهاد في أداء العمر، ولذلك عرف بالعمري، وقيل إنه ادعى أنه قرشي من ذرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كان أباه قاضياً بدهلي وقيل خطيباً بها، قدم مكة فى حدود عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م وتوفي في ربيع الأول من عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م وقد قارب السبعين، وعلى هذا تكون مدة مجاورته بمكة ما يزيد عن خمسين عاماً، رزق فيها أولاداً وداراً.[5]

(١) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٧، ص ٤٠١ – أيضاً ـ الذيل على الدرر الكامنة، ص ٢٢٤ ،– كذلك: السخاوي، الضوء اللامع، مج ٣، ج٦، ص ٩٨.

(٢) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص ٢٤٤–٢٤٥.

(٣) هو السلطان ناصر الدين فرج، رابع سلاطين المماليك البرجية (٧٨٤–٩٢٢هـ)/(١٣٨٢–١٥١٧م)، وقد تولى الحكم مرتين الأولى في الفترة (٨٠١–٨٠٨هـ)/(١٣٩٩–١٤٠٥م) أما الثانية فكانت في الفترة (٨٠٨–٨١٥هـ)/(١٤٠٥–١٤١٢م) وتفصل فترتي حكمه، حكم السلطان المنصور عز الدين عبد العزيز لعدة أشهر – بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ١٠٠.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٢٥٠–٢٥٢.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، مج٢، ج٤، ص ٥٣.

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله الزين الهندي الواعظ، ولد في حدود عام ٧٧٠هـ/١٣٦٩م، وجال في بلاد الشرق والغرب والهند واليمن والحجاز وأخذ عن علمائها وسمع الحديث، وقد جاور بمكة في عام ٨٣٤هـ/١٤٣١م، ثم دخل مصر في العام التالي، وقد وصف بأنه كان خيراً، عالماً فاضلاً، فصيحاً مفوهاً، ذا أنس ووقار، وقد غرق في عام ٨٣٧هـ/١٤٣٤م، في أثناء عودته إلى بلاد الهند.[1]

وقد أمدنا شمس الدين السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، بأسماء عدد كبير من علماء الهند والذين التقاهم في مكة والمدينة وأخذوا عنه في مجاوراته العديدة بهاتين المدينتين الشريفتين ومن هؤلاء:-

الشيخ حسن الهندي، والذي نزل برباط السيد حسن بن عجلان مجاوراً بمكة وبها مات في ربيع الأول من عام ٨٧٣هـ/١٤٦٩م.[2]

الشيخ محمد بن عمر بن الهندي، سمع من السخاوي بمكة في عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.[3]

الشيخ مقبل الهندي المكي، وهو ممن سمع من السخاوي بمكة.[4]

الشيخ أحمد بن إبراهيم أحمد الهروجي الهندي القضي.[5]

أحمد بن إبراهيم «الشيخ أبو السيادة الحسني الأودهي الهندي الحنفي، وقد لازم السخاوي وكتب عنه وأملاه عليه، وقد أجازه السخاوي إجازة حافلة[6].

عبد القادر عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أسعد الهندي المولد، المكي، جاور بمكة، وبها مات في صفر من عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م.[7]

الشيخ محمد بن مهذب بن مير صيد بن عبد الله.. الدلّي الهندي، نزيل مكة، جاور

(١) السخاوي، المصدر السابق، مج٢، ج٤، ص ١٠٣.

(٢) السخاوي، المصدر نفسه، مج٢، ج٣، ص ١٣٤.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، مج٤، ج٨، ص ٢٧٢.

(٤) السخاوي، المصدر السابق، مج٥، ج١٠، ص ١٦٧.

(٥) السخاوي، المصدر نفسه، مج١، ج١، ص ١٩٣.

(٦) السخاوي، نفسه، مج١، ج١، ص ٢٠٨.

(٧) السخاوي، نفسه، مج٢، ج٤، ص ٢٧١.

بمكة بعد ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، ثم في عام ٨٩٣هـ/١٤٨٨م، سافر إلى بلاد الهند بنية الرجوع، فدام بها حتى سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م. وقد ذكر السخاوي أنه كان ممن له فضيلة في اللغة العربية والصرف ونحوهما، واجتمع عليه الطلبة، وكان السخاوي قد أجاز إجازة حافلة، وذكر أنه ربما نسب إلى التشيع.[1]

ب- العلماء الهنود النازحين إلى مصر والشام وغيرها:

وإذا كانت المجاورة بمكة والمدينة قد اجتذبت عدداً كبيراً من علماء الهند وطلاب العلم بها، فإن قسماً كبيراً من علماء الهند وطلابها قد رحل إلى مدن وأقطار إسلامية عديدة في سبيل طلب العلم، فمنهم من آثر البقاء في تلك المدن ومكث بها واتخذها داراً ومستقراً، ومنهم من مكث لفترة محددة ثم آثر العودة إلى بلاده ومن أهم تلك المدن بغداد ودمشق وعدن، ومن أبرز المدن الإسلامية التي آثر علماء الهند النزوح إليها بعد مكة والمدينة، مدينة القاهرة فهاهو ابن الزيات في كتابه «الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة» يترك لنا ما ينهض دليلاً على كثرة عدد من أقام بمصر من الهنود حتى صارت لهم مقبرة خاصة عرفت «بمقبرة الهنود»[2]، حوت مقابر لعدد من مشائخ الهنود الذين سكنوا مصر في الرباطات والزوايا والخانقاهات، كما كانت لهم حارة معروفة بسكناهم عرفت أيضاً باسم «حارة الهنود»[3]، كما وجدت زاوية عرفت أيضاً باسم «زاوية الهنود»[4].

---

(١) السخاوي، نفسه، مج٥، ج١٠، ص ٥٣-٥٤.

(٢) ذكر ابن الزيات في سياق ذكره الشقة الأولى من المشاهد: إذا أخذت شرقاً من قبة الصوفي قاصداً لقبرة الهنود وجدت بينهم قبراً مبنياً بالحجر الكدان مسنماً، عند رأسه لوح من الرخام وكذلك عند رجليه، وكان بعض الزوار يقف عنده ويقول إنه من مشائخ الهنود، وليس بصحيح، ومقبرة الهنود قبلي هذا القبر، عند الخروج من الزقاق المجاور لتربة سيدي عبد الله الرومي، المقابلة لتربة العساقلة، والخط المعروف بزقاق الهنود، ورأيت على قبر منها "عمر الهندي" وعلى آخر الشيخ محمد الهندي، أنظر: أبو المعالي أطهر المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، ق١، ص ١٧٩-١٨٠ - عن - ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

(٣) حارة الهنود: عرفت بسكن الهنود، ولها ست مسالك، الأول من سويقة ابن العجمية، والثاني والثالث من كوم دينار والرابع والخامس من حارة الغرباء والروشابة والسادس من خوخة بسم الله من سوق وردان - أنظر ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ٤ مجلدات، ٥ أجزاء، (٤، ٥) في مجل، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، مج٤، ج٤، ص ١٣.

(٤) زاوية الهنود: سجلت مصلحة الآثار في صفحة (٤) من مهندس الآثار الإسلامية بالقاهرة هذا الأثر ضمن آثار دولة المماليك البحرية، وإن كان المؤرخين قد اختلفوا في ذلك حين نسبها البعض إلى العصر الأيوبي - أنظر أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة ١٩٦٩، ج٢، ص ٤٤.

وفيما يلي ذكر لبعض هؤلاء العلماء ممن وفدوا على القاهرة وغيرها من مدن مصر والشام واليمن... الخ:

الشيخ هارون بن محمد البروجي الاسكندري وهو من رجال المائة السابعة، ذكره ياقوت الحموي (ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، في سياق تعريفه بمدينة بروج أو بروص الهندية، فقال: «نسب إليها السلفي، أبا محمد هارون بن محمد بن المهلب البروجي الهندي»، وذكر أنه التقاه في مدينة الإسكندرية ووصفه بكونه شيخاً صالحاً، لا يتمكن من تعبير ما في قلبه لا بالعربية ولا بالفارسية إلا بعد جهد جهيد، وكان يؤذن في مسجد من مساجد الإسكندرية.[1]

الفقيه أبو الربيع سليمان الملتاني، وكان من رجال المائة السابعة ومعاصراً لزكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) وقد طاف سليمان الملتاني بالبلاد الغربية من إفريقيا، وروى عنه القزويني أخبار تلك البلاد في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد، فروى عنه بعض أخبار مدينة غانة" جنوب بلاد المغرب،[2] وكذلك في ذكر مدينة مراكش[3]، وأفريقية[4] وكذلك في ذكر مدينة شرشال[5] ومليانة[6].[7]

الشيخ الفاضل الحسن بن محمد أبو الفضائل القرشي العدوي العمري الصغاني، البغدادي الوفاة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)، اللاهوري المولد والنشأة، ولد بلاهور في عام ٥٧٧هـ/١١٨١م، ثم دخل بغداد في صفر من عام ٦١٥هـ/١٢١٧م، ثم أرسل برسالة إلى بلاد الهند في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، ورجع منها في عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، ثم أعيد إليها

---

(١) المباركبوري، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٢) القزويني، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٣) مراكش = معناها بالبربرية (أسرع بالمشي)، حيث كان موضعها مهدداً بقطاع الطرق على القوافل، وهي أعظم مدن المغرب وأجلها، اختطها يوسف بن تاشفين في حدود عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، وحكى أبو الربيع سليمان الملتاني أن دورة مراكش أربعون ميلاً - أنظر: القزويني، المصدر نفسه، ص ١١٢ - الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٠-٥٥٤٢.

(٤) القزويني، نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥) شرشال: مدينة بالمغرب من أعمال بجاية على ساحل البحر: أنظر القزويني، نفسه، ص ٢٠٨ - الحميري، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(٦) مليانة": مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية تستند إلى جبل ذكار - أنظر: القزويني، نفسه، ص ٢٧٣ - الحميري، المصدر نفسه، ص ٥٤٧.

(٧) المباركبوري، رجال السند والهند، ص ١٣٣.

رسولاً مرة أخرى في شعبان من العام نفسه، وعاد إلى بغداد في عام ٦٣٧هـ/١٢٤٠م، وقد جال الصغاني في مدن كثيرة منها مكة وعدن، حتى استقر في بغداد، وقد ترك العديد من المصنفات، منها «مجمع البحرين»، «الشوارد في اللغة»، وكتاب «أسماء الأسد»، وكتاب «مشارق الأنوار النبوية»،و«مصباح الدجى، «الشمس المنيرة» في الحديث، و«السحابة في وفيات الصحابة».... إلى غير ذلك، وقد كان عالماً صالحاً، علامة في كثير من العلوم، إماماً في اللغة والفقه والحديث، وقد توفي في بغداد من العام المذكور، ووصى أن يُدفن بمكة، وجعل لمن يحمله ويدفنه بمكة خمسين دينارا ؛[1]

ـ الشيخ صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الهندي الأرموي، الفقيه الشافعي (ت. ٧١٥هـ/١٣١٥م)، كان مولده ببلاد الهند في ربيع الأخر من عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، وتفقه على جده لأمه، ثم سار من دهلي سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م إلى اليمن، ثم حج وجاور ثلاثة أشهر، جالس فيها ابن سبعين* (ت. ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) أحد علماء مكة، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنوات، ثم سافر إلى بلاد الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة، ثم قدم دمشق في عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، فسمع على كبار شيوخها، ثم عمل بالتدريس والإفتاء والإقراء في الأصول والمعقول والتصنيف، وقد توفي بدمشق ودفن بمقابر الصوفية، ومن تصانيفه في علم الكلام الزبدة»، «الفائق»، وفي أصول الفقه «النهاية» و «الرسالة السيفية»، وقد وصفت مصنفاته بأنها حسنة جامعة لا سيما «النهاية» .[2]

(١) أبى الوفاء القرشي، الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية، ج٢، ص ٨٢-٨٣ - أيضاً، المقريزي، درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، ج٣، ص ١٦٧-١٦٨ - أيضاً: ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٢٦-٢٧- السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص ٥١٩-٥٢١ - بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ٣ أقسام × جزئين × مجلد، ط٢، القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٢، ص ٥٣-٥٨ - التقي الغزي، الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، ج١، ص ٢٤٠ - طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، ج١، ص ١١٢-١١٤ - حاجي خليفة، كشف الظنون،= =ج١، ص ٨٧، ١١٦، ٢٥١، ٣٩٥، ٥٥٣، ٧٣١ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٢٥٠ - محمد باقر الموسوي، روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله اسماعيليان، ٨ أجزاء، طهران ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠، ج٣، ص ٩٤-٩٦ - أيضاً: اللكنوي الهندي، الفوائد البهية فى تراجم الحنفية، ط١، القاهرة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، ص ٦٣-٦٤ - القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٦-٢١٧ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٣٧-١٤١.

(٢) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ٤ أجزاء، ج٤، ط٢، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٣٧٢ - ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٤، ص ٤٥٧-٤٥٨ - بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص ٢٢٢ - السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (٢ج × مج)، القاهرة (د.ت)، ج١، ص ٢٣٤-عبد القادر الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، جزئين، ط ١، دار الكتب

الشيخ المقرئ الفاضل «إقبال الهندي» (ت. ٧٢٢هـ/١٣٢٣م)، كان عبداً صالحاً هندياً لخادم يقال له «إقبال الدوري»، وكان الشيخ إقبال الهندي عارفاً بفن القراءات، تفقه على ابن الحرازي في عدن[1] وعندما رحل سيده عن عدن رحل هو أيضاً حتى استقر به المقام في مدينة «تعز»[2] وبها توفي في العام المذكور .[3]

الشيخ سراج الدين أبي حفص عمر بن اسحق بن أحمد الغزنوي الهندي الحنفي، (ت. ٧٧٣هـ/١٣٧١م) الهندي المولد والمنشأ، ولد في عام ٧١٤هـ/١٣١٤م، واشتغل بتحصيل العلوم في بلاده، فتفقه على كبار علماء دهلي، منهم «الوجيه الرازي»، «سراج الدين الثقفي»، «ركن الدين البدايوني»، وغيرهم من علماء الهند، وقد نزح سراج الدين الهندي إلى مصر قبل عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، ونزل في مدارس الحنفية بها، واشتهرت محاسنه وفضائله، وعظمت منزلته عند السلطان ناصر الدين حسن[4] فرتب

العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج١، ص٩٧ ـ ٩٨ابن العماد الحنبلى، المصدر السابق، مج٣، ج٦، ص ٣٧ - القنوجي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٠-١٢١ - الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ١٨٧ - الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٨-١٣٩ - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: غريب محمود وحسن محمود إسماعيل، القاهرة ١٩٩٥م، ق ٦ (١٠-١١)، ص ٤٧٥ - محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ٢٣.

(١) عدن: مدينة يمنية شهيرة على ساحل المحيط الهندي، سميت بعَدَن بن سنان بن إبراهيم عليه السلام، وهي ميناء هام ومركزاً من مراكز التجارة مع الهند والصين والحبشة وفارس والعراق - أنظر: القزويني، آثار البلاد، ص ١٠١-١٠٢ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ١٠-١٢ - الحميري، الروض المعطار، ص ٤٠٨.

(٢) تعز = بالفتح ثم الكسر والزاى المشددة، قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات وهي حضرة ملك اليمن كما يذكر بن بطوطة، وهي ثلاث محلات، إحداها يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته وتسمى "المعزية" والثانية يسكنها الأمراء والأجناد، وتسمى "عدينة"، والثالثة فيها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى "المحالب" - أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٦٦ - القلقشندي، المصدر السابق، ج٥، ص ٨-٩.

(٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط٢، صنعاء ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص ٢٠ - بامخرمة، ت.ثغر عدن، ج٢، ص ٢٣-٢٤.

(٤) هو السلطان ناصر الدين حسن بن الناصر محمد بن قلاوون من أعظم سلاطين المماليك البحرية تولى الحكم مرتين الأولى في الفترة (٧٤٨-٧٥٢هـ)/(١٣٤٧-١٣٥١م) والثانية في الفترة (٧٥٥-٧٦١هـ)/(١٣٥٤-١٣٦١م) ومن أهم إنجازاته "مدرسة وجامع" السلطان حسن بالقاهرة والتي توفي قبل انتهاء تشييدها ـ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٤٨-١٩٨، ٢٣٥-٢٦٤ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى، ص ١٠٠.

له راتباً عظيماً، ثم تولى سراج الدين الهندي قضاء العسكر، كما كان أول من ولي قضاء الحنفية والذي صنفه ابن شاهين الظاهري (ت. ٨٧٢هـ/١٤٦٧م) في المرتبة الثانية في مصر بعد قاضي قضاة الشافعية، والذي أتى بعده في التصنيف، قاضي قضاة المالكية تلاه قاضي قضاة الحنابلة،(١) وقد كان السراج الهندي، إماماً بارعاً في الفقه والنحو والمعاني والبيان، تصدر للإفتاء والإقراء والتدريس سنين، ومن أشهر مصنفاته «شرح المغني» و«شرح البديع»، و«شرح الزيادات»، و«شرح الجامع الكبير»، و«شرح عقيدة الطحاوي»، و«زبدة الأحكام في اختلاف الأئمة الأعلام»، و«الغرة المنيفة في ترجيح مذهب أبي حنيفة» وغيرها.. وقد توفي سراج الدين الهندي في السابع من رجب بالقاهرة في العام المذكور وبها دفن.(٢)

الشيخ عبد الله بن عمر بن علي بن مبارك الهندي السعودي الحلاوي (ت. ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) ولد في التاسع من المحرم من عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م بالقاهرة، وهو حفيد الشيخ مبارك الحلاوي الهندي، الذي أنشأ الزاوية التي عرفت باسمه في عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م وهي «زاوية الحلاوي»، والتي وصفت بأنها من الزوايا الشهيرة بالقاهرة، بالقرب من الجامع الأزهر.(٣) وقد نشأ الشيخ عبد الله بهذه الزاوية، التي أصبحت مجمعاً

(١) خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، باريس، ١٨٩٤م، ص ٩٢.

(٢) الحسن بن عمر بن حبيب، تذكرة النبية في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٦، ٣ج، ج٣، ص ٣١٦ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج١، ص ٢-٣، ٩ – الذيل على الدرر الكامنة، ص ٦٣ – هامش رقم (١) – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ١١-١٢ – العراقي، الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، ٣ أقسام × ٣ج، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص ٣٣٦-٣٣٨ – ابن قاضي شهبة، تاريخ بن قاضي شهبة، مج٣، ج٢ من المخطوط، ص ٤٠٥-٤٠٦ – ابن قطلوبغا، تاج التراجم في طبقات الحنفية، ليبزج ١٨٦٢م، ص ٣٦، ص ١٢٠-١٢١ – السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٣٧، ص ١٦١ - حسن المحاضرة، ج١، ص ٢٠٠-٢٠١ –– الأدنروي، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٢٩٥ – ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٢ج × ٨ق × ٨مج، ط١، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ق٢، ص ٣٤ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٩٥-٩٦ – عبد المجيد سالك، مسلم ثقافت هندوستان مين، لاهور، پاكستان (د.ت)، ص ١٢٧ – محمد ميان، علماء هند كاشندار ماضي، لاهور، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٢٤٥-٢٤٧.

(٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٣ج، مطبعة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م – ج٢، ص ٦١٣-٦١٤.

لطلبة الحديث في تلك الفترة، فسمع وقرأ على كثير من علماء عصره، فنال مكانة علمية رفيعة، ودفن بعد وفاته في تلك الزاوية.(١)

الشيخ عبد الله بن شيرين (الشيخ جمال الدين الهندي الحنفي)، (ت. ٨٠٩هـ/١٤٠٧م)، وقد جال في بلاد الهند سنين عدة، ثم قدم القاهرة واستمر خطيباً بالمدرسة البرقوقية(٢) سنيناً، وكان حسن الذاكرة، عارفاً بكثير من الأخبار المتعلقة ببلاد الهند، وذكر المقريزي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، أنه صاحبه سنيناً.(٣)

الحسن بن البدر الهندي ثم الدمشقي نزيل حماة (ت. ٨٣٣هـ/١٤٣٠م)، وهو إمام علامة، محقق، مدقق، ذو فنون عديدة، وقد وصف بأنه: «متمكن من العقليات، مع فصاحة وحسن تقرير، وتزهد وغير ذلك من المحاسن، وقد ظل بمدينة حماة ما يقرب من الثلاثين عاماً، مشاركاً في الحياة العلمية والثقافية بها، يأخذ العلم من كبار علمائها، ويؤخذ عنه في الكثير من العلوم، أبرزها الفقه والصرف والعربية، توفي بحماة ودفن بها عن نحو سبعين عاماً.(٤)

الشيخ عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد النجم بن الشهاب بن الضياء الهندي، دخل مكة، وتلقى العلم بها على يد العديد من علمائها، ثم ارتحل إلى مدينة دمشق، وحفظ كتباً، واشتغل بتدريس بعضها في مصر، وقد عاش في مصر بضع سنين وبها توفي في عام ٨١٨هـ/١٤١٥م.(٥)

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦١٣-٦١٤ – درر العقود الفريدة، ج٢، ص ٣٥٦ – ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٩، ص ٣٠٧ – الذيل على الدرر الكامنة، ص ١٥٤، السخاوي، الضوء اللامع، مج٣، ج٥، ص ٣٨-٣٩ – المباركبوري، رجال السند والهند، ق١، ص ٢٣٢.

(٢) أي المدرسة الظاهرية البرقوقية، مدرسة وخانقاه وجامع في القاهرة، وتسمى أيضاً "الظاهرية الجديدة"، تمييزاً لها عن الظاهرية العتيقة (مدرسة الظاهر بيبرس البندقداري)، والمدرسة المعنية، أنشأها السلطان برقوق سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م بخط بين القصرين بالقاهرة، ويقال لها اليوم جامع السلطان برقوق، وهي لا تزال قائمة= =بشارع المعز لدين الله، والذي يعرف في تلك المنطقة باسم شارع "النحاسين" وشارع "بين القصرين" – أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢٤٠ – حاشية رقم (٢).

(٣) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص ٣٥٦ – ابن حجر العسقلاني، الذيل على الدرر الكامنة، ص ١٨٤-١٨٥ – السخاوي، الضوء اللامع، مج٣، ج٥، ص ٢١.

(٤) السخاوي، المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص ١٣٢ – التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص ٢٤٤.

(٥) السخاوي، المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٣٢٤ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٩٤-٩٥.

ثانياً : دور العلماء الوافدين على بلاد الهند في الحياة الثقافة والعلمية بها في عصر سلطنة دهلي:

وكما أنبتت أرض الهند ذلك النبت الطيب من العلماء، الذين سلكوا شتى سبل العلم في بلادهم وخارجها، نجدها – وهي التي حظيت بعوامل جذب شتى سبق تناولها في موضع سابق من هذه الدراسة – قد أصبحت محط أنظار كثير من العلماء المسلمين من شتى بقاع العالم الإسلامي، والذين وفدوا على أراضيها وشاركوا بعلمهم في شتى مناحي الحياة الثقافية والعلمية بها من تحصيل، وتدريس، وتصنيف... إلى غير ذلك.

وفيما يلي ذكر لأبرز هؤلاء العلماء:

الشيخ أحمد بن علي الترمزي (ت. ٦٠٢هـ/١٢٠٦م)، وهو السيد الشريف أحمد بن علي بن الحسين بن محمد.... وينتهي نسبه إلى الحسين السبط على جده وعليه السلام، ولد ونشأ بمدينة ترمز[1]، وانتقل منها إلى لا هور بعد وفاة والده، فسكن بها وقد خرج من نسك جماعة من العلماء يدعون بالسادة الترمذية .[2]

الشيخ محمد بن الحسن النيسابوري، أحد العلماء البارزين في علميّ الإنشاء والتاريخ والسير، ولد ونشأ بمدينة نيسابور، وقرأ العلم على أساتذة عصره، ثم انتقل منها إلى غزنة[3] وأقام بها مدة، ثم انتقل منها إلى دهلي في عهد السلطان قطب الدين أيبك (٦٠٢-٦٠٧هـ)/(١٢٠٦-١٢١٠م)، ومن أشهر مصنفاته كتاب فى تاريخ الهند أسماه «تاج المآثر»، تناول فيه الأحداث من عام (٥٨٧هـ/١١٩١م) وحتى عام (٦١٤هـ/١٢١٧م)[4]، وقد توفي الحسن النيسابوري في عهد شمس الدين ألتمش (٦٠٧-

(١) ترمز: إحدى مدن إقليم ما وراء النهر (أي ما وراء نهر جيحون)، وتقع شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل... وهي علي ضفة جيحون الشرقية وكانت فرضة التجارات المحمولة من الشمال إلى خراسان ولها ثلاثة أبواب، وقد غزاها المغول فى ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ودمروها، ثم قامت بعد ذلك مدينة جديدة تعادلها كبراً، أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٢ – أيضاً: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٨٤.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٢١.

(٣) غزنة = بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، والأصح غزنين، وهي قصبة إقليم زابلستان، وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان، تشكل الحد بين خراسان والهند – أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٤٢٨-٤٢٩ – القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٤) يذكر الندوي: أنه توجد نسخة أخرى من كتاب "تاج المآثر" تمتد فيها الأحداث حتى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وليس واضحاً إن كانت تلك الفترة للمؤلف أم أضيف إليها لاحقاً من قبل غيره، أنظر: الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ٢١٧.

٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م) .[1]

الشيخ نور الدين محمد بن محمد العوفي الحنفي البخاري، من رجال القرن السابع الهجري، توفي بعد ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، وكان من نسل الصحابى عبد الرحمن بن عوف، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد ونشأ بمدينة بخارى، وأخذ العلم عن كبار علمائها، ثم رحل إلى كبريات مدن المشرق، وقد رحل من خراسان في فتنة التتار، ودخل السند وتقرب إلى ملكها «ناصر الدين قباجة» (٦٠٢-٦٢٤هـ)/(١٢٠٦-١٢٢٧م)، ومكث لديه حتى عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م وصنف له «لباب الألباب»، ثم لما ملك شمس الدين ألتمش بلاد الهند والسند قدم دهلي، وتقرب إلى رجال بلاطه وترجم له كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاضي أبي علي المحسن بن محمد بن داود التنوخي (ت. ٣٣٤هـ/٩٤٦م)، وقد توفي العوفي في عهد السلطان ناصر الدين محمود بن الألتمش (٦٤٤-٦٦٤هـ)/(١٢٤٦-١٢٨٧م) .[2]

محمد بن نصر الله أبو المحاسن الدمشقي (ابن عنين الشاعر)، (ت. ٦٣٣هـ/١٢٣٦م)، ولد بدمشق فى عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م، ورحل إلى بلاد الهند، وأقام بها مدة، وكتب منها إلى أخيه بدمشق بيتين عاتباً عليه بهما عدم مراسلته والثاني منهما لأبي العلاء المعري (ت. ٤٤٩هـ/١٠٥٧م) استعمله مضمناً والبيتين هما:-

سامحت كتبك في القطيعة عالماً ... أن الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل

وقد قال ابن خلكان (ت. ٦٨١هـ/١٠٨٩م) في ترجمته لابن عنين أنه كان غزير المادة من الأدب وكان ولعاً بالهجاء، نظم قصيدة أسماها «مقراض الأعراض»، وهي في خمسمائة بيت، لم يفلت أحد من أهل دمشق منها، بما قبح هجوه، فما كان من السلطان الناصر صلاح الدين (٥٦٤-٥٨٩هـ)/(١١٦٩-١١٩٣م) إلا أن نفاه إلى الهند، فمضى إليها ومدح ملوكها واكتسب في ذلك مالاً وفيراً، وكتب من الهند إلى دمشق قائلاً:-

فعلام أبعدتم أخا ثقة ... لم يجترم ذنباً ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم ... إن كان ينفى كل من صدقا

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج١، ص ٢١٧.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٢٤-٢٢٦.

وقد عاد إلى دمشق وبها توفي في العام المذكور.[1]

الشيخ أبو غفار الحسيني الخوارزمي، أحد كبار رجال التصوف، انتقل والده من خوارزم* إلى الهند إثر هجمات التتار، فسكن بلاهور، وكان صالحاً حسن الأخلاق، حلو المنطق، توفي في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م بلاهور وبها دفن.[2]

كمال الدين الدخميسي الحموي ثم الدمشقي التاجر، هو أحمد بن أبي الفضائل ابن أبي المجد بن أبي المعالي المحدث الرئيسي، عني بعلم الحديث وكتب بخطه الكثير، ورحل في طلب الحديث، فجال في بلاد عدة، ثم دخل الهند وأقام به، وخطه طريقه معروفة بين المحدثين، توفي بعد عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م ببلاد الهند.[3]

الشيخ محمود بن أبي الخير البلخي[4]، الإمام المحدث، كان بارعاً في علوم النحو واللغة والفقه والحديث، وقد قدم الهند، فاحتفى به الملوك والأمراء، وخاصة السلطان غياث الدين بلبن، الذي كان يتردد إليه في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة ويحظى بصحبته، كما كان الشيخ البلخي شاعراً جيداً، توفي في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٨م ودفن بدار الملك دهلي.[5]

الشيخ حسين بن علي البخاري (من رجال القرن السابع الهجري)، يتصل نسبه بالإمام علي الرضا، كان من رجال العلم والمعرفة، ولد ونشأ بمدينة بخارى، ثم قدم الهند مع ولديه علي وجعفر، فلما وصل إلى مدينة بكهر السندية، ومنها إلى مدينة الملتان السندية أيضاً، سعى إلى الالتقاء بكبار شيوخها، ومنهم الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، الذي التقاه في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، وصاحبه، بل لازمه، وقد كان الشيخ حسين البخاري عالماً

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٤-١٩ - المباركبوري، رجال السند والهند، ق٢، ص ٥٠٦-٥٠٨.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٢٣-١٢٤.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) البلخي = نسبة إلى مدينة بلخ وهي مدينة عظمى بإقليم خراسان، وهي في مستوى من الأرض، فتحها الأحنف بن قيس التميمي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ)/(٦٤٤-٦٥٦م) ولها سبعة أبواب، وبها مدارس للعلوم ومقامات للطلاب وخرج منها ما لا يحصى من العلماء والصلحاء - أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٩٦ - أيضاً: الحميري، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٥) الندوي، المرجع نفسه، ج١، ص ٢٢٩-٢٣٠.

وفقيهاً زاهداً، اشتغل بالتدريس والإفادة، وأخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ، وكانت وفاته في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٦م.[1]

الشيخ شمس الدين الخوارزمي، أحد كبار علماء اللغة العربية في بلاد الهند وهو من رجال المائة السابعة، ولاه السلطان غياث الدين بلبن الصدارة بدهلي ولقبه بشمس الملك، في الوقت الذي استمر فيه يدرس ويفيد في دهلي.[2]

الشيخ العلامة بدر الدين الحكيم الدمشقي ثم الهندي الدهلوي، كان بارعاً في الطب، حتى أنه كان يميز أبوال الحيوانات حتى إذا اختلطت في قارورة واحدة، كما أنه كان حسن الشرح والإفهام، وإلقاء المعاني الدقيقة على الطلبة، وقد قام بتوضيح كتاب «القانون»[3] «لابن سينا»[4] (ت. ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، وكان يسكن بدار الملك دهلي في عهد السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م)، وقد نهج نهج المتصوفة حتى قيل أنه كان صاحب سر وكشف ومشاهدة.[5]

الشيخ الفاضل المؤرخ الكبير كبير الدين بن تاج الدين العراقي الدهلوي، أحد العلماء البارزين في السير والتاريخ، لم يكن له نظير في عصره في الإنشاء والترسل والبلاغة، له إنشاء بليغ باللغة العربية والفارسية، ومصنفات عديدة في التاريخ، وقد صنف كتباً في فتوح السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجي.[6]

الشيخ شمس الدين بن عبد الرحمن الخراساني، ثم الهندي الدهاراسيوني، ولد

---

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٦٦.

(٣) "كتاب القانون": هو كتاب القانون في الطب، لابن سينا، وهو كتاب مشتمل على قوانين الطب الكلية والجزئية، مقسم إلى خمس كتب الأول في الأمور الكلية من علم الطب والثاني في الأدوية المفردة والثالث في الأمراض الجزئية من الرأس إلى القدم والرابع في الأمراض الجزئية التي لم تختص بعضو، والخامس في تركيب الأدوية - أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٣١١-١٣١٣.

(٤) هو الشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبد الله المعروف بابن سينا، المتوفي ٤٢٨هـ/١٠٣٧م، ولد في ٣٧٠هـ/٩٧٩م على أغلب الآراء، وكان أبوه من أهل بلخ وانتقل إلى بخارى.. ترجمته تفصيلاً في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ١٥٧-١٦٢ - فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٧٥-٢١٦.

(٥) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٤٨ - أيضاً: الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٦-١٧.

(٦) الندوي، نفسه، ج٢، ص ١١٥.

بقرية «درهمون»، وهي قرية من أعمال خراسان، ولما بلغ الثامنة عشر، توفي والده، فهاجر من بلاده ودخل الهند واشتغل بأعمال الديوان، ثم سافر إلى الحج والزيارة ورجع إلى الهند وسكن بدهارا من بلاد مالوه حتى توفي في عام ٧٣٠هـ/١٣٢٩م .[١]

الشيخ بدر الدين «الشاشي»[٢] الشاعر المشهور، كان من الرجال المعروفين بالبلاغة في الشعر وله قصائد غراء في مدح السلطان محمد تغلق شاه، كما صنف شاهنامة في اخباره بلغ عدد أبياتها الثلاثين ألفاً .[٣]

ومن أشهر من وفد على بلاد الهند من علماء العالم العربى والإسلامي، الرحالة المغربي الشهير (ابن بطوطة) ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتي الطنجي ولد في مدينة طنجة من بلاد المغرب الأقصى في ١٧ رجب من عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، ونشأ على قراءة القرآن والكتابة والفقه، كما تعلم الأدب وفنون الشعر، وعندما بلغ الحادية والعشرين من عمره في عام ٧٢٥هـ/١٣٢٥م رحل من بلاده إلى الشرق، وذلك بنية أداء فريضة الحج[٤]، وقد أداها بالفعل في عام ٧٢٦هـ/١٣٢٦م، ثم آثر الترحال والتجوال في بلدان العالم الإسلامي فدخل مصر والشام والعراق وبلاد الهند والسند والصين وغيرها، وقد دخل ابن بطوطة بلاد الهند في أول المحرم من عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م[٥]، ورحل عنها في ١٧ صفر من عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م[٦]، بعد أن قضى بها مدة من الزمان قاربت الثمان سنوات، في عهد الملك محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م)، الذي قربه إليه فنال الحظوة عنده، وولاه القضاء، وأغدق عليه مالاً وفيراً، حتى قرر ابن بطوطة العودة إلى بلاده بعد ثلاثين عاماً قضاها في الترحال، وكان رجلاً صدوقاً، لا يتكلف شيئاً في أحاديثه، بل كان لفرط

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٥٦.

(٢) الشاشي = نسبة إلى مدينة الشاش وهي على الضفة اليمنى لنهر سيحون أي الشمالية الشرقية ويُقال لها أيضاً بنكت، وهى من أعظم المدن العربية فى ما وراء سيحون في العصور الوسطى، وتقع في إقليم نهر سيحون، أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٣٥ - أيضاً: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٧.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٣١.

(٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٤١١ - حسين مؤنس، ابن بطوطة رحلاته، ص ١٥٤.

(٦) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ١٦٦.

بساطته لا يفكر هو نفسه في تسجيل رحلاته، لولا أن سلطان بلاده، أبا عامر فارس المتوكل (٧٤٩-٧٥٩هـ)/(١٣٤٨-١٣٥٨م) السلطان الحادي عشر من سلاطين بني مرين (٥٩٣-٨٦٩هـ)/ (١١٩٦-١٤٦٥م) في المغرب، قد طلب منه تدوين رحلته .[١]

وقد تناول الدكتور حسين مؤنس رحلة ابن بطوطة بالشرح التفصيلي لكل ما زار من أماكن كما حاول مطابقتها بمواقعها الحالية، إضافة إلى تركيزه على ما شاهده ابن بطوطة، وما سجله من ملاحظات عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد التى شملتها رحلته وبصفة خاصة الفترة التي قضاها فى بلاد الهند، حيث وصفها ابن بطوطة وصفاً دقيقاً من حيث أجوائها وطبيعتها وسكانها ثم زراعاتها ومحاصيلها وما استرعى انتباهه من عادات وتقاليد سكانها - ويعتبر مصنف ابن بطوطة المعنون بـ«تحفة النظار فى غرائب الأبصار» والشهير برحلة ابن بطوطة، المصدر العربي الوحيد الذي تناول عصر الملك محمد تغلق شاه الثاني المذكور من موقع الأحداث، ومعاصراً لكل تفاصيل تلك الفترة، وشاهداً على الكثير من الوقائع فى عهده، وقد توفي ابن بطوطة في عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ودفن في بلدته طنجة .[٢]

الشيخ محمد بن محمد بن عثمان بن الصفي أحمد بن محمد بن أبى بكر الطبري، وقد سمع من جده عثمان، وجماعة من علماء دمشق ومكة، وقد اعتنى بدراسة الحديث، كما كتب كثيراً، وتوجه إلى بلاد الهند في عام ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، وأقام بها ما يقرب من الاثنتين وعشرين عاماً، حتى توفي بها في عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م .[٣]

الشيخ علي بن حسن بن محمد بن الهمداني المسعودي، المعروف بابن الشهاب، ولد في عام ٧١٤هـ/١٣١٥م، وهو أديب صوفي، رحل إلى بلاد الهند وأقام بها إلى أن توفي في عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، ومن مصنفاته، «ذخيرة الملوك»، و«روضة العلوم ودوحة المفهوم»، و «شرح فصوص الحكم» لابن عربي[٤]، و «مرآة الرجال» في علم القيافة[٥]، و

(١) حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص ٢٣٥-٢٣٧.

(٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤١١-٥٧٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص ٦٨.

(٤) ابن عربي = هو الشيخ يحيى أبي عبد الله محمد ابن علي المعروف بابن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي (ت. ٦٣٨هـ/١٢٤١م) - أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٣٦١.

(٥) علم القيافة = سمي بعلم القيافة لكون صاحبه متتبع بشرات الإنسان وجلوده وأعضائه وقدمه،

«مشارب الأذواق» في شرح الحمزية» لابن الفارض[1]، وله «الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية»، وله أيضاً «شرح الأسماء الحسنى»[2].

الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو محمد بن زين الدين أبي الطاهر بن جمال الدين أبي عبد الله بن الحافظ محب الدين الطبري، ولد بمكة في المحرم من عام ٧٢٣هـ/١٣٢٤م، وسمع على والده القاضي المسند المعمر زين الدين أبي الطاهر وغيره من كبار علماء عصره في مكة، والمدينة النبوية، وقد سافر إلى بلاد الهند وأقام بها مدة، سمع خلالها وجمع الحديث والفقه، كما خطب بها، وقد عاد إلى مكة ثم إلى المدينة النبوية، حيث توفي في الحادي عشر من جمادى الأخرة في عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥م.[3]

محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ... الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي، إمام الناس في علم اللغة، ولد بشيراز[4] في عام ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، وسمع من

وهو على قسمين قيافة الأثر ويقال لها العيافة، وقيافة البشر وهي المعنية هاهنا، وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما في النسب والولادة وفي سائر أحوالهما وأخلاقهما. وكمثال= = حكي أن الإمام الشافعي، ومحمد بن الحسن، رأيا رجلاً، فقال محمد: "إنه نجار" وقال الشافعي: "إنه حداد"، (استنتاجاً من ملامحه)فسألاه عن صنعته فقال: "كنت حداداً والآن نجار" – أنظر: القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص ٤٣٦.

(١) ابن الفارض = هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، الملقب شرف الدين بن الفارض شاعر متصوف ملقب بـ "سلطان العاشقين" ولد في ٥٧٦هـ/١١٨١م، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى وحدة الوجود، اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره، إلا أنه ما لبث أن زهد، وتجرد وسلك طريق التصوف، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة وأطراف جبل المقطم، وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، وأكثر العزلة في وادي بعيد عن مكة، ثم عاد إلى مصر فقصده الناس للزيارة حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته.. توفي في عام ٦٣٢هـ/١٢٣٥م – أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٥٤-٤٥٥ – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٥٥-٢٥٨ – ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ١٤٩.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج١، ص ٢٠١، ٨٨٢، مج٢، ص ١٠٣٣، ١٣٦٢ – أيضاً: البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص ٧٢٥.

(٣) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٢، ص ٣٣٥.

(٤) شيراز = شيراز قصبة فارس، مصرها العرب واتخذ المسلمون موضعها وقت الفتوح في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي متوسطة في إقليم فارس وقد تولى عمارتها محمد أخو الحجاج الثقفي أو ابن عمه في عام ٦٤هـ/٦٤٨هـ ثم اتسعت رقعتها حتى صارت مدين كبيرة في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي، ومن أبرز من نسب إليها الشاعر سعدي الشيرازي المتوفي ٦٩١هـ/١٢٩٢م، كذلك أبا اسحق الشيرازي الفقيه، أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٥١ – كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٨٤-٢٨٧.

كثير من علمائها، كما سمع من علماء مصر، ومكة، وكانت له عناية بالحديث والفقه، وله تحصيل في فنون العلم لاسيما اللغة، وقد وصف بأنه كان بحر لا تكدره الدلاء، كما كان له شعر كثير، ويكتب الخط الجيد بسرعة، وقد دخل بلاد الهند وأقام بها مدة بمدينة دهلي، وحظي عند ملكها بمكانة سامية وقد صنف كتباً كثيرة منها «بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، و«تنوير المقباس في تفسير ابن عباس»، و«تيسير فاتحة الإهاب بتفسير فاتحة الكتاب»، و«الدر النظيم إلى المرشد إلى فضائل القرآن العظيم» ولعل أهم مؤلفاته «القاموس» وقد توفي بمدينة زبيد[1] ليلة الثلاثاء العشرين من شوال من عام ٨١٧هـ/١٤١٥م وقد ناهز التسعين.[2]

تلك كانت كوكبة من أهم العلماء والفضلاء والصلحاء من رجال الهند والعالم الإسلامي، اللذين حملوا راية العلم والمعرفة في بلاد الهند وأخذوا على عاتقهم مهمة قيادة ركب الحضارة الهندية إلى الأمام.

---

(١) زبيد: بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخاً، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها، وقد أحدثت هذه المدينة في عهد الخليفة المأمون العباسي (١٩٨-٢٠١هـ)/(٨١٣-٨١٧م) – أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٣١ – ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٦٤-٢٦٥ – الحميري، الروض المعطار، ص ٢٨٤.

(٢) المقريزي، درر العقود الفريدة، ص ١٧٣-١٧٦ – ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص ١٢٦-١٣١.

الفصل الثالث

مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين دهلي بالعلم والعلماء في بلاد الهند والعالم الإسلامي

(١) السلطان شمس الدين ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م)

(٢) السلطان معز الدين بهرامشاه ابن ألتمش (٦٣٧-٦٣٩هـ)/(١٢٤٠-١٢٤٢م).

(٣) السلطان ناصر الدين محمود شاه ابن ألتمش (٦٤٤-٦٦٤هـ)/(١٢٤٦-١٢٦٥م).

(٤) السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م).

(٥) السلطان جلال الدين فيروزشاه الثاني الخلجي (٦٨٩-٦٩٥هـ)/(١٢٩٠-١٢٩٦م).

(٦) السلطان علاء الدين محمد شاه الأول الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م).

(٧) السلطان غياث الدين تغلق شاه (٧٢٠-٧٢٥هـ)/(١٣٢٠-١٣٢٥م).

(٨) السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م).

(٩) السلطان جلال الدين فيروزشاه الثالث التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م).

(١٠) السلطان بهلول لودي (٨٥٥-٨٩٤هـ)/(١٤٥١-١٤٨٨م).

(١١) السلطان نظام خان (اسكندر الثاني) (٨٩٤-٩٢٣هـ)/(١٤٨٩-١٥١٧م).

الفصل الثالث

مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين دهلي بالعلم والعلماء في بلاد الهند والعالم الإسلامي

انصب الاهتمام في الجزء السابق من هذه الدراسة على دور العنصر البشري ممثلاً في دور العلماء في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي، فهم الذين حملوا لواء العلم آخذين على عاتقهم مهمة نشره، وبذلوا في سبيل تطور وازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند جهداً محموداً، أسفر عن كم هائل من المصنفات العلمية في شتى مجالات العلم والمعرفة مع الاهتمام بتدريس أمهات الكتب في علوم الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية وغيرها.

أما في هذا الجزء من الدراسة، فسيتم تناول أحد أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، والذي شكل أيضاً نقطة جذب للعلماء من شتى أرجاء العالم الإسلامي، ألا وهو شدة اهتمام سلاطين دهلي بالعلم وحفاوتهم بالعلماء، سواء من أهل البلاد، أو ممن وفدوا عليها من أنحاء العالم الإسلامي المترامي الأطراف.

ورغم أن سلطنة دهلي قد شغلت منذ أيامها الأولى بالصراعات السياسية والتهديدات الداخلية والخارجية، من أجل الحفاظ على ذلك الكيان الممتد على مساحة هائلة من شبه القارة الهندية، - وهي مهمة سياسية وعسكرية شاقة استولت على الجانب الأعظم من جهد واهتمام حكامها - إلا أن سلاطين دهلي قد أظهروا اهتماماً كبيراً بالعلم والثقافة في بلادهم، وتجسد هذا الاهتمام في مظاهر شتى، لعل أبرزها الاهتمام بإنشاء المدارس، ورعايتهم للزوايا والخانقاهات، والاهتمام بحركة النقل والترجمة عن أصحاب الديانات الأخرى (أبرزها الهندوسية)، والاهتمام بالحصول على أمهات الكتب والمخطوطات، إضافة إلى إجزال العطايا للعلماء والصالحين والتقرب منهم ومجالستهم ومصاحبتهم لهم حتى في المعارك والحروب، بل وتعدى هذا الاهتمام حدود بلادهم حتى سعوا إلى

اجتذاب مشاهير العلماء من أقطار العالم الإسلامي المختلفة إلى مجالسهم، كما أرسلوا المنح والعطايا المالية والعينية إلى العلماء وطلاب العلم في الداخل والخارج.

وفيما يلي ذكر لأهم مظاهر هذا الاهتمام والحفاوة من قبل سلاطين دهلي بالعلم والعلماء، مصنفاً بعهود سلاطين دهلي ممن أمدتنا مصادر التاريخ الإسلامي بأخبارهم في هذا الصدد:-

(١) السلطان شمس الدين ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م)

ويعتبر السلطان شمس الدين ألتمش[١] المؤسس الحقيقي لسلطنة دهلي والمرسي الفعلي لقواعدها والمثبت لأركانها في شمال شبه القارة الهندية، وخاض في سبيل ذلك ما لا يُحصى من المعارك طيلة فترة حكمه التي امتدت لأكثر من خمسة وعشرين عاماً. إلا أن حروب ألتمش على كثرتها، لم تمنعه من أن يمد يد الرعاية والاهتمام إلى المشتغلين بالعلوم والفنون على اختلافها.[٢]

وقد كان بلاط السلطان شمس الدين ألتمش - الذي صد غارات المغول الذين حاولوا اختراق إقليم (السند) - ملتقى للعلماء الذين وفدوا على دهلي من شتى بقاع العالم الإسلامي فراراً من بطش المغول. فأكرمهم ألتمش وقرر لهم رواتب جزيلة من خزينته، كما شيد لهم المنازل التي تليق بمكانة كل منهم، وبفضل هؤلاء العلماء أنشأت العديد من المدارس تحت إشرافهم، وأضحت الحاضرة دهلي تضم ثروة هائلة من المخطوطات العربية التي أنقذت من عبث المغول.[٣]

كما كان لشمس الدين ألتمش ميول دينية جعلته يتردد على العلماء والصوفية، لا

(١) هو ثالث حكام أسرة المماليك في دهلي بعد السلطان قطب الدين أيبك (٦٠٢-٦٠٧هـ)/(١٢٠٦-١٢١٠م) والذي خلفه آرام شاه لعدة أشهر ٦٠٧هـ/١٢١٠م.. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٢٥٥.

(٢) شهد عصر ألتمش نهضة وازدهاراً كبيراً في فن العمارة بالهند، ومن آثاره الباهرة "منارة القطب" أو "قطب منار" واحدة من أروع العمائر الإسلامية في بلاد الهند، وإن كان بعض المؤرخين قد نسبها خطأً إلى السلطان قطب الدين أيبك، وحقيقة الأمر أن ألتمش قد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى الإمام العارف بالله قطب الدين الكعكي (ت. ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) تبركاً به. أحمد رجب محمد علي، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، ص ٣٥-٣٩ - أيضاً: الساداتي، ت. المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٩٩ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٩٦.

(٣) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٤٧-٤٨.

سيما الشيخ «قطب الدين بختيار الكعكي»[١] ويلتمس منه الدعاء، وغيره من العلماء الذين عظمهم واحتفى بهم وأجلسهم في صدر مجلسه وعلى رأس هؤلاء:-

الشيخ الإمام نور الدين المبارك بن عبد الله بن شرف الحسيني الغزنوي، الذي ولد ونشأ بمدينة غزنة، وأخذ العلم بها ثم سافر إلى بغداد، وصاحب الشهاب عمر السهروردي صاحب الطريقة الصوفية المعروفة بالسهروردية، ثم عاد إلى غزنة، ومنها إلى دهلي حيث نال الحظوة عن السلطان شمس الدين ألتمش، حتى أنه كان يجلسه في صدر المجلس، بل ويقبل يده، ويتبرك به في غزواته، وقد توفي في أول ليلة من المحرم من عام ٦٣٢هـ/١٢٣٥م بمدينة دهلي وبها دفن.[٢]

وممن أكرمهم ألتمش من العلماء، الشيخ سليمان بن عبد الله العباسي (ت. ٦٥٧هـ/١٢٥٩م) الصوفي على الطريقة السهروردية، والذي قدم الهند في عهد السلطان ألتمش فأسكنه في قصر من القصور السلطانية، ورتب له راتباً مجزياً، وأراده أن يقيم بدهلي، إلا أن الشيخ فضل اعتزال الناس، ورحل إلى قرية من قرى إقليم أوده شرقي بلاد الهند تعرف بـ«كنتور»، وسكن بها حتى توفي ودفن بها.[٣]

وقد بلغ من تقدير ألتمش للعلماء وإجلاله لهم أن قام بتزويج ابنته (فتحة السلطانة) إلى الشيخ محمود بن محمد الدهلوي الملقب بـ«قوام الدين» (ت. ٧١٠هـ/١٣١٠م) وكان أحد الفقهاء البارزين وهو من نسل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما، وكان قد قدم الهند مع والده الأمير قطب الدين محمد بن أحمد الحسني الحسيني المدني، فسعد ألتمش بقدومهما، وزوجة ابنته فأقام بدهلي وقام بالتدريس والإفادة بها حتى توفي وله من العمر ثلاث وثمانون عاماً.[٤]

(١) هو الإمام العارف بالله، قطب الدين بن كمال الدين الكعكي الأوشي، من كبار الأولياء، أصله من بلدة أوش من بلاد ما وراء النهر، رحل إلى بغداد ولازم ولي الله الشيخ معين الدين السجزي الأجميري وفاز منه بالخلافة، ثم رحل إلى الهند حيث أكرمه السلطان ألتمش، وكان يتردد عليه الكثير من الناس.... وكان من عادته أن يستمع للغناء (أي ألحان الصوفية) فيغيب عن رشده ويُغشى عليه، حتى مات في إحدى تلك المرات بعد أن قضى ثلاثة أيام لم يفق فيها من استغراقه وكان ذلك في عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م وعمره يناهز الخمسين عاماً، ودفن قرب "قطب منار". أنظر: الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٩٦.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٠٢.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٦٢.

(٤) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٥٨.

(٢) السلطان معز الدين بهرامشاه بن ألتمش (٦٣٧-٦٣٩هـ)/(١٢٤٠-١٢٤٢م)

وقد تولى السلطان معز الدين بهرامشاه ابن ألتمش سلطنة دهلي خلفاً لأخته السلطانة رضية الدين ابنة ألتمش (٦٣٤-٦٣٧هـ)/(١٢٣٦-١٢٤٠م)، وقد انتهج بهرامشاه نهج أبيه في تقدير العلماء وإكرامهم ومنهم الشيخ الصالح أيوب بن أبي أيوب التركماني الدهلوي الزاهد (من رجال القرن السابع الهجري) أحد صوفية دهلي في ذلك العصر، وهو من وصف بأنه كان نافذ الكلمة عند السلطان معز الدين بهرامشاه، وكان السلطان يعتقد في فضله وصلاحه، ويتلقى إشاراته بالقبول.[١]

كما استمر السلطان بهرامشاه في تقريب الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي الأوشي، الذي سبق واصطفاه أباه ألتمش وقربه وأنعم عليه.[٢]

وقد أدت المكانة التي احتلها بعض العلماء لدي سلاطين دهلي إلى الاستعانة بحكمتهم في حل بعض الأزمات التي لا تنفك تندلع بين النخبة الحاكمة من حين لأخر، حيث افتقر السلطان بهرامشاه ابن ألتمش إلى الحكمة السياسية، حينما تعرضت سلطنة دهلي لخطر الجيوش المجنكيزية، التي حاصرت مدينة لاهور، وخربتها بعد فرار حاكمها الذي لجأ إلى دهلي مستغيثاً بالسلطان، حيث قام هذا الأخير بجمع الأمراء، وأرسل عدداً منهم مع الجيش إلى لاهور لتحريرها من المغول، وعندما وصل الجيش إلى شاطئ نهر «بياه» قرب قصبة «سلطانبور» أخذ نظام الملك من كبار قواد بهرامشاه في الدس بينه وبين الأمراء في الجيش، محرضاً إياهم أن يطلبوا من السلطان أن يخرج بنفسه على رأس الجيش لقتال المغول، فما كان من السلطان إلا أن أرسل برسالة إلى نظام الملك - وكان يجهل أمر دسيسته - يخبره فيها بأنه قد كان يعتمد عليه فى القضاء على هذه الزمرة المخالفة من الأمراء فور أن تواتيه الفرصة لذلك، فقام نظام الملك بإطلاع الأمراء على فحوى رسالة السلطان، فاستفحل أمر العصيان، وأسقط في يد السلطان الذي عهد إلى الشيخ قطب الدين الكعكي[٣] كي يقوم بدور الوسيط بينه وبين الأمراء لترضيتهم

---

(١) الندوي، نفسه، ج١، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٩٦.

(٣) أورد عبد الحي الحسني الندوي، صاحب نزهة الخواطر، ان الشيخ قطب الدين الكعكي الأوشي قد توفي فى عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م، ولكن من الواضح وفقاً للهروي (ت.ب ١٠٠٢ هـ/ ١٥٩٤ م) صاحب طبقات أكبري، أن الشيخ قطب الدين قد عاش ليشهد هذه الواقعة فى عهد السلطان

مستغلاً في ذلك مكانة الشيخ وقدره عند الجميع، إلا أن الأمراء كانوا قد عقدوا أمرهم على التخلص من بهرامشاه، ولم تفلح جهود الشيخ الكعكي في احتواء الأزمة التي انتهت بمقتل بهرامشاه على يد الأمراء الثائرين في يوم السبت الثامن من ذي القعدة من عام ٦٣٩هـ/١٢٤٢م.[١]

(٣) السلطان ناصر الدين محمود بن ألتمش (٦٤٤-٦٦٤هـ)/(١٢٤٦-١٢٦٥م)

أصغر أبناء السلطان شمس الدين ألتمش وتولى السلطنة خلفاً لأخيه السلطان علاء الدين مسعود شاه (٦٣٩-٦٤٤هـ)/(١٢٤٢-١٢٤٦م)، وقد امتدت فترة حكم السلطان ناصر الدين محمود قرابة العشرين عاماً، انصرف خلالها لمصاحبة العلماء والصالحين ورجال التصوف، تاركاً عبء الحكم ومهامه على عاتق وزيره بلبن، الذي كان الحاكم الفعلي للسلطنة طوال هذه المدة، اضطلع فيها بمهام الحكم على أكمل وجه، في حين آثر السلطان ناصر الدين الانغماس في الحياة الدينية والتصوف، حتى قيل أنه كان يكتب في كل عام مصحفين، يصرف ثمنهما على قوته الخاص، وقد علم بقيام أحد الأمراء بشراء أحد تلك المصاحف التي كتبها بسعر مرتفع فلم يسر بذلك، وأمر أن تباع تلك المصاحف التي يكتبها خفية وبسعر متعارف عليه، وقد وصف بأنه كان ميالاً إلى الزهد والتقشف وكانت له عناية بالغة بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة، وقد استمر على نهجه هذا حتى توفي في الحادي عشر من جمادى الأولى من عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م.[٢]

(٤) السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م)

وقد تولى السلطان بلبن حكم دهلي فور وفاة السلطان ناصر الدين محمود شاه، ولم يختلف اثنان على أمر توليه السلطنة فقد كان بالفعل حاكماً لدهلي طوال فترة حكم ناصر الدين كما سبقت الإشارة، وقد عرف بلبن بحزمه والتزامه الشديد تجاه التقاليد الرفيعة في حضرة الملوك، حتى إن المؤرخين نسبوا إليه صفوة عادات المجتمع الهندي

بهرامشاه، أي أن الشيخ الكعكي ت. بعد عام ٦٣٩هـ/١٢٤٢م. أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٧٦ - أيضاً، الندوي، المرجع السابق، ج١، ص١٩٦.

(١) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ٧٦.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٧٨-٨٣. الساداتي، ت. المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٠١ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ٢٢٨-٢٢٩ - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١١١-١١٢.

إلى يومنا هذا، هذا بالإضافة إلى تدينه وورعه الشديدين، واللذين انعكسا على تمسكه الشديد بآداب الإسلام وحرصه على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في السلطنة، إلى جانب رعايته للعلماء والأدباء وتقديره الكبير لهم ولرجال التصوف في بلاد الهند.[1]

وقد روي أنه لفرط اهتمامه بالعلم والعلماء وتقديره للصالحين والمتصوفة، لم يمد يده إلى طعام دون حضور العلماء والصالحين، وكان يتحقق منهم (أثناء الطعام) في المسائل الشرعية، كما كان يذهب إلى منازل كبار العلماء ويزور المقابر بعد صلاة الجمعة، وكان يصاحب أهل الوعظ ويسمع المواعظ ويبكي ويتردد إلى بيوت كبار المشايخ فيحظى بصحبتهم ويحظون هم بعطاياه ومنحه الجزيلة.[2]

ويتضح لنا منهج السلطان بلبن في الاستفادة من العلماء والاسترشاد بنصحهم في أمور الحكم والسلطنة عندما يوصي ابنه الأصغر الأمير (بغراخان) الملقب بـ «ناصر الدين» حين أقطعه حكم إقليم سامانة وسنام*، بأن يستشير العلماء وأهل العلم عند دخول المغول وفي القيام بالأمور الملكية، وكذلك إن قابلته مشكلة أي كانت في عمله.[3]

وفي مثال آخر يدل على إجلال غياث الدين بلبن للعلماء، و تقديره لهم تقديراً بلغ حد قبول وساطة أحد هؤلاء العلماء والعفو عن عدد كبير من الأسرى، الذين خرجوا عليه من جيش دهلي، وانضموا إلى أحد الخارجين عليه ويدعى (طغرل)، حيث كان السلطان قد أمر بشنقهم جميعاً في سوق دهلي، فعم الحزن المدينة بأسرها بسبب ما كان من صلات القربى بين سكان دهلي وهؤلاء الأسرى، وعندها تدخل (قاضي الجيش)[4]، وكان من أتقياء عصره، فتوسط لدى السلطان بكلمات رفيقة، يطلب فيها العفو عنهم فاستجاب له السلطان. رغم ما عرف عنه من حزم وشدة في مثل تلك الأمور ورغم فداحة الجرم الذي ارتكبه هؤلاء الجند في حق مليكهم - ووقع بقلم العفو عن جرائمهم.[5]

---

(١) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ٨٢-٨٣ - الساداتي، المرجع السابق، ص ٩٩.

(٢) الهروي، طبقات أكبري ، ج١، ص ٨٥ - الساداتي، ت. المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١١٠ - الندوي، نزهة الخواطر، ج١، ص ١٩٢ - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١١٣.

(٣) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ٩١.

(٤) اكتفى المصدر بذكر "قاضي الجيش" دون ذكر اسم أو أي خبر آخر عن تلك الشخصية.

(٥) الهروي، المصدر نفسه، ج١، ص ٩٥.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين نالوا الحظوة، وفازوا بإكرام السلطان بلبن وجزيل عطاياه :-

الشيخ أبو بكر بن يوسف السجزي (من رجال القرن السابع الهجري) أحد كبار العلماء البارزين في الفقه والأصول والعربية، وكان يدرس ويفيد بمدينة دهلي لفترة طويلة في عهد السلطان بلبن، وكان السلطان المذكور يكرمه غاية الإكرام ويتردد إليه في كل أسبوع بعد صلاة الجمعة ويحظى بصحبته.[1]

كما نال الشيخ برهان الدين البزار الحنفي الدهلوي (من رجال القرن السابع الهجري) أحد كبار الفقهاء في ذلك العصر، وممن درسوا وأفادوا بدهلي، كل حفاوة وتكريم من السلطان.[2]

ولم يكن علماء الهند فقط هم من نالوا الحفاوة والتكريم، بل كان للعلماء الوافدين على سلطنة دهلي نصيب منه أيضاً، حيث اغتنم السلطان بلبن فرصة وفود الشيخ عبد العزيز بن محمد الدمشقي (من رجال القرن السابع الهجري) على دهلي، فأكرمه وحظي بصحبته وكان يتردد إليه كل أسبوع بعد صلاة الجمعة.[3]

٥) السلطان جلال الدين فيروزشاه الثاني المخلجي (٦٨٩-٦٩٥هـ)/(١٢٩٠-١٢٩٦م)

وفي موقف يظهر مدي تقديرهذا السلطان للعلم والعلماء وحفاوته بهم حتى قبل توليه السلطنة، ما كان أثناء توليه إمارة إقليم سامانه من قبل السلطان بلبن، حين قام أحد شعراء دهلي الكبار ويدعى الشيخ «سراج الدين الساوِلي»، بتأليف منظومة أطلق عليها «خلجنامة» وهجاه فيها وقد وصل خبر هذه المنظومة إلى جلال الدين فيروزشاه، فما كان من الشيخ الساوِلي إلا أن فر هارباً خشية بطش الأمير به، وعندما تولى السلطان جلال الدين سلطنة دهلي أمر بإحضار الشيخ الشاعر، فأحضره جنده مكبلاً بالقيود، وظن الشيخ أنه هالك لا محالة، ولكن السلطان ما أن رآه حتى احتضنه وأنعم عليه بالخلع،

---

(١) الندوي، المرجع السابق، ج١، ص ١٢١.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر ، ج١، ص ١٢٨.

(٣) الندوي، المرجع السابق ، ج١، ص ١٧٢.

وحياه بأنواع التكريم، وأمر أن يأتي مثل المقربين الآخرين أمام العرش للسلام.[1]

وقد عرف فيروزشاه الثاني الخلجي بحبه للعلماء وإيثاره لهم، ومن أبرز من شملهم عطف السلطان وكرمه من العلماء الشيخ سعد الدين المنطقي الدهلوي، أحد العلماء البارزين في المنطق والحكمة، وقد قربه السلطان جلال الدين إلى نفسه، وولاه الإمارة، وأقطعه أرضاً خراجية، وجعله من ندمائه.[2]

(٦) ـ السلطان علاء الدين محمد شاه الأول الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م)

ويعتبر عصر السلطان علاء الدين الخلجي من أزهى عصور سلطنة دهلي الثقافية والعلمية، حيث كانت العاصمة دهلي حافلة بصفوة من أجلّة الأساتذة وعظام العلماء وقد عبر المؤرخ ضياء الدين البرني (ت. ٧٦٠هـ/١٣٥٩م) عن ذلك بقوله: «إن كل واحد منهم كان وحيد العصر في جميع الفنون من المنقولات والمعقولات».[3]

وقد امتازت شخصية السلطان علاء الدين الخلجي بسمات ميزته بين سلاطين دهلي حيث اعتنق مبدأ عدم تدخل الشريعة في أحكام وضوابط السلطنة، وأن تلك الأحكام والضوابط إنما تتعلق بالملوك وحدهم، أما فض الخصومات والفصل في القضايا وطرق العبادات فأمر يخص القضاة والعلماء.[4]

وقد انعكس ذلك على نوعية قراراته، حيث كان يفعل كل ما يرى أن فيه إصلاح للملك، بغض النظر عن شرعيته أم لا كما لم يسمح للعلماء بالتواجد في مجلس حكمه أو مائدته، باستثناء القاضي مغيث الدين البيانوي (من رجال القرن الثامن الهجري) والذي كان أحد كبار الفقهاء الحنفية في بلاد الهند في تلك الفترة، حيث اتخذ مكانه في مجلس السلطان الخاص،[5] ورغم تمسك علاء الدين الخلجي بمبدأه في الفصل بين

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١١٣ - الندوي، المرجع نفسه، ج١، ص ١٦١.

(٢) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٤٨-٤٩.

(٣) ضياء الدين البرني، تاريخ فيروزشاهي، طبعة كلكته ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، ص ٣٥٢-٣٥٣ - الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٤٥-١٤٦ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص٩.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٣٤.

(٥) الهروي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٤ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٦٦.

الحكم والشريعة، إلا أن تقديره الشديد للقاضي الجليل مغيث الدين البيانوي جعله يكسر قاعدته، ويقرر سؤاله في عدة مسائل تتعلق بشئون الملك، وقد صدقه القاضي الجواب، وهو يعلم أن غضبة السلطان قد تودي بحياته، حتى أنه بعدما أبدى رأيه الذي أوضح فيه عدم مشروعية كثير من أفعال السلطان، كإنفاقه على حريمه وحشمه وإنعاماته من بيت المال، وكذلك شدته وعنفه مع مخالفيه، قام ووضع رأسه على الأرض ظناً منه بأن السلطان سيأمر بقتله، إلا أن السلطان رغم غضبه أرسل يطلبه في اليوم التالي ولاطفه كثيراً وأنعم عليه بحلة وأموال جزيلة، وقال له: «أنا مسلم لكن كل هذه الشدة والعنف الذين يظهران مني من أجل صلاح الملك، ولا أعلم ماذا سيحدث لي غداً يوم القيامة».[1]

وقد نال كثير من علماء الهند شرف تكريم السلطان علاء الدين الخلجي وإنعاماته، ومن أشهر هؤلاء:-

الشيخ أبو الفتح ركن الدين محمد بن زكريا الملتاني، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند ومن كبار المتصوفة، ولد بملتان فى عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، وكان يحضر إلى دهلي بتكليف من السلطان علاء الدين الذي كان يعتقد في فضله، ويستقبله بالترحيب والإكرام، وكان يمنحه يوم وصوله مائتي ألف دينار، ويوم رحيله خمسمائة ألف دينار، وكان الشيخ يقبلها ويوزعها على أهل الحوائج في يوم واحد، وقد توفي ليلة الجمعة تاسع جمادى الأولى سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ودفن بملتان.[2]

الشيخ ظهير الدين الأعرج الدهلوي (من رجال القرن الثامن الهجري)، وكان أحد الأساتذة الأجلاء في عصر السلطان علاء الدين الخلجي، ممن درسوا وأفادوا بالحاضرة دهلي لفترة طويلة وكان ممن قربهم السلطان من العلماء ويدعوه إلى مائدته.[3]

وقد تعددت مظاهر اهتمام السلطان علاء الدين الخلجي بالعلم والعلماء والحياة الثقافية ككل، حيث شيدت في عهده كثير من المساجد والمدارس وكلها تمثل صوراً من الفن المعماري الإسلامي، ولعل أبرز هذه المنشآت (مدرسة علاء الدين الخلجي)، والتي توجد في الجهة الجنوبية الغربية من دهلي في أطراف المدينة بمنطقة قطب منار،

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٣٤-١٣٦ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٦٦-١٦٩.

(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦-٧.

(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٦٧.

ويرجع تاريخ إنشاء هذه المدرسة إلى سنة ٧١٠هـ/١٣١١م، وكانت مخصصة لدراسة العلوم الدينية والحديث الشريف، والفقه الإسلامي، وقد قام السلطان علاء الدين الخلجي بتشييدها بجوار ضريحه كنوع من التقرب إلى الله.[١]

(٧) السلطان غياث الدين تغلق شاه (٧٠٢-٧٢٥هـ)/(١٣٢٠-١٣٢٥م)

وهو أول سلاطين آل تغلق الذين حكموا سلطنة دهلي في الفترة (٧٢٠-٨١٦هـ)/(١٣٢٠-١٤١٣م)، وقد ذكر صاحب طبقات أكبري أنه كان عادلاً، كريماً، حازماً، وكان ينعم على جميع العلماء والمشايخ ويعظمهم تعظيماً بالغاً، وكان يطلع على أخبار الزاهدين ويتفقد أحوالهم، ولعل قصر فترة حكمه التي لم تتجاوز الخمسة أعوام أدت إلى عدم توفر المزيد من الأخبار عن جهوده في مجال الاهتمام بالعلم والعلماء.[٢]

(٨) السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م)

وقد خلف السلطان غياث الدين في حكم سلطنة دهلي ولده السلطان محمد تغلق شاه الثاني، الذي أجمع المؤرخون على أنه من الشخصيات التي جمعت بين العديد من المتناقضات، فهو إلى جانب كونه إدارياً بارزاً، وحاكماً قوياً ذا مهابة وجلال، إلا أنه كان من عجائب الزمن وسوانح الدهر في بذل الأموال الطائلة وتكريم العلماء والغرباء[٣] الوافدين على دهلي من التجار والسفراء وغيرهم إلى حد الإسراف الذي أضر بخزانة السلطنة، زاد منه أيضاً طموحاته العسكرية للتوسع شمالاً، ومحاولاته لقمع كثير من محاولات التمرد، التي أدى إليها الانفلات الأمني، والذي أدى بدوره إلى أخذ بعض الولايات في الانفصال عن سلطان دهلي.[٤]

ورغم ما ميز عصر هذا السلطان من متناقضات كما سبق وأشرنا، إلا أنه كان شديد

(١) أحمد رجب محمد علي، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، ص ٤٣-٤٦ - إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٦٨.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٦٣ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٩٩-١٠١ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٢٨.

(٣) أمر السلطان محمد تغلق شاه الثاني أن يُدعى الغرباء الوافدين على دهلي بالأعزة وقال: "إن الإنسان إذا دُعي غريباً انكسر خاطره وتغير حاله"، وكان يؤثر الأعزة على أهل الهند ويقربهم ويجزل لهم الإحسان - والأمثلة على ذلك كثيرة - للمزيد: ابن بطوطة، الرحلة، ص ٤٧٣-٤٧٧.

(٤) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٢٩ - النمر، المرجع السابق، ص ١٣٠.

الاهتمام بالعلوم والفنون وأربابها، وكان هو نفسه حافظاً للقرآن الكريم، عالماً بفقه الحنفية، ويحفظ كتاب الهداية في الفقه، وكان حريصاً على اقتناء المصنفات العلمية القيمة، حتى أن رجلاً أعجمياً أهداه كتاب «الشفاء» لابن سينا (ت. ٥٦٠هـ/١١٦٥م) بخط ياقوت الحموي (ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) في مجلد واحد، فكافأه على ذلك بأموال طائلة،[١] كما كانت له موهبة مناسبة في النظم والنثر، وماهراً في علم التاريخ، ومغرماً بعلوم الحكمة والمعقولات، فكان يكثر من مجالسة علماء الفلسفة والمنطق، حتى تأثر بصحبتهم وممارستهم للعقليات، واستقر في خاطره أن الحق منحصر في العقلانية، وكان يقبل من النقليات ما يوافق العقليات، وإن كان على الرغم من ذلك مطيعاً، ومعتقداً في الخليفة العباسي، ومتمسكاً بضرورة مباركة الخليفة العباسي لحكمه وإلا فلا شرعية له.[٢]

وقد وصفت لنا مصادر التاريخ الإسلامي كيف حفل بلاط محمد تغلق شاه الثاني بالعلماء وأرباب الأقلام، ويكفي ما ذكره القلقشندي (ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م) في حديثه عن بلاطه من أنه: «له وزير عظيم، وأربعة «كتاب سر»[٣]، يسمى كل واحد منهم «دبيران»، ولكل منهم تقدير ثلاثمائة كاتب، ... وله ألف طبيب، ومائة طبيب... وألف شاعر بالعربية والفارسية والهندية».[٤]

وكان ابن بطوطة قد أسهب في ذكر أخبار هذا السلطان، حيث كان شاهداً على ثمان سنوات كاملة من حكمه لسلطنة دهلي، وكان من جملة ما ذكره من أخباره، رعايته وحفاوته بالعلماء من شتى أرجاء العالم الإسلامي، وكان ابن بطوطة نفسه من جملة هؤلاء، فنال الرعاية والإحسان والعطايا الجزيلة من السلطان، الذي عينه قاضياً لدار الملك دهلي، وجعل له راتباً بلغ اثني عشر ألف دينار في السنة وريع خمس قرى.[٥]

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٥ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٣٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٥ - الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٦٨ - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٣٣.

(٣) كتاب السر: كاتب السر هو الذي يجالس السلطان في مقر جلوسه ويأتي ترتيبه في المقام الأول بين طبقات الكتاب، وكانوا يركبون مع السلطان في المراكب - أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ١٣٧ - مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٣٦٣.

(٤) القلقشندي، المصدر السابق، ج٥، ص ٩٢ - إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٤٧.

(٥) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٥٢٣-٥٢٥.

كما يذكر ابن بطوطة أن أم السلطان وتدعى المخدومة جهان أهدته بأحسن أنواع الأقمشة الحريرية المذهبة، ومدت له ولمن معه أسمطة الطعام.[1]

وقد وصف ابن بطوطة مكانة العلماء في مجلس السلطان، وذكر كيف أنه يقف في الميمنة والميسرة بطول المشور، قاضي القضاة ويليه خطيب الخطباء، ثم كبار الفقهاء ثم كبار الشرفاء والمشايخ ثم إخوة السلطان وأصهاره، ثم الأمراء الكبار ثم كبار الأعزة.[2] أي أنه قدم العلماء والمشايخ على إخوته وأصهاره وكبار الأمراء، ثم أفرد ابن بطوطة مساحة كبيرة من رحلته للحديث عن كرم السلطان وجوده وعطاياه الجزيلة للعلماء، سواء من حفل بهم بلاطه أو أولئك الذين وفدوا على بلاد الهند من شتى أرجاء العالم الإسلامي.

حيث يروي أنه قد صاحبه أحد الفقراء من أهل مدينة «غرناطة»[3]، يسمى علي بن حجر الأموي، خلال رحلته من الشام إلى المدينة الشريفة، وأن هذا الرجل قد روى له رؤية رآها في نومه، إذ رأى قائلاً يقول له: اسمع مني واحفظ عني :-

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه ... وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبة

أمنتم به يوم الميعاد من الرجس ... فطوبى لمن يضحي بطيبة أو يمسي[4]

وقد جاور هذا الرجل بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى مدينة دهلي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م ونزل في جوار ابن بطوطة، الذي ذكر رؤياه تلك بين يدي ملك الهند، فأمر الأخير بإحضار الرجل، فأحضر بين يديه وحكى له ذلك، فأعجبه واستحسنه، وأمر بإنزاله وإعطائه ثلاثمائة «تنكة»[5] من الذهب، وفرساً محلى بالسرج واللجام، وخلعة، كما

---

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٥١٥-٥١٧.

(٢) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

(٣) غرناطة: أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس، ومعنى غرناطة رمانة بلسان معجم الأندلس، سمي البلد بذلك لحسنه، وهي أعظم وأحسن وأحصن مدن الكورة، يشقها النهر المعروف بنهر قلزم قديماً ثم عرف باسم نهر حدرة، بينها وبين البيرة ٤ فراسخ، وبينها وبين قرطبة ٣٢ فرسخاً - أنظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤٧.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١٤٦.

(٥) التنكة عملة من عملات الهند، ووزن التنكة ديناران ونصف دينار من دنانير المغرب - ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ١٤٧.

عين له راتباً في كل يوم.[1]

والأمثلة على كرم هذا السلطان واهتمامه وحفاوته بالعلم والعلماء عديدة سنذكر منها إكرامه للشيخ أحمد بن يحيي المنيري (الشيخ الإمام شرف الدين البهاري)، أحد مشاهير الأولياء، الذي ولد في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م، وكان ممن اتفق على ولايته وجلالته وبلوغه درجة الاجتهاد، حتى بنى له محمد تغلق شاه خانقاهاً رفيعاً، وأمره أن يقيم به فامتثل، ونشر ما منحه الله من علوم وأسرار الكتاب والسنة، ومن مصنفاته «الأجوبة»، «الفوائد الركني»، و«إرشاد الطالبين»، و«إرشاد السالكين»، و«معدن المعاني»... «العقائد المشرفية»، و«شرح آداب المريدين» في عدة مجلدات، وقد توفي ليلة السادس من شوال من عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م في عهد السلطان فيروزشاه التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/ (١٣٥١-١٣٨٨م).[2]

كما كان السلطان محمد تغلق شاه الثاني معتقداً في فضل وكرامة الشيخ صدر الدين الكهراني الدهلوي، وكان من كبار رجال التصوف، وكان على حد ذكر ابن بطوطة «يصوم الدهر ويقوم الليل وتجرد عن الدنيا جميعاً ونبذها»،[3] وكان السلطان وكبار رجال الدولة يقومون بزيارته، وربما احتجب عنهم، فرغب السلطان أن يقطعه قرى يطعم منها الفقراء والواردين فأبى، فما كان من السلطان إلا أن زاره يوماً ومنحه عشرة آلاف دينار.[4]

وقد وفد على بلاط محمد تغلق شاه الشيخ المحدث الفقيه عبد العزيز الأردبيلي من كبار المحدثين بدمشق، فأكرمه السلطان وضمه إلى مجلسه، وحدث أن سأله السلطان يوماً عن حديث، فسرد له الشيخ عبد العزيز أحاديث كثيرة في ذلك المعنى، فأعجبه حفظه، وحلف له برأسه أنه لا يغادر مجلسه حتى يفعل ما يراه، ثم سرد عليه الشيخ أحاديث في كرم العباس عم الرسول (صلعم) وابنه رضي الله عنهما وشيئاً من مآثر الخلفاء أولادهما، فأعجب السلطان ذلك لحبه في بني العباس فما كان منه إلا أن قبل قدمي الفقيه[5]. وأمر

---

(١) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٨-١٠.

(٣) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٤٢.

(٤) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٤٤٢-٤٤٣ - الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢.

(٥) رغم غرابة هذا التصرف وصعوبة تقبل صدوره من سلطان على عرش دهلي، إلا أن السمات

بإحضار صينية من ذهب، وأمر أن يؤتى فيها بألف دينار من الذهب، وحينها أخذها السلطان بيده وصبها عليه قائلاً: «هي لك مع الصينية»[1].

وقد كان الشيخ الفاضل علم الدين الحكيم الشيرازي، أحد العلماء البارزين في العلوم الحكمية وله شهرته وبراعته في الصناعة الطبية، فقربه السلطان محمد تغلق شاه، وجعله نديماً له، بل وكان يذاكره في العلوم[2].

كما كان الشيخ الفاضل معين الدين العمراني ممن شملهم فضل وكرم السلطان محمد تغلق شاه الثاني، وكان الشيخ المذكور من كبار علماء المنطق والكلام والفقه والأصول والمعاني والبيان، وكان يصرف جميع أوقاته في الدرس والإفادة، وقد أرسله السلطان محمد تغلق إلى القاضي عضد الدولة الإيجي بشيراز، وحمله بالهدايا إليه ملتمساً قدومه إلى دهلي إلا ان السلطان أبو إسحاق الشيرازي منعه من القدوم إلى الهند،[3] ورغم عدم قدوم القاضي عضد الدولة إلى بلاط محمد تغلق شاه إلا أنه أرسل إليه عشرة ألاف دينار دراهم صحبة أحد الشيوخ وهو الشيخ زاده الدمشقي، وهو ما ينهض دليلاً على تقديره لأرباب العلم خارج وداخل السلطنة على حد سواء، وللشيخ العمراني مصنفات جليلة منها شروح وتعليقات على «كنز الدقائق» و«الحسامي» و«مفتاح العلوم»[4].

وفي مثال آخر على مدى تقدير هذا السلطان للعلم والعلماء ومبالغته الشديدة في هذا الأمر في أحيان كثيرة، ما كان من قدوم الشيخ الواعظ ناصر الدين الترمذي - من كبار علماء الفقه - إلى بلاطه، وقد أقام تحت إحسانه مدة عام، وكان السلطان قد أعطاه فور قدومه مائة ألف دينار دراهم ومائتين من العبيد، وعندما أراد الشيخ العودة إلى بلاده واستأذن السلطان في ذلك سمح له بالرحيل بعد أن يسمعه ويسمع وعظه قبل رحيله، ثم أمر السلطان أن يهيأ له منبر من الصندل الأبيض وجعلت مساميره وصفائحه من الذهب، وألصق بأعلاه حجر ياقوت عظيم، وخلع عليه بعباءة سوداء مذهبة ومرصعة بالجوهر،

الشخصية لهذا السلطان وما اتصف به من طباع متناقضة وتصرفات غريبة تجعل مثل هذا التصرف يدخل في نطاق شطحاته العديدة.

(١) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ٢٢٥، ص٤٧٥ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٦٨-٦٩.

(٢) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٨٥-٨٦.

(٣) ويأتي هذا في إطار التنافس بين ملوك هذا الزمان في اجتذاب العلماء، وجعل مجالس الحكم ترقى إلى درجة مجالس العلم.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٧٦ - القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٦٥.

وعمامة كذلك، ثم جلس السلطان على سريره وانتظم الخواص عن يمينه ويساره ثم القضاة والفقهاء والأمراء كل في مجلسه، ثم صعد الشيخ على المنبر وألقى خطبة عظيمة ووعظ وذكر، ولما نزل عن المنبر قام السلطان إليه وأركبه على فيل وأمر جميع من حضر أن يمشوا بين يديه وكان ابن بطوطة من جملة هؤلاء الحاضرين[1].

وكان الفقيه شمس الدين الأندكاني* حكيماً شاعراً، فمدح السلطان بقصيدة باللسان الفارسي، بلغ عدد أبياتها سبعة وعشرون بيتاً، فأعطاه السلطان عن كل بيت منها ألف دينار دراهم[2].

ورغم ما عرف عن هذا السلطان من بطشه وغضبته المهلكة وسهولة سفكه للدماء، إلا أنه - ولفرط تقديره لمكانة بعض العلماء والمشايخ - قد أظهر بعض اللين والتسامح في بعض المواقف لعل أبرزها عندما قام بإخماد ثورة أحد الخارجين عليه في الملتان ويدعى «بهرام ابيه» وأراد أن يقتل من أهالي الملتان كل من وافقوه في تمرده، فتشفع شيخ الإسلام الشيخ ركن الدين بن شمس الدين بن بهاء الدين زكريا القرشي للمذنبين، وقبل السلطان شفاعته وعفا عنهم وعاد إلى دهلي[3].

وقد توفي السلطان محمد تغلق شاه الثاني إثر مرضه في الحادي والعشرين من المحرم من عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م بعد حكم دام ما يقرب من سبعة وعشرين عاماً.

٩) السلطان جلال الدين فيروزشاه التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م)

ولد في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وتولى السلطنة - بعد وفاة ابن عمه السلطان محمد تغلق شاه الثاني الذي لم يعقب - في ٢٤ محرم من عام ٧٥٢هـ/١٣٥١م وله من العمر ثلاثة وأربعين عاماً، وقد كان زاهداً في الحكم، وأراد أن يؤدي فريضة الحج، ولكنه عاد وقبله بعد إلحاح من الصدور والقضاة والفقهاء، وقد أولى السلطان فيروزشاه الثالث التغلقي عناية واهتماماً كبيراً بالنواحي الحضارية[4]، في مملكته، وخاصة النواحي الثقافية والعلمية، التي أولاها عناية واهتماماً خاصاً.

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٤٧٥.

(٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٧٦.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٧١.

(٤) أسس فيروزشاه التغلقي مدينة كبيرة قرب دهلي في عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤ وأسماها فيروزآباد، كما أسس مائة قصر ومائة مقبرة وعشر حمامات ومائة جسر ومائة وخمسين بئراً وألفاً ومئتي حديقة بناحية دهلي وحدها.... إلى غير ذلك، أنظر: الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١١١.

ففي عهده تم تشييد أربعين مسجداً، وعشرين زاوية، وخمسين مارستاناً. كما أسس المدرسة الفيروزية على الحوض الخاص بدهلي، التي وصفت بأنها جامعة بين الحسن والحصانة، كما بلغت جملة الأرزاق المخصصة للعلماء والمشايخ في عهده ما يقرب من الثلاثة ملايين وستمائة ألف تنكة.[١]

وقد ضرب السلطان فيروزشاه التغلقي مثلاً يُحتذى في التسامح الديني، وفصل بين انتمائه العقائدي وبين رغبته في الاستفادة من علوم أصحاب الديانات الأخرى، ففي أثناء فتحه لمقاطعة نكركوط، علم بأن أحد معابد الوثنيين - ويسمى معبد «جوالامكهي» - مكتبة تضم ألف وثلاثمائة من كتب البراهمة العتيقة، فجمع السلطان عدداً من علماء هذه الطائفة، وأمرهم بترجمة بعض هذه الكتب من السنسكريتية إلى الفارسية، وكان منها كتباً في الرياضيات والنجوم والأدب والموسيقى.[٢]

وعلى جانب آخر، صنف له علماء زمانه عدداً من المصنفات بأمره أيضاً وتوجيهاته، حيث نظم له أعز الدين خالد خاني - وكان من شعراء عصره البارعين - كتاباً في الحكمة الطبيعية والسواكن والتفاؤل أسماه بـ «دلائل فيروزشاهي»، كما ترجم له الشاعر نفسه وبأمر منه أيضاً كتاباً من السنسكريتية أسماه «عروض موسيقى».[٣]

كما صنف له القاضي «ضياء الدين البرني» (ت. ٧٦٠هـ/١٣٥٩م) تاريخاً لملوك دهلي أسماه «تاريخ فيروزشاهي»، ضمنه تاريخ سلطنة دهلي منذ عهد بلبن حتى عهده.[٤]

وللسلطان فيروزشاه الثالث التغلقي كتاباً في الرياسة والسياسة، صنفه بنفسه وأمر بأن ينقشوه في الأحجار، خاصة في منارة الجامع الكبير بفيروزآباد دهلي، وقد أطلق على مصنفه هذا اسم «فتوحات فيروزشاهي» ليعد بذلك السلطان فيروزشاه من سلاطين دهلي القلائل الذين كان لهم إسهام شخصي في مجال التصنيف والكتابة.

ويتكون مصنفه هذا من ثمانية أبواب ضمنها الآتي :-

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١١٠-١١١ - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٣٦.
(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٩٣ - الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٢.
(٣) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٣ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١١٢ - النمر، المرجع السابق، ص ١٣٨.
(٤) الندوي، نفسه، ج٢، ص ١١٢ - النمر، المرجع نفسه، ص ١٣٨.

الأول: كتب فيه أوقاف المسجد[١] وسبب شهرته، وأكد في فصل آخر أنه في الأزمنة السابقة كانت تراق دماء المسلمين لأقل جريمة، ثم عدد أنواع التعذيب، وذكر أنه أنهى كل هذه الأمور، كما ذكر أنه قد أسقطت من الخطبة أسماء السلاطين السابقين الذين صارت بلاد الهند داراً للإسلام بجهودهم،[٢] وأنه يحيي أسماءهم ويعيد إدخالها في الخطبة ثانية حتى تكون الفاتحة رحمة لهم على الدوام.[٣]

وذكر في فصل آخر: «أخرجت من ولايتي أصحاب المذاهب السيئة الملحدين، والمبتدعين والمرائين لأنهم ضللوا الخلق، ودرست رسومهم وعاداتهم وكتبهم».[٤]

ومن أهم ما ذكر في كتابه أنه حدد ما كان قد اندرس عن السلاطين السابقين من مسجد وخانقاه ومدرسة وبئر وحوض وجسر وقصر وجدد الأوقاف، ثم عدد كثير من إنجازاته التي رمى بها إلى استقرار السلطنة، وتحقيق الرخاء والعدالة لرعيته.[٥]

ومن إبداعات هذا السلطان العلمية وما يعد نادرة من نوادر هذا العصر أنه اخترع ساعة عجيبة يخرج في كل ساعة منها صوت عجيب يترنم بهذا البيت :-

هر ساعتي كر بردرشه طاش ميزنند
نقصان عمر مي شودآن يادمي دهند

ومعناها :-

كلما دقت الساعة تعلمني أنه قد نص من العمر ساعة.[٦]

وكانت تستخرج من تلك الساعة أوقات الليل والنهار ووقت إفطار الصوم وكيفية الإظلال وزيادة اليوم ونقصانه باعتبار الفصل، وقد نصب تلك الساعة بمدينة فيروزآباد.[٧]

(١) يقصد أوقاف المسجد الكبير الذي أنشأة بفيروزآباد دهلي.
(٢) كان السلطان محمد تغلق شاه الثاني قد أمر بإسقاط السلاطين الذين لم يحصلوا على التفويض الشرعي بالحكم من الخلافة العباسية من خطبة الجمعة، فأعادها فيروزشاه التغلقي، أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٧٧.
(٣) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٧.
(٤) الهروي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٨.
(٥) الهروي، نفسه، ج١، ص ١٩٨.
(٦) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١١٢.
(٧) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١١٢ - النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٣٨.

وإضافة لما سبق، فقد تجلى اهتمام فيروزشاه التغلقي بالعلم والعلماء في اصطفائه لعدد من العلماء والمشايخ، وتقريبهم إلى نفسه ومجلسه، وشمولهم بالرعاية والعطايا الجزيلة وقد أمدتنا مصادر التاريخ الإسلامي بأسماء بعض من نالوا تلك الحظوة لدى السلطان ومنهم:-

الشيخ أحمد بن خسرو بن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي (وهو من رجال القرن الثامن الهجري)، ولد ونشأ بدهلي، كان ذا قدر عظيم لدى الملوك والأمراء، حتى جعله السلطان فيروزشاه التغلقي نديماً له .[1]

الشيخ الإمام عبد العزيز شمس الدين بن بهاء الدين النوري الدهلوي، أحد العلماء البارزين في العلوم الحكمية، وله مصنفات منها «تاريخ فيروزشاهي»، كما قام بترجمة عدد من الكتب من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفارسية بأمر من السلطان فيروزشاه، منها كتاب كان يتكون من مائة وأربعة أبواب، ترجمه إلى الفارسية وأسقط منه ثمانية أبواب، لأنها كانت تتعلق بالنجوم وأحكامها، أما ما ترجم من أبواب فقد تضمن أحكام الكسوف[2] والخسوف[3]، وكائنات الجو وعلامات المطر، وعلم القيافة والفأل وغيرها.[4]

القاضي مظهر الدين الكروي الحنفي الصوفي، كان أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال، وكان شاعراً مجيد الشعر، له أبيات رقيقة، وكان من ندماء السلطان فيروزشاه وله منزلة عالية لديه .[5]

ولعله من المناسب في ختام الحديث عن هذا السلطان أن نذكر كيف كان لفرط ورعه وخشيته يأنف عن سفك الدماء، وقد عبر عن إخلاصه لسلفه وابن عمه محمد تغلق شاه الثاني، بأن قام بتعويض أبناء وورثة كل من عوقب بالقتل أو التعذيب أو تقطيع الأعضاء في عهده، فأنعم عليهم بالأنعام والوظائف، ثم أخذ منهم براءة لذمة السلطان

---

(١) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص٨.

(٢) الكسوف: ظاهرة فلكية خاصة بالشمس، فيقال كسفت الشمس، والكسفة هي القطعة من الشئ والمقصود ليست تكسف ضوء النجوم مع طلوعها لقلة ضوئها – أنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٥٠.

(٣) الخسوف: ظاهرة فلكية خاصة بالقمر، وخسف القمر خسوفاً أي ذهب ضوءه. أنظر: الرازي، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٤) الندوي، المرجع نفسه،ج ٢، ص ٦٨.

(٥) الندوي، نفسه ،ج٢ ، ص ١٧٠.

وقام بختمها بخاتم الأكابر والأمراء ثم أودعها مقبرته في تصرف ينم عن شدة الإخلاص، ونقاء السريرة[1]. وقد توفي السلطان فيروزشاه التغلقي في الثالث عشر من رمضان من عام ٧٩٩هـ/١٣٩٧م، عن عمر يناهز التسعين عاماً .[2]

(١٠) السلطان بهلول لودي (٨٥٥ـ٨٩٤هـ)/(١٤٥١ـ١٤٨٨م)

يذكر المؤرخين بكل التقدير والاحترام السلطان بهلول لودي، من حيث أخلاقه وسيرته، ومعاملته للناس، لا سيما العلماء والشيوخ، وتواضعه مع رعيته كأنه واحد منهم، وكان يجالس العلماء ويذاكرهم في مسائل الشريعة، ويبذل جهده في إتباع النبي (صلعم)،[3] ومن مظاهر تقديره للعلم وأربابه، ما كان من استقباله للشيخ الفقيه عبد الله يوسف القرشي الملتاني (ت. ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م) – وهو أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، وكان مسئولاً عن الخانقاه وحراسة روضة الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني (أي ضريحه) في الملتان – صاحب المكانة العالية في نفوس أهالي الملتان، ونظراً لمكانة الشيخ يوسف الملتاني تلك وخدمته لضريح الشيخ زكريا الملتاني، فقد ارتضاه أهالي الملتان حاكماً عليهم، ثم حدث أن استولى السلطان قطب الدين (٨٤٥–٨٦١هـ)/ (١٤٤١–١٤٥٧م) على الحكم وسمح للشيخ يوسف بالخروج من البوابة الشمالية الواقعة قرب مزار شيخ الإسلام بهاء الدين زكريا الملتاني إلى دهلي، ثم أمر بسد تلك البوابة، ووصل الشيخ يوسف إلى دهلي، واستقبله السلطان بهلول لودي بالإعزاز والإكرام، وزوجه ابنته، وتلقب الشيخ يوسف بـ«الشيخ عبد الله» واشتهر بعد ذلك بشاه عبد الله، وعاش في دهلي حتى توفي في ٢٣ من صفر من عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م .[4]

(١١) السلطان نظام خان (اسكندر الثاني) ابن بهلول اللودي (٨٩٤ـ٩٢٣هـ)/ (١٤٨٩ـ١٥١٧م):

وقد تولى السلطان اسكندر الثاني اللودي سلطنة دهلي خلفاً لأبيه السلطان بهلول، وقد وصفه مؤرخي تلك الفترة بأنه كان تقياً، عالماً، محسناً، متواضعاً، يحب العلماء ويكرمهم، حتى إنه اغتنم فرصة قدوم الشيخ عبد الله العثماني التلنبي الملتاني ثم

---

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٩٨ – النمر، ت. الإسلام في الهند، ص ١٣٥.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١١٢.

(٣) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٤٣ – النمر، المرجع السابق، ص ١٤٨–١٤٩.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٣٥–٣٣٧ – الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٩٨.

الدهلوي (ت. ٩٢٢هـ/١٥١٦م) إلى دهلي، فقربه إليه وجعله ملك العلماء.(١)

كما كانت لديه رغبة تامة في سماع المناقشات العلمية، حتى أنه يروى أن هندوكياً اسمه لودهن أقر أمام بعض المسلمين أن الإسلام حق وأن ديانته الهندوسية أيضاً حق، وشاع هذا الكلام عنه حتى وصل إلى مسامع العلماء في ولاية لكهنوتي وتضاربت الفتاوى بشأن هذا الهندوكي، فقام حاكم الولاية ويدعى أعظم همايون بإرسال الهندوكي المذكور مع قاضي الولاية إلى السلطان، الذي استدعى العلماء والمشاهير من كل ناحية للنقاش بشأن هذا الهندوكي واتفق العلماء على أن يحبسوه، ويعرضوا عليه الإسلام، فإذا رفض قتل، فأبى الهندوكي الدخول في الإسلام، فقتل، وأنعم السلطان على العلماء المشاركين في هذا الأمر ثم سمح لهم بالسفر إلى بلادهم.(٢)

وكان يتعصب للإسلام إلى درجة الإفراط، حتى أنه بعد فتحه لقلعة «ترور» من توابع مملكة مالوه، قام بتحطيم المعابد وأمر ببناء المساجد ثم عين العلماء والطلبة في الوظائف وأقر لهم الدخول.(٣)

كما أقام في «متوره» قصراً وسوقاً ومسجداً ومدرسة، وقد ازدهر العلم في عصره واهتم أولاد الأمراء والعسكريون أيضاً باكتسابه.(٤)

ومن أبرز ما ذكر المؤرخون عن السلطان اسكندر الثاني اللودي أنه كان يقرض شعراً فارسياً سلساً بسيطاً.(٥)

وتوفي السلطان اسكندر الثاني اللودي في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م بعد حكم دام ما يقرب من الثلاثين عاماً.

وهكذا تناولنا فيما سبق مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين دهلي بالعلم والعلماء في بلاد الهند وخارجها، سواء لعلماء الهند أو هؤلاء الوافدين عليها.

ولعل من نافلة القول في هذا المقام، أن نشير إلى أن اقتراب العلماء من دائرة الحكم

(١) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢٢٠-٢٢١ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦٦ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٤، ص ٤-٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٢٥٥.

(٣) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٥٩، ص ٢٦٣.

(٤) الهروي، نفسه، ج١، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٥) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٢٦٦.

والنفوذ والسلطة وملازمتهم للملوك والسلاطين في مجالسهم وإطلاعهم على تفاصيل ودقائق الحياة السياسية كان له توابع أخرى، ففي الوقت الذي نال فيه كثيرون من أرباب العلم العطايا والإنعامات الجزيلة من سلاطين دهلي، شاء الحظ العاثر للبعض الآخر، أن يصطلي بجحيم بطشهم وعسف بعضهم، لا لشئ إلا لأنهم خالفوا هوى هؤلاء السلاطين، أو صدقوهم النصح والإرشاد، والأمثلة على ذلك عديدة، إلا أن أبرز الفترات التي تعرض فيها العلماء للبطش والتنكيل كانت هي أيضاً فترة حكم السلطان محمد تغلق شاه الثاني، والذي سبقت الإشارة إلى غرابة طباعه وتناقضات شخصيته التي جمعت بين التواضع واللين في أحيان وبين العنف والبطش الشديد في أحيان أخرى.

ومن أبرز وقائع تنكيله بالعلماء ما فعله بالشيخ علي الحيدري، أحد الوافدين على بلاد الهند، دخل كنباية وذكره ابن بطوطة في رحلته وقال أنه كان عظيم القدر، شهير الذكر، بعيد الصيت، يسكن على ساحل البحر، وينذر له التجار بالبحر النذور الكثيرة، وحدث أن ناصر الشيخ الحيدري أحد المخالفين للسلطان محمد تغلق شاه ويدعى القاضي جلال الدين الأفغاني، والذي خرج هو وقبيلته على السلطان بمدينة كنباية، الذي بلغه مناصرة الشيخ علي الحيدري له، فلما خرج السلطان إليهم بنفسه ووقعت الهزيمة على القاضي جلال الدين كلف السلطان رجاله بالبحث عن المخالفين وأنصارهم، ومنهم الشيخ علي الحيدري الذي ثبت أنه دعا للقاضي جلال الدين وأيد تمرده، وقد اصطحب السلطان محمد تغلق شاه معه جمعاً من الفقهاء الذين يحكم بقولهم، فحكموا بقتله، فضرب عنقه بالسيف.(١)

وفي مثال آخر على تنكيل محمد تغلق شاه الثاني بالعلماء ما كان من أمره بقتل الشيخ الفقيه عفيف الدين الكاشاني، الذي كان يدرس ويفيد بالحاضرة دهلي، ويروي ابن بطوطة في رحلته تفاصيل قصة قتله،(٢) وكيف أن السلطان أمر بأن يضربوا عنقه

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٩٢ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٨٦-٨٧.

(٢) يروي ابن بطوطة، أن السلطان في سنى القحط قد أمر بحفر آبار خارج دار الملك وأن يزرع هنالك زرع وأعطى الناس البذور وما يلزم للزراعة من النفقة وكلفهم زرع ذلك للمخزن فبلغ ذلك عفيف الدين فقال هذا الزرع لا يحصل المراد منه (لما به من قهر للمزارعين على العمل)، فوشي به إلى السلطان فسجنه وقال لأي شئ تدخل نفسك في أمور الملك ثم إنه سرحه بعد مدة، وفي طريقه إلى داره صادفه صاحبان من الفقهاء، فقال الفقيه عفيف الدين، الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، فبلغ قوله السلطان فأمر بقتله وقتل الفقيهين لأنهما سمعا كلامه ولم ينكراه عليه. أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٨٩-٤٩٠ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٧٩-٨٠.

«حمائل»[1]، بعد أن بلغه أنه وصفه بالظلم والجور.[2]

أما الشيخ العالم الصالح عماد الدين الحنفي الغوري، فقد ذهب ضحية تعصبه لدين الله حيث أمر محمد تغلق شاه الثاني بقتله وسبب ذلك، أن السلطان قال له يوماً من الأيام: «أن الفيوض الإلهية، لم تنقطع حتى اليوم، فإن ادعى أحد بالرسالة وصدرت عنه المعجزات، فتصدقه أم لا»، فاغتاظ عماد الدين ولم يملك نفسه ورد عليه بالفارسية رداً غليظاً، قبيحاً[3] فأمر محمد شاه أن يذبحوه ويخرجوا لسانه عن فمه ففعل به كما أمر.[4]

كما نكل السلطان محمد تغلق شاه بالشيخ الصالح شهاب الدين الجامي (ت. ٧٤١هـ/ ١٣٤١م)، الذي رفض العمل في خدمة السلطان وفضل الزهد والعزلة بل وامتنع عن المثول بين يدي السلطان رغم طلبه له أكثر من مرة، رغم تحذير رسل السلطان له من مغبة رفضه وأنذروه بطش السلطان، فما كان منه إلا أن رد على رسول السلطان له قائلاً: «لا أخدم ظالماً أبداً: فعاد رسول السلطان إليه وأخبره بذلك، وأمر السلطان أن يؤتى به وعندما حضر بين يديه كرر قوله، ثم عدد له مظاهر ظلمه وعسفه منها تخريبه لمدينة دهلي، وإخراجه أهلها فأمر السلطان به فقيد، وظل دون طعام أو شراب مدة أربعة عشر يوماً، أحضر خلالها في كل يوم أمام جمع من الفقهاء والمشايخ، حتى يرجع عن قوله، فرفض ويظل يعذب صنوف العذاب، وهو رافض العدول عن مقولته، حتى أمر السلطان بضرب عنقه في العام المذكور.[5]

وأخيراً فقد كان الشيخ شهاب الدين الزاهدي المشهور بـ «حق كو» أي الصادق، من كبار مشايخ عصره، وحدث أن جالسه السلطان محمد تغلق شاه يوماً وقال له: - «إن النبوة لم تنقطع كالولاية» فلم يملك شهاب الدين زمام غضبه، وخلع نعله ولطم به وجه السلطان، الذي أمر بأن يلقى في خندق محيط بأحد القلاع، فألقوه من القلعة مرتين فلم يقتل حتى توفي إثر سقطته الثالثة.[6]

(١) حمائل: أي قطع الرأس مع الذراع وبعض الصدر - ابن بطوطة ،المصدر السابق، ص ٤٩٠ - الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٨٠.

(٢) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص ٤٨٩-٤٩٠ - الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص٧٩-٨٠.

(٣) قال له بالفارسية (كه مخور) أي لا تأكل القذرة - أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج٢، ص ٩٤.

(٤) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٩٤.

(٥) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٨٨-٤٨٩ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٥٧-٥٩.

(٦) الندوي، المرجع السابق، ص ٦١.

وهكذا تناولنا مظاهر اهتمام سلاطين دهلي بالحياة الثقافية والعلمية في بلادهم وخارجها كما أبرزنا مظاهر حفاوتهم وإكرامهم للعلماء سواء من بلاد الهند أو من الوافدين عليها من شتى بقاع العالم الإسلامي ولاحظنا أنه كما نعم كثير من علماء الهند والوافدين عليها من أقطار العالم الإسلامي بكرم وجود السلاطين وأثرى البعض منهم من جراء ذلك ثراءاً كبيراً ،إلا أن البعض منهم قد اصطلوا أيضاً بنيران غضبهم وشدة بطشهم، بل ودفع كثير منهم حياته ثمناً لحماسته لعلمه، أو تعصبه لدين الله .

الباب الثاني

قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها

الفصل الأول

قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها

أ- قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند:

(١) مملكة كشمير (٧٣٥-٩٩٧هـ) / (١٣٣٥-١٥٨٩م).

(٢) مملكة البنغال (٧٣٧-٩٨٤هـ) / (١٣٣٦-١٥٧٦م).

(٣) مملكة الدكن البهمنية (٧٤٨-٩٣٤هـ) / (١٣٤٧-١٥٢٧م).

(٤) مملكة جونپور (٧٩٦-٨٨١هـ) / (١٣٩٤-١٤٧٦م).

(٥) مملكة مالوه (٨٠٤-٩٦٢هـ) / (١٤٠٢-١٥٥٥م).

(٦) مملكة كجرات (٨١٠-٩٨٠هـ) / (١٤٠٧-١٥٧٣م).

ب- أثر قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند على الحياة الثقافية والعلمية بها.

الفصل الأول

قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها

أ ـ قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند

شهدت شبه القارة الهندية تهديدات متواصلة من قبل جحافل المغول، والتي شنت غارات عديدة على شمال الهندوستان، خاصة إقليم السند، وذلك منذ عهد السلطان شمس الدين ألتمش (٦٠٧-٦٣٣هـ)/(١٢١١-١٢٣٦م)[1]، وقد كانت بلاد الهند من الأقطار القلائل التي استطاعت التصدي لهجمات المغول وأوقفت زحفهم، وذلك في بدايات عصر سلطنة دهلي وتحديداً منذ عصر دولة سلاطين المماليك[2] في الهند(٦٠٢-٦٨٩هـ)/(١٢٠٦-١٢٩٠م) بدءاً من عهد السلطان شمس الدين ألتمش، ثم أبناؤه، مروراً بالسلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م)، ثم السلاطين الخلجيين (٦٨٩-٧٢٠هـ)/(١٢٩٠-١٣٢٠م)، ثم في عهد آل تغلق (٧٢٠-٨١٧هـ)/ (١٣٢٠-١٤١٤م).

إلا أن هذه التهديدات المستمرة أدت إلى استنفاذ كثير من موارد سلطنة دهلي وثرواتها وطاقات وجهود حكامها، كما أدى تركيزهم على تأمين شمال شبه القارة الهندية ضد هجمات المغول إلى كثير من الانفلاتات الأمنية والاضطرابات الداخلية، التي استتبعها قيام العديد من حركات التمرد والعصيان ضد نفوذ وهيمنة سلطنة دهلي، نجح بعضها في تحقيق أهدافه في الانفصال، في حين تمكن سلاطين دهلي من إخماد البعض الآخر.

---

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٦٧ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٩٦-٩٧ - عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٠٩.

(٢) وهذا الدور الذي لعبته دولة المماليك في الهند في التصدى لغارات المغول، يتشابه إلى حد كبير مع الدور الذي اضطلعت به دولة المماليك في مصر (٦٤٨-٩٢٢هـ)/(١٢٥٠-١٥١٧م) في التصدي للمغول أيضاً ووقف زحفهم غرباً، أنظر: أحمد مختار العبادي، دولة سلاطين المماليك في الهند (أوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك في مصر)، ص ٦٥-٨٣.

ويُعتبر عصر السلطان محمد تغلق شاه الثاني، بداية ظهور مثل هذه الحركات الانفصالية بشكل جدّي، وكان أحد أهم بواعثها افتقار هذا السلطان إلى الحكمة السياسية والاقتصادية في إدارته لشئون دولته، حيث أدى ترفه وبذخه الشديدين سواء في الإنفاق على أبهة السلطنة والمنح والعطايا من جهة أو على مشروعاته وطموحاته العسكرية من جهة أخرى[1]، إلى إلحاق أبلغ الضرر بالخزانة السلطانية، الأمر الذي استتبع اتخاذ مزيد من الإجراءات الرامية إلى توفير الموارد اللازمة لتغطية تلك النفقات، منها فرضه لمزيد من الضرائب التي أثقلت كاهل رعيته وأججت مشاعر التمرد على حكمه والرغبة في الخروج على طاعته والاستقلال عن نفوذ دولته.[2]

وضاعف من هذه الحالة بطشه وقسوته الشديدة، وميله إلى سفك الدماء، وكذلك اتخاذه تدابير كان من شأنها الإضرار بالمكانة التاريخية لمدينة دهلي، فنجده يأمر بإخلاء دهلي حاضرة السلطنة من سكانها، وتهجيرهم جميعاً إلى مدينة دولة آباد، في هضبة الدكن جنوباً لا لشئ إلا لرغبته في معاقبة سكانها على سخطهم على حكمه وتعبيرهم عن رفض جوره برسائل ضمّنوها عبارات بسبه كانوا يُلقونها داخل أسوار قصره ويكتبونها على حوائط المدينة وأسوارها.[3]

وقد أدت حالة التخبط تلك في حكمه للبلاد إلى نجاح بعض أقاليم الهند في الانفصال عن سلطانه وبعد أن كان يحكم في بداية سلطنته نحواً من ثلاثين ولاية، لم يعد في دائرة نفوذه سوى ربعها تقريباً في نهايات عهده.[4]

---

(١) سعى محمد تغلق شاه إلى مد نفوذ سلطنة دهلي شمالاً على حساب ممتلكات ايلخانات فارس، وفي سبيل تحقيق هدفه هذا، سعى إلى عقد تحالف عسكري مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء ولايته الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ)/(١٣٠٩-١٣٤٠م)، وقد شجع محمد تغلق على مشروعه هذا علمه بسوء العلاقات بين المماليك في مصر وبين ايلخانات فارس، وبالفعل شجع الناصر محمد السلطان محمد تغلق على المضي قدماً في مشروعه هذا، حيث ظل هذا الأخير ينفق طيلة عام كامل على الجيش الذي أعده لهذا الغرض، ثم حدث أن تخلى الناصر محمد عن الأمر برمته إثر تحسن علاقاته بدولة إيلخانات فارس في عهد أبي سعيد بهادر خان (٧١٧-٧٣٦هـ)/(١٣١٧-١٣٣٥م) فتخلى محمد تغلق شاه بدوره عن مشروعه - أنظر: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص ١١٩ - ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٩٤ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٣٧ - إقبال اشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٤٩١-٤٩٢.

(٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤٧٣-٤٧٤ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٣٠.

(٣) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٤٩٣ - النمر، المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٤) الساداتي، المرجع السابق، ص ١٤٠ - النمر، المرجع نفسه، ص ١٢٩.

-H.C. Rawlinson, India, a Short Cultural History, pp. 230-333.

ورغم نجاح خلفه السلطان فيروز شاه الثالث التغلقي (٧٥٣-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م) في القضاء على بعض حركات التمرد تلك، وإعادة بسط نفوذ وسيطرة دهلي على بعض الأقاليم التي استقلت عنها، إلا أن الوضع ظل متذبذباً ما بين امتداداً وانكماشاً لنفوذ دهلي تبعاً لقوة أو ضعف سلاطينها طوال عهود من خلفه من حكام، حتى كانت هجمات تيمورلنك التي اجتاح خلالها شمال شبه القارة الهندية حتى وصل إلى الحاضرة دهلي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م.[1]

وكان السلطان التغلقي ناصر الدين محمود شاه الثاني (٧٩٥-٨١٦هـ)/(١٣٩٣-١٤١٣م) قد فر من دهلي فور علمه باقتراب جيوش تيمورلنك من حاضرته، وتوجه صوب إقليم كجرات.[2] وقد ظل تيمورلنك في مدينة دهلي خمسة عشر يوماً، أشاع جنده خلالها الخراب والدمار والقتل، ثم انسحب بعدها عائداً بما سلب من ثروات دهلي وهيبتها، وكانت هجماته تلك إيذاناً بتجرؤ العديد من الأقاليم التي كانت تابعة لسلطنة دهلي على الاستقلال عنها معلنةً نهوضها ككيانات سياسية مستقلة، اتخذ حكامها كل مظاهر السلطنة وألقابها.[3]

وفيما يلى نبذة مختصرة عن قيام هذه الدويلات منذ استقلالها عن سلطنة دهلي وحتى فقدانها لهذا الاستقلال سواء بالعودة إلى نفوذ دهلي أو بالخضوع لسلطان الإمبراطورية الإسلامية المغولية ببلاد الهند (٩٣٢-١٢٧٤هـ)/(١٥٢٦-١٨٥٨م).

---

(١) ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، ط١، بيروت ١٩٦٨م، ص١٦٢-١٦٩ - الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٢٠٧-٢٠٨، الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٥٥-١٥٦ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٤١.

-H.G. Rawlinson, op. cit., pp. 239-240.

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٦١-٦٥ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٥٥-١٥٦ - النمر، المرجع السابق، ص ١٤١.

-Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 351-353.

(٣) الساداتي، المرجع نفسه، ص ١٥٨-١٥٩ - النمر، المرجع نفسه، ص ١٥٢.

(١) مملكة كشمير[1] (٧٣٥-٩٩٧هـ)/(١٣٣٥-١٥٨٩م)

تقع مملكة كشمير في أقصى شمال شبه القارة الهندية، في منطقة ذات طبيعة شديدة الوعورة، يغلب عليها الطابع الجبلي والمرتفعات الشاهقة والبرودة الشديدة، ولعل ذلك هو ما كفل لها حماية وحصانة طبيعية، جعلتها منطقة مستعصية على الغزاة، فظلت خاضعة لأسرات حكامها الهندوس بعد انقضاء زمن طويل على خضوع معظم الأراضي الشمالية الهندية لنفوذ المسلمين، وكان قد سبق لمحمود الغزنوي أن قام بمحاولتين لغزوها من جهة الجنوب، الأولى كانت في عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م، والثانية كانت في عام ٤١٢هـ/١٠٢١م، وقد أخفقت كلتاهما.[2] ويرجع الفضل في نشر تعاليم الإسلام في هذا الإقليم المنعزل، إلى الجهود الفردية للدعاة المسلمين، وحملة راية العلوم والثقافة الإسلامية من علماء المسلمين الذين وفدوا على هذا الإقليم بغرض نشر الدعوة الإسلامية به، ثم اتخذه كثير منهم موطناً.[3]

وترجع بدايات انتشار الإسلام في إقليم كشمير إلى القرن الأول الهجري، وذلك إثر قدوم رجل مسلم من بلاد الشام في عام ٩٧هـ/٧١٦م يُدعى بـ«حميم الشامي»، وقام بتشييد مسجد في منطقة تُعرف بـ«ملجامر»[4].[5]

وهو ما يدحض الرأي الشائع بأن كشمير شهدت أول عهد لها بالإسلام على يد عبد الرحمن البلبل شاه، الذي زُعم أنه أول من دخل أرض كشمير من المسلمين وكان ذلك

(١) كشمير = ذكرت في كتب الجغرافيين الأوائل أيضاً باسم "قشمير"، ووصفت بأنها إقليم شديد الوعورة تغلب عليه الطبيعة الجبلية، مما اثر على طبائع سكانه فمالوا إلى العزلة وعدم الثقة في الغرباء، وهو حالياً الإقليم المتنازع عليه بين كل من دولتي الهند وباكستان ويُعرف باسم "جامو وكشمير" - سليمان التاجر، أخبار الصين والهند، تحقيق: يوسف الشاروني، ط١، القاهرة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٤٥ - البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤٦-١٤٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٣.

-C. Raychaudhuri, Kalinkar Datta, an Advanced History of India, p. 380.

(٢) النمر، المرجع السابق، ص ٨٨ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٦٨.

(٣) أنظر فيما بعد، العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة كشمير، ص ١٦٣-١٦٧.

(٤) * ملجامر = كلمة في اللغة الكشميرية تعني "أرض النجاسة"، ولقد أطلق الكشميريون على المنطقة التي أقام بها حميم الشامي وشيد بها مسجده هذا الاسم لأنه وأتباعه قد امتهنوا مهنة تجارة اللحم وهي أبغض المهن لدى الهنادكة وأهل كشمير - أنظر: محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، مجلة ثقافة الهند المجلد (٥٠)، العدد (١-٢)، ١٩٩٩م، ص ٥٧.

(٥) محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص ٥٧.

في عام ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، حيث قضى بها عامين حتى عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م ثم انتقل إلى جوار ربه، ورغم قصر الفترة التي عاشها عبد الرحمن البلبل شاه بكشمير، إلا أنه ترك خلفه عدداً كبيراً من معتقديه كان من بينهم الحاكم (رينجان شاه)، وكذلك ابن قائد كشمير الذي تحول بدوره إلى داعية كبير أسلم على يديه جم غفير من سكان كشمير، وكان يُدعى بـ«شري روان جندرجي رانا».[1]

وقد أسلم كذلك وزير الملك رينجان شاه ويُدعى «شاه ميرزا» أول سلاطنة كشمير (٧٣٥-٧٣٨هـ)/(١٣٣٥-١٣٣٨م)، ومؤسس حكم سلالة شاه ميرزا (٧٣٥-٩٦٨هـ)/(١٣٣٥-١٥٦١م) وهو الذي يرجع إليه الفضل في تنظيم الدولة تنظيماً محكماً، جعلها في مصاف الدول الإسلامية العظمى ببلاد الهند.[2]

ثم كان قدوم السيد علي الهمذاني إلى كشمير، وهو صاحب الفضل الأكبر في نشر دعوة الإسلام على نطاق واسع في هذا الإقليم، وقد قصد كشمير عدة مرات، كانت الأولى في الفترة (٧٤٠-٧٤١هـ)/(١٣٣٩-١٣٤٠م) واستمرت أربعة أشهر، ثم توجه لأداء فريضة الحج، أما المرة الثانية فكانت في عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م في عهد السلطان قطب الدين بن شمس الدين ميرزا (٧٧٢-٧٨٨هـ)/(١٣٧٠-١٣٨٦م) وأقام بها ما يقرب من العامين ونصف العام، ثم رحل عن كشمير ليرجع إليها مرة أخرى في عام ٨٧٥هـ/١٣٨٣م، من أجل مواصلة جهده في نشر الإسلام في ربوع هذا الإقليم.[3]

على أية حال، كان شاه ميرزا قد استولى على السلطة في كشمير إثر زواجه من زوجة الحاكم رينجان شاه الذي توفي في عام ٧٣٥هـ/١٣٣٥م، فجعل الخطبة له، وضرب السكة باسمه بعدما تلقب باسم السلطان شمس الدين، وفي عهده (٧٣٥-٧٣٨هـ)/(١٣٣٥-١٣٣٨م) علت رايات الإسلام في كشمير، وبه بدأت سلالة شاه ميرزا حكام مملكة كشمير الإسلامية لما يقرب من المائتين وثلاثين عاماً والذين بلغ عددهم ستة عشر حاكماً.[4]

(١) محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير، ص ٦٢-٦٣.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٧٢ - محمد مظفر، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣.

(٣) محمد مظفر، المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٤) تلى أسرة شاه ميرزا في حكم كشمير أسرة غازي خان چك (٩٦٨-٩٩٧هـ)/(١٥٦١-١٥٨٩م) - التي بلغ عدد حكامها (الخمس حكام) وانتهت باستيلاء الإمبراطور المغولي أكبر على مملكة كشمير - أنظر ملحق رقم (٢- ب) قائمة بحكام مملكة كشمير.

-S. Bahttacharya, a Dictionary of Indian History, p. 491.

ويعتبر السلطان زين العابدين شاهي خان بن السلطان اسكندر (٨٣٠-٨٧٢هـ)/(١٤١٧-١٤٦٨م) -ثامن حكام هذه الأسرة- من أبرز حكام هذه السلالة، بل حكام كشمير قاطبة، حيث حكم لما يقرب من الخمسين عاماً، شهدت خلالها مملكة كشمير ازدهاراً كبيراً في العلوم والفنون والآداب، إلى جانب الازدهار في المجالين السياسي والاقتصادي.[١]

وقد استمرت مملكة كشمير محافظة على استقلالها عن سلطنة دهلي، حتى تمكن الإمبراطور المغولي جلال الدين أكبر شاه (٩٦٣-١٠١٤هـ)/(١٥٥٦-١٦٠٥م) من إخضاعها لسلطان الإمبراطورية الإسلامية المغولية في بلاد الهند، وذلك في عام ٩٩٢هـ/١٥٨٤م، في عهد السلطان الكشميري نصر الدين يوسف (٩٨٦-٩٩٤هـ)/(١٥٧٩-١٥٨٦م) الذي أبدى الخضوع والاستكانة ورضى بأن يحكم كشمير نائباً عن السلطان المغولي، وتبعه في ذلك خلفه السلطان يعقوب بن يوسف خان (٩٩٤-٩٩٧هـ)/(١٥٨٦-١٥٨٩م)، ووافقا على إرسال مبلغاً معيناً من المال إلى الخزانة الإمبراطورية في دهلي، وأخيراً وفي عام ٩٩٧هـ/١٥٨٩م انضمت كشمير بصورة نهائية إلى الإمبراطورية المغولية.[٢]

(٢) مملكة البنغال[٣] (٧٣٧-٩٨٤هـ)/(١٣٣٦-١٥٧٦م)

يعتبر إقليم البنغال الواقع في أقصى الشمال الشرقي من شبه القارة الهندية، أحد أغنى مناطق بلاد الهند بالموارد الطبيعية، من أنهار وتُربة خصبة، وقد حكم هذه المنطقة من بلاد الهند منذ ظهور الإسلام بها على يد الغوريين (٣٩٠-٦١٢هـ)/(١٠٠٠-١١٢٥م) وتحديداً في عهد معز الدين محمد سام الغوري (٥٩٩-٦٠٢هـ)/(١٢٠٣-١٢٠٦م)[٤]--

---

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٧٧-٢٨٤ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٦٩.

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣١٧-٣٢٠ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٤٣٢-٤٣٣ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٦٩.

-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 354.

(٣) البنغال: هو الاسم الذي يُطلق على المنطقة الواقعة بين بهار غرباً وأسام وخليج البنغال شرقاً وسفوح الهيمالايا شمالاً وأوريسا جنوباً.

-S. Bahttacharya, A Dictionary of Indian History, p. 121

(٤) كان معز الدين محمد سام الغوري حاكماً في غزنة اعتباراً من ٥٦٩هـ/١١٧٣م - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٥٢.

-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 343.

الذي أسند إلى السلطان قطب الدين أيبك (٦٠٢-٦٠٧هـ)/(١٢٠٦-١٢١٠م) مسئولية حكم الفتوحات الغورية في بلاد الهند - القائد اختيار الدين محمد بختيار الخلجي (ت. ٦٠٢هـ/١٢٠٦م)، حيث اختاره السلطان قطب الدين أيبك نائباً عنه في حكم البنغال.[١]

وقد ظلت البنغال خاضعة لنفوذ دهلي حتى نهاية عهد السلطان غياث الدين بلبن، والذي بوفاته في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، أصبحت هذه الولاية شبه مستقلة عن سلطنة دهلي، حتى استطاع السلطان غياث الدين تغلق شاه (٧٢٠-٧٢٥هـ)/(١٣٢٠-١٣٢٥م) إعادة بسط سيطرة دهلي عليها لبعض الوقت، وقد قسمها إلى حكومتين، إحداهما البنغال الغربية ومركزها «الكهنوتي»[٢]، والثانية: البنغال الشرقية ومركزها «سنار كاون»[٣]، ولكن بوفاة غياث الدين تغلق شاه ٧٢٥هـ/١٣٢٥م استقل كل حاكم من حكام الشطرين بمملكته، فاستقل فخر الدين مبارك بحكم الجزء الشرقي (٧٣٧-٧٥٠هـ)/(١٣٣٦-١٣٤٩م)، واستقل علاء الدين علي شاه بحكم الجزء الغربي (٧٤٠-٧٤٦هـ)/(١٣٣٩-١٣٤٥م)، حتى تمكن شمس الدين إلياس شاه (٧٤٦-٧٥٩هـ)/(١٣٤٥-١٣٥٨م) من توحيد كل الأراضي البنغالية تحت رايته بعد وفاة محمد تغلق شاه الثاني سلطان دهلي.[٤]

وفي عهد أسرة إلياس شاه (٧٤٦-٨١٧هـ)/(١٣٤٥-١٤١٤م) شهدت مملكة البنغال أزهى عصور الفنون والعلوم والآداب الإسلامية، إضافة إلى ما شهدته البلاد من رواج

---

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٥٩-٦٢ - بوزورث، المرجع السابق، ص٢٥٨.

-C. Raychaudhuri, op. cit., p. 343.

-S. Bahttacharya, op. cit., p. 122.

(٢) هي اليوم مدينة جور Gawr - انظر: حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص ١٨٧.

(٣) ذكرها ابن بطوطة باسم "سد كاوان" وذكر أنها مدينة عظيمة على ساحل البحر الأعظم وبها نهر الجانج الذي يحج إليه الهنود، ونهر الجون (البراهمابوترا) وهي اليوم " شيتا كونك " بباكستان الشرقية أو (بنجلاديش) - أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦١٤ - وهامش رقم (٨) ص ٦١٤.

(٤) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٦١٤ - الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٠ - ج٣، ص ١٦٤-١٦٥.

-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 344.

-S. Bahttacharya, a Dictionary of Indian History, p. 122.

اقتصادي كبير عبر عنه ابن بطوطة في رحلته عندما وصف ثراء ورخص الأسعار في هذا الإقليم.[1]

وقد ظلت هذه المملكة على استقلالها وازدهارها ما يقرب من القرنين ونصف من الزمان[2]، انضم إليها في هذه الفترة إقليم بهار، كما انضمت إليها قوات مملكة جونبور، أثر لجوء أخر سلاطينها - الذي خلعه السلطان بهلول لودي (٨٥٥-٨٩٤هـ)/(١٤٥١-١٤٨٩م) واستولى على ملكه في عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م - السلطان حسين شاه (٨٦٢-٨٨١هـ)/(١٤٥٨-١٤٧٩م) إلى مملكة البنغال.[3]

وقد كان عام ٩٨٤هـ/١٥٧٦م إيذاناً بانتهاء استقلال هذا الإقليم، حيث قام السلطان جلال الدين أكبر الأول (٩٦٣-١٠١٤هـ)/(١٥٥٦-١٦٠٥م) باجتياح البنغال، والتي أصبحت منذ ذلك الوقت جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية المغولية.[4]

(٢) مملكة الدكن البهمنية[5] (٧٤٨-٩٣٤هـ)/(١٣٤٧-١٥٢٧م)

وهي من أولى الممالك التي استقلت عن نفوذ دهلي، وكان ذلك في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م في أواخر عهد السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦١٣، بوزورث، الأسرات الحاكمة، ص ٢٦٥.

(٢) أنظر: ملحق رقم (٢ - ج) قائمة سلاطين البنغال.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ٢٤٦-٢٤٨ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٧- بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٦٦.
-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, pp. 345-355.
-S. Bahttacharya, a Dictionary of Indian History, p. 122.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٠ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٨- بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٦٦.
-C. Raychaudhuri, op. cit., pp. 346.
-S. Bahttacharya, op. cit., p. 122.

(٥) عرفت هذه المملكة وسلالتها الحاكمة باسم "البهمنية" نسبة إلى بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب .. من ملوك إيران الأسطوريين، وقد حكم ستون عاماً، وحكمت زوجته جهر أزاد ثلاثين سنة من بعده، وقد أنجب بهمن هذا (داراب) الذي أنجب (دارا) وهما بداية التاريخ الإيراني الحقيقي، وكان علاء الدين حسن الشهير بحسن كانكو، مؤسس حكم دولة الدكن البهمنية وأول من استقل بها عن سلطنة دهلي، قد ادعى أنه من نسله - أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٨، هامش رقم (٨) - عن عبد المجيد بدوي، القصة في الأدب الفارسي، ص ٢٠٠-الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٨-١٦٩.

(١٣٢٥-١٣٥١م).[1]

وقد اتخذت هذه الدولة من مدينة «كلبركة[2]» حاضرة لها، ونظراً لاتساع رقعة هذه الدولة فقد قسمت إلى أربع ولايات كي تسهل إدارتها وتلك الولايات كانت، كلبركة، ودولت أباد، بيرار، تاليكايا الإسلامية.[3]

وكان حسن كانكو، الذي كان أحد قواد السلطان محمد تغلق شاه الثاني، قد تزعم حركة التمرد ضد نفوذ سلطنة دهلي على الدكن، ولما كان السلطان محمد تغلق منهمكاً في وأد فتنة أخرى ثارت في إقليم كجرات، فقد عجز عن صد تمرده، وصرف تركيزه عنه نحو كجرات، فبرزت حكومة سلطنة الدكن البهمنية من عامها هذا ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وأعلن القائد حسن كانكوا استقلاله بحكمها، ولقب نفسه بالسلطان علاء الدين.[4]

وقد حاول السلطان فيروزشاه الثالث التغلقي، الذي خلف السلطان محمد تغلق شاه على عرش دهلي، أن يسترد نفوذ دولته على إقليم الدكن، إلا أنه آثر السلم وقبل وساطة الخليفة العباسي في القاهرة «أبي الفتح أبي بكر المعتضد الأول بن المستكفي» (٧٥٣-٧٦٣هـ)/(١٣٥٢-١٣٦٢م)، الذي طلب منه (في رسالة تضمنت خلعة وقراراً بتعيينه نائباً عنه على بلاد الهند تلقاها في عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، أن يعفو عن ثائر الدكن

(١) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٨ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٩.

(٢) كلبركة: وتلفظ جلبرجة وكذلك كلبرجة وهي مدينة كبيرة من إقليم الدكن، جعلت حاضرة لمملكة الدكن البهمنية على يد مؤسسها السلطان علاء الدين حسن كانكو (٧٤٨-٧٥٩هـ)/(١٣٤٧-١٣٥٨م) في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م - وهو من أعطاها اسمها الإسلامي (إحسان أباد" وظلت حاضرة لمملكة الدكن البهمنية حتى عام ٨٢٨هـ/١٤٢٥م عندما قام ثامن سلاطين البهمنيين السلطان أحمد شاه البهمني (٨٢٥-٨٣٩هـ)/ (١٤٢٢-١٤٣٦م) بتحويل حاضرته إلى مدينة بيدر الدكنية. أنظر: المقريزي، درر العقود الفردية، مج١، ص ٢٨٧ - النمر، المرجع السابق، ص ١٦٩.
-Bahattacharya, a Dictionary of Indian History, p. 392.

(٣) النمر، المرجع نفسه، ص ١٦٩.

(٤) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مج١، ص ٢٨٥-٢٨٦ - الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٢ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٨ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٩.
-C. Raychaudhuri, Kalinkar Datta, an Advanced History of India, London, 1950, pp. 356-357.
-H.G. Rawlinson, India, a Short Cultural History, pp. 251-252.

ويتركه وشأنه.[1]

وبذلك استقلت هذه الدولة استقلالاً فعلياً عن سلطنة دهلي، وتوالى على حكمها تسعة وعشرون حاكماً، بلغ إجمالي فترة حكمهم مايقرب من القرنين ونصف من الزمان، حافظت فيها هذه الدولة على استقلالها، وإن كانت هي نفسها قد تفككت فيما بعد إلى خمس دويلات صغرى[2]، بدءاً من عام ٩٣١هـ/١٥٢٥م، أي منذ عهد السلطان كليم الله بهمني (٩٣٢-٩٣٤هـ)/(١٥٢٥-١٥٢٧م)، آخر حكام الأسرة البهمنية في الدكن[3] الذي فر إلى ولاية أحمد نكر، وظل بها حتى وفاته، وقد حكمت الدويلات الخمس تلك باسم البهمنيين، رغم عدم انتماء حكامهم لتلك الأسرة بل كانوا في واقع الأمر خدماً لهم.[4]

وقد أدى الصراع الدائم بين هذه الدويلات وبعضها البعض من جهة، وكذلك مع ممالك الهندوس المجاورة لها، ثم مع البرتغاليين إلى إضعاف كياناتها، حتى نجحت الإمبراطورية الإسلامية المغولية في بلاد الهند في ضمها تحت رايتها، وكان ذلك في عام ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م، في عهد الإمبراطور المغولي محي الدين أورنكزيب عالمكير الأول (١٠٦٨-١١١٨هـ)/(١٦٥٨-١٧٠٧م).[5]

---

(١) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٠ - النمر، المرجع السابق، ص ١٣٧ - محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، طبعة القاهرة، ١٩٤٧م، ص ١٤٢.
-Longman's History of India, pp. 295-300.

(٢) والدويلات الخمس هي: دولة بريد شاه في بيدر (٨٩٥-١٠٦٨هـ)/(١٤٩٠-١٦٥٧م)، والثانية: دولة عماد شاه في بيرار(٧٨٩-٩٧٩هـ)/(١٤٨٤-١٥٧٢م)، والثالثة: دولة نظام شاه في أحمد نكر(٩٠١-١٠٠٨هـ)/(١٤٩٦-١٦٠٠م) والرابعة: دولة قطب شاه في كولكندة(٩١٨-١٠٩٨هـ)/(١٥١٢-١٦٨٧م) والخامسة: دولة عادل شاه في بيجابور (٨٩٤-١٠٩٧هـ)/(١٤٨٩-١٦٨٦م) - انظر: الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٨-٥٧ - النمر، المرجع نفسه، ص ١٧٣.
-H.G. Rawlinson, India, a Short Cultural History, pp. 255-260.
-Sachchidananda Bahttacharya, M.A., A Dictionary of Indian History, pp. 94-96.

(٣) أنظر: ملحق رقم (٢-د) قائمة سلاطين الدكن البهمنيون.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٠ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٩.

(٥) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٧-٥٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٩-١٧٤ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٧٧-٢٨٠.
-Raychaudhuri, Kalinkar Datta, an Advanced History of India, p. 360.

(٤) مملكة جونبور أو «سلاطين الشرق» (٧٩٦-٨٨١هـ)/(١٣٩٤-١٤٧٦م)

تقع مملكة جونبور إلى الجنوب الشرقي من دهلي، فيما بين إقليمي بهار - Bihar، وأوده - Oudh، وهي إقليم متسع كبير، تجري في أراضيه أنهار «جمنة» و «كوكرا»، وهما من أكبر روافد نهر الجانج، فأكسبا أرضها خصباً ونماءاً، أما حاضرة هذا الإقليم، فهي مدينة «جونبور»[1]، والتي يُعرف باسمها الإقليم كله، وهي تقع على شاطئ نهر جمنة.[2]

أما مؤسس هذه الأسرة التي عُرفت بـ «سلاطين الشرق» فهو «خواجة جهان سرور» الذي كان وزيراً وقائداً من قواد السلطان الدهلوي «ناصر الدين محمود شاه الثاني التغلقي»[3] وكان عوناً كبيراً له في سبيل القضاء على «نصرة شاه» الذي نازعه السلطنة في الفترة (٧٩٧-٨٠١هـ)/(١٣٩٥-١٣٩٩م)، ومن أجل جهوده تلك فقد أنعم عليه السلطان ناصر الدين محمود بلقب «شاه شرقي» أي «ملك الشرق» ثم عهد إليه بحكم كافة الأراضي الواقعة بين بهار وقنوج، فحكمها في الفترة (٧٩٦-٨٠٢هـ)/(١٣٩٤-١٣٩٩م).[4] وقد خلفه على الحكم (ربيبه)[5] السلطان مبارك شاه (٨٠٢-٨٠٣هـ)/(١٣٩٩-١٤٠٢م) الذي استفاد من حالة الفوضى التي أصابت سلطنة دهلي عقب الغزو التيموري لها، فأخذ

---

(١) قيل إن مؤسسها هو السلطان فيروز شاه الثالث التغلقي (٧٥٢-٧٩٠هـ)/(١٣٥١-١٣٨٨م) وأنه أطلق عليها اسم ابن عمه وراعيه السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م) وتحديداً أحد ألقابه حيث كان يُلقب بـ "جاوناشاه" - Jawnashah أي "الأجنبي" - أنظر: الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٦ - بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧٣.
-S. Bhattacharya, a Dictionary of Indian History, p. 491.

(٢) الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٦ - بوزورث، نفسه، ص ٢٧٣.
-C. Raychaudhri, an Advanced History of India, p. 347.

(٣) تولى السلطنة مرتين الأولى (٧٩٥-٧٩٧هـ)/(١٣٩٣-١٣٩٥م) ثم نازعه نصره شاه السلطنة (٧٩٧-٨٠١هـ)/(١٣٩٥-١٣٩٩م) ثم تولى للمرة الثانية (٨٠١-٨١٧هـ)/(١٣٩٩-١٤١٤م) - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٤٢٣ - أيضاً: بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٥٦.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٧٣ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٦ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٧٣.
-S. Bahttacharya, a Dictionary of Indian History, p. 491.

(٥) ادعى مبارك شاه بنوته لخواجة جهان سرور (ملك سرور) - أنظر: الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٤ - بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧٣.

يتصرف في شئون الإقليم على أنه حاكمه المستقل، وضرب السكة باسمه وأصدر أوامره بالخطبة له دون سواه، وكان ذلك استقلالاً فعلياً عن سلطنة دهلي.[1]

وقد بلغ حكام هذه الأسرة الستة حكام، امتدت فترة حكمهم لما يقرب من التسعين عاماً، إلا أن السلطان شمس الدين إبراهيم (٨٠٣-٨٤٤هـ)/(١٤٠٢-١٤٤٠م) يُعتبر أعظم ملوك هذه الأسرة قاطبة، ففي عهده الذي دام قرابة الأربعين عاماً، وصلت هذه الدولة إلى أوج ما وصلت إليه من ثراء وقوة، فضلاً عن النهضة الثقافية والعلمية والمعمارية التي كان حريصاً على متابعتها ودعمها بكافة الإمكانات.[2]

على أن خلفاء السلطان إبراهيم الشرقي لم يتمكنوا من المحافظة على ما حقق من إنجازات، ورغم أن مملكة جونبور في ذلك الوقت قد امتلكت جيشاً من أكبر وأقوى جيوش بلاد الهند عدداً وعتاداً، بل وشكلت قوتها العسكرية تلك في كثير من الأحيان تهديداً مباشراً لسلطنة دهلي، إلا أن السلطان الدهلوي بهلول اللودي (٨٥٥-٨٩٤هـ)/(١٤٥١-١٤٨٩م) تمكن في عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م من استعادة سيطرة سلطنة دهلي على هذا الإقليم، وذلك إثر هزيمته لآخر سلاطين الشرق في جونبور السلطان حسين شاه بن محمود شاه الشرقي (٨٦٣-٨٨١هـ)/(١٤٥٨-١٤٧٦م).[3]

وقد سمح السلطان بهلول اللودي للسلطان حسين الشرقي بالإقامة في جزء من مملكة جونبور كان يدر عليه دخلاً سنوياً قدر بخمسين مليون تنكة، ولكن جاءت وفاة السلطان بهلول اللودي في عام ٨٩٤هـ/١٤٨٩م إيذاناً بنهاية إقامة السلطان حسين الشرقي في جونبور، حيث أصر السلطان الدهلوي اسكندر الثاني بن بهلول (٨٩٤-٩٢٣هـ)/(١٤٨٩-١٥١٧م) على التخلص نهائياً من آخر سلاطين الشرق، وتوجه بالفعل على

(١) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٤ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٦-١٦٧ - بوزورث، نفسه، ص ٢٧٣.

(٢) الهروي، نفسه، ج٣، ص ١٧٤-١٧٦- الساداتي، المرجع نفسه، ص ١٦٧ - بوزورث، نفسه، ص ٢٧٣-٢٧٤- ملحق رقم (٢ - هـ) قائمة سلاطين جونبور.

-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 347-348.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٧٦-١٨١ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٧ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٦٢-٢٧٤.

-C Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 348.

-S. Bhattacharya, a Dictionary of Indian History, p. 433-434.

رأس جيش لمحاربة السلطان حسين الشرقي الذي فر صوب البنغال ليعيش فيها حتى توفي في عام ٩٠٥هـ/١٥٠٠م لينتهي بذلك حكم سلاطين الشرق لجونبور.[1]

(٥) مملكة مالوه (٨٠٤-٩٣٧هـ)/(١٤٠١-١٥٣١م)

وهي إقليم واسع الأرجاء، متوسطة بين كل من مملكة كجرات غرباً، ومملكة الدكن جنوباً، ومملكة أكرا شرقاً، وسلطنة دهلي شمالاً، وقد عرفت الإسلام منذ عهد السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨/٤٢١هـ)/(٩٩٨-١٠٣٠م)[2]، وكان أول بسط لسيطرة سلطنة دهلي على هذا الإقليم في عهد السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ)/(١٢٦٥-١٢٨٧م) ولكن الحكام الهندوس لهذا الإقليم ظلوا في صراع دائم مع سلطنة دهلي لاستعادة استقلالهم حتى تمكن السلطان علاء الدين الخلجي (٦٩٥-٧١٥هـ)/(١٢٩٦-١٣١٦م) - سلطان دهلي من فرض سيطرته كاملة على هذا الإقليم في عام ٧٠٥هـ/١٣٠٥م.[3]

وقد ظلت هذه المملكة خاضعة خضوعاً تاماً لسلطان دهلي حتى عهد السلطان ناصر الدين محمود شاه الثاني بن فيروز شاه التغلقي، حيث كان يحكم مالوه أحد كبار أمراءه وهو دلاور خان حسين الغوري (٨٠٤-٨٠٨هـ)/(١٤٠١-١٤٠٦م)، وقد رأى أنه لا ضرورة لبقائه تابعاً لسلطنة دهلي بعد أن تركها تيمورلنك وقد ضعفت وتشرذمت وفقدت هيبتها، فاستقل بأمر مالوه في عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م متخذاً من مدينة دهار حاضرة له.[4]

ولكن لم يلبث أن توفي دلاور خان في عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦م ليتولى خلفاً له ابنه هوشنك شاه (٨٠٨-٨٣٨هـ)/(١٤٠٦-١٤٣٥م)، وقد اتخذ من مدينة ماندو حاضرة لمملكته، التي حكمها لما يقرب من الثلاثين عاماً قضى الجل الأعظم منها في حروب مع

(١) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٠-١٨١ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٤٣١ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٦١.

(٢) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨٥-١٨٦.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٢٩، ١٤١-١٤٢ - بوزورث، الأسرات الحاكمة، ص ٢٧٥.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٠، ج٣، ص ١٨٦ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٤ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٢ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٧٥.

-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 348-349.

-Longman's History of India, p. 324.

الممالك المجاور له أبرزها مملكتي كجرات والدكن واللتين كان حكامهما يسعون دائماً إلى تسخير مالوه وضمها إلى ممتلكاتهم.[1]

وقد توالى على حكم مالوه أحد عشر حاكماً[2] امتدت فترة حكمهم لما يقرب من المائة وثلاثة وستين عاماً، كان أشهرهم وأعظمهم إنجازاً على المستوى السياسي والحضاري السلطان محمود الخلجي (٨٤٠-٨٧٣هـ)/(١٤٣٦-١٤٦٨م) الذي حكم حوالي ثلاثة وثلاثين عاماً قضى أكثرها في الغزو والقتال، وإن كان قد التفت أيضاً إلى الجوانب الحضارية في مملكته.[3]

وقد فقدت مملكة مالوه استقلالها في عام ٩٣٧هـ/١٥٣١م في عهد آخر حكامها السلطان محمود شاه الثاني بن ناصر شاه (٩١٧-٩٤٣هـ)/(١٥١١-١٥٣٧م) حيث تمكن السلطان بهادور شاه الكجراتي (٩٣٢-٩٤٣هـ)/(١٥٢٦-١٥٣٦م) من ضمها إلى نفوذ مملكته، ثم فترة من التخبط في حكم مالوه، حتى تمكن الإمبراطور المغولي «جلال الدين أكبر» من ضمها إلى الإمبراطورية الإسلامية المغولية في بلاد الهند في عام ٩٦٨هـ/١٥٦١م.[4]

(٦) مملكة كجرات (٨١٠-٩٨٠هـ)/(١٤٠٧-١٥٧٣م)

هي من أعظم الدويلات الإسلامية التي استقلت عن سلطان دهلي وهي التي ظلت لفترة طويلة خاضعة لها، ويقوم سلطان دهلي بتولية الحاكم عليها، حتى حدث

(١) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨٦-١٩٧ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٤ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٤١٥-٤١٦ - النمر، المرجع السابق، ص ١٦٢ - بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧٥-٢٧٦.
-C. Raychaudhuri, op. cit, p. 349.
-Longman's History of India, pp. 324-325.

(٢) أنظر: ملحق رقم (٢ - و) قائمة سلاطين مالوه.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٠٠-٢٢١ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٤-١٦٥ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٣-١٦٤.
-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 349.
-Longman, op. cit., p. 325.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٥٧-٢٦٧ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٥- النمر، المرجع السابق، ص ١٦٨- بوزورث، الأسرات الحاكمة، ص ٢٧٦.
-Longman's.ibid, p. 325.

أن اشتكى أهل كجرات من ظلم وجور حاكمهم وكان يُدعى «نظام مفرح» والملقب بـ «رواشتي خان»، الذي كان حاكماً على كجرات من قبل السلطان الدهلوي ناصر الدين محمد شاه الثالث بن فيروزشاه التغلقي (٧٩٢-٧٩٥هـ)/(١٣٩٠-١٣٩٣م)، فما كان من السلطان ناصر الدين إلا أن أسند حكم كجرات إلى أحد كبار أمرائه وهو «أعظم همايون» الملقب بـ «ظفر خان» وكان ذلك في عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م، وقد خرج أعظم همايون إلى كجرات على رأس جيش لمواجهة جيش نظام مفرح والتقى الجيشان ونالت جيوش نظام مفرح هزيمة قاسية وقُتل نظام مفرح ذاته في المعركة، واستقر الحكم لأعظم همايون الذي سارع بإرسال نوابه إلى جميع القرى، واستمر يحكم تحت راية سلطنة دهلي، حتى كانت هجمات تيمورلنك على دهلي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م، حيث وفد عليه السلطان ناصر الدين محمود شاه الثاني (٧٩٥-٧٩٧هـ)/(١٣٩٣-١٣٩٥م) ثم عام (٨٠١هـ/١٣٩٩م) هارباً من تيمورلنك وجنده، ثم رحل عن كجرات إلى مالوه.[1]

ورغم عودة السلطان ناصر الدين محمود إلى دهلي عقب خروج تيمورلنك منها، إلا أن الضعف الشديد الذي ران على دهلي شجع أعظم همايون على الاستقلال بحكم كجرات، وتلقب بـ «مظفر شاه الأول» في عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م، ولكنه لم يلبث أن توفي مسموماً في عام ٨١٣هـ/١٤١٠م، وخلفه حفيده أحمد شاه الأول (٨١٤-٨٤٦هـ)/(١٤١١-١٤٤٢م) بوصية منه.[2]

وقد توالى على حكم دولة كجرات خمسة عشر حاكماً بلغت مدة حكمهم مائة وسبعة وثمانين عاماً[3]، حتى ضمها الإمبراطور المغولي جلال الدين أكبر الأول (٩٦٣-١٠١٤هـ)/(١٥٥٦-١٦٠٥م) إلى دولته في عام ٩٨٠هـ/١٥٧٣م في عهد السلطان الكجراتي مظفر شاه الثالث (٩٦٩-٩٨٠هـ)/(١٥٦١-١٥٧٣م).[4]

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص٦١-٦٥- الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٥٥-١٥٦ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٤١.
.٣٥٣-٣٥١ .Raychaudhuri، an Advanced History of India، p-

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٦-٦٧ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٩ - النمر، المرجع السابق، ص ١٥٢ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٠.
.٣٥٢ .Raychaudhuri، op. cit.، p-

(٣) أنظر ملحق رقم (٢ - ز) قائمة بحكام لكجرات.

(٤) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥١-١٥٩- الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٤ - النمر،

وقد ساعد كجرات على الاحتفاظ باستقلالها عن سلطان دهلي، ما كانت عليه من ثراء بالغ، أدى إليه ما كان قائماً بينها وبين شواطئ المحيط الهندي من صلات تجارية وملاحية، ناهيك عن الصلات التجارية بين كجرات وبين شبه الجزيرة العربية ومصر والتي كانت سبباً مباشراً في ثراءها.[1]

وتعتبر فترة حكم السلطان محمود شاه الأول (بيكرو)[2]، والتي امتدت لخمس وخمسين عاماً (٨٦٣-٩١٧هـ)/(١٤٥٩-١٥١١م) من أعظم الفترات في تاريخ مملكة كجرات، ففي عهده وصلت إلى أقصى اتساع لها إثر نجاح حملاته المتواصلة على قلاع الهندوس والتي أسفرت عن استيلاءه على العديد من قلاعهم كان آخرها قلعة «تشامبنر»[3] Champanir.[4]

على أنه قبل نهاية عهده لاح في الأفق خطر سياسي واقتصادي جديد، تمثل في ظهور البرتغاليين على السواحل الغربية والجنوبية لبلاد الهند مهددين المصالح الاقتصادية لكل من مصر والكجرات على حد سواء، مما دفع بالسلطان محمود بيكرو إلى عقد تحالف عسكري في عام ٩١٥هـ/١٥٠٨م مع السلطان المملوكي قنصوة الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ)/(١٥٠١-١٥٠٦م) هدفه دفع الخطر البرتغالي المتنامي على شواطئ الهند، ورغم تعدد الحملات واحتدام المعارك بين الجانبين إلا أن هذا التحالف قد فشل في تحقيق مآربه، إثر نجاح

المرجع نفسه، ص ١٦١ - بوزورث - المرجع السابق، ص ٢٧٠-٢٧٢.
-C. Raychaudhuri, ibid, p. 353.
-Rawlinson, India, a Short Cultural History, p. 250.

(١) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٩٥ - جورج فضلوا حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مصر ١٩٥٨م، ص ٧٤ - شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص ١٨٦-١٨٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٢ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٠.

(٢) بيكرو: تتألف من مقطعين "بي" ومعناها اثنان، و "كرو" ومعناها قلعة، أي صاحب القلعتين، واشتهر بهذا الاسم لفتحه قلعتين من أمنع قلاع الهندوس هما "جيرنار" و "تشامبنر" - وفي رأي آخر أنه اشتهر ببيكر وبيكره "بقرة ترتفع قرونها إلى أعلى لتكون على هيئة حلقة وكان شاربه بهذا الشكل" - أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٩٣، ص ٩٩، ص ١١٠ - النمر، المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٣) تُعرف الآن بـ "محمد آباد" - أنظر: بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٧١.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ص ٩٠-١١٠ - بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧٠-٢٧٢.
-Longman's History of India, p. 324.

البرتغاليين في الاستيلاء على ميناء كوا، فاضطر محمود بيكرو إلى عقد الصلح معهم.[1]

وقد خلف محمود بيكرو على حكم كجرات حكاماً ضعافاً، حتى تولى حفيده بهادور شاه (٩٣٢-٩٤٣هـ)/(١٥٢٦-١٥٣٦م) الذي كان آخر سلاطين كجرات العظماء، وشهد نهاية عهده المحاولات الأولى لاستيلاء أباطرة المغول في الهند على مملكته، كما نجح البرتغاليون في تدبير مقتله وذلك في عام ٩٤٣هـ/١٥٣٧م وبعده تفككت وحدة الكجرات ونشأ صراع بين أفراد أسرتها الحاكمة على خلافته على العرش، حتى انتهى الأمر بهم إلى استدعاء مغول الهند بأنفسهم إلى مملكتهم، فانتهز الإمبراطور أكبر الفرصة واستولى عليها في عام ٩٨٠هـ/١٥٧٣م وكان ذلك إيذاناً بانطواء صفحة دولة من أعظم الدويلات المستقلة التي قامت ببلاد الهند على المستويين السياسي والحضاري.[2]

ب ـ أثر قيام الدويلات الإسلامية المستقلة في بلاد الهند على الحياة الثقافية والعلمية بها

إذا كانت سلطنة دهلي في عقود استقرارها وازدهارها ومنعتها قد شهدت اهتماماً متزايداً بالعلوم والفنون والآداب، فلا شك أيضاً أن فترات الضعف والشيخوخة التي عانت منها، وأدت إليها السياسات الخاطئة لبعض حكامها - من بذخ وإسراف في مظاهر الحكم وأبهة السلطنة، إلى جانب تكلفة الحروب والحملات المستمرة على الأقاليم المتمردة على نفوذ دهلي - قد أضعفت الخزانة السلطانية واستنزفت موارد السلطة وأعيت كاهل الرعية. وقد تجسدت كل نتائج سوء الإدارة، والافتقار للحنكة السياسية تلك في نهاية عهد السلطان محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م).[3]

(١) ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٤، ص ٨٢، ٨٤-٨٥، ٩٥-٩٦، ١٤٢-٢٨٦ - أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية المصرية، ط القاهرة ١٩٧٣م، ص ٥٧٠-٥٧١ - النمر، المرجع نفسه، ص ١٥٥-١٥٦ - بوزورث، المرجع نفسه، ص ٢٧١ - ناجلاء عبد النبي، مصر والبندقية (العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك)، ط١، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٠٩.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٢٣-١٤٤، ١٥٨-١٥٩ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٠-١٦١ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٢.
-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, pp. 352-353.
-H.G. Rawlinson, India, a Short Cultural History, p. 249-250.
-Longman's History of India, p. 324.

(٣) بدأ الضعف يتسرب إلى كيان سلطنة دهلي منذ أواخر عهد محمد تغلق شاه الثاني، وبداية حكم خلفه جلال الدين فيروز شاه الثالث التغلقي والذي رغم إصلاحاته ومشروعاته العمرانية

واتجاهه إلى إصلاح ما خلفه عهد سلفه من أضرار، وميله إلى ما فيه خير رعاياه إلا أنه لم يصل بإنجازاته تلك إلى تدعيم هيبة السلطنة، إذ غلبت طيبته ومسالمته على حزمه وشدته، ويكفي إيثاره للسلم عندما طلب منه الخليفة العباسي في القاهرة "المعتضد الأول بن المستكفي" (٧٥٣-٧٦٣هـ)/(١٣٥٢-١٣٦٢م) أن يعفو عن حاكم الدكن "حسن "كانكو" ويتراجع عن حربه فاستجاب له وكان ذلك إيذاناً بتأسيس دولة الدكن البهمنية فعلياً إلى غير ذلك من الأمثلة - أنظر: الهروي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٠ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦١ - النمر، المرجع السابق، ص ١٣٧ - محمد جمال الدين سرور، دولة بن قلاوون في مصر، ص ١٤٢.

Longman's History of India, p. 300.

ومن جهة أخرى، فقد كان قصر فترات حكم عدد كبير من سلاطين دهلي نتيجة الصراع على كرسي السلطنة عاملاً من عوامل تراجع الاهتمام بالنواحي العلمية والثقافية في البلاد، وآل الفضل فيما تحقق من إنجازات على صعيد الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في تلك الفترات إلى الجهود المخلصة لعلماء بلاد الهند، والعلماء الوافدين عليها من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

ثم كانت غزوة تيمورلنك على سلطنة دهلي، مما أدى إلى فقدها لكثير من قوتها وهيبتها، الأمر الذي شجع حكام الأقاليم التابعة لها على الاستقلال بحكم ما بحوزتهم من أقاليم.

وإذا كانت ظاهرة استقلال هذه الأقاليم قد جاءت كمظهر من مظاهر ضعف دهلي وتصدع نفوذها وتقلها السياسي، إلا أن للعملة وجه آخر، حيث كان لقيام تلك الدويلات أثره الإيجابي على الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند، فالدور الذي أضحت سلطنة دهلي عاجزة عن القيام به والوفاء بمتطلباته على الوجه الأكمل من اهتمام ، عناية بالحياة الثقافية والعلمية بالبلاد، أصبحت تتنافس على القيام به تلك الدويلات.

ولقد واكب حرص ملوك وسلاطين تلك الدويلات على توسيع رقعة ممالكهم والدفاع عن أراضيهم، العمل على رُقي دولهم والنهوض بها ثقافياً وعلمياً.(١)

فنجدهم من جانب يسعون إلى إضفاء الشرعية على حكمهم وتقوية نفوذهم السياسي بين رعاياهم، وبين منافسيهم من ملوك الممالك الأخرى ببلاد الهند، عن طريق تعميق الارتباط بين دويلاتهم وبين السلطة الروحية الأعلى في العالم الإسلامي في ذلك الوقت وهي الخلافة العباسية في القاهرة، مستغلين في ذلك المكانة السامية التي تحتلها الخلافة العباسية في نفوس حكام الهند ورعاياهم سواءً بسواء.

(١) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦١.

لذلك نجدهم يقومون بمراسلة خلفاء بني العباس في القاهرة، ويصلونهم بالهدايا الثمينة من أجل الحصول على التفويض بحكم ما تحت أيديهم من أقاليم، والأمثلة على ذلك عديد:-

حيث قام السلطان «جلال الدين أبو المظفر محمد شاه» (٨١٧-٨٣٥هـ)/(١٤١٤-١٤٣٢م) سلطان مملكة البنغال، بمراسلة السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ)/(١٤٢٢-١٤٣٧م)، فأرسل إليه بهدية ثمينة مصحوبة برسالة يطلب فيها العهد من الخليفة العباسي بالقاهرة «أبو الفتح داود المعتضد (الثاني) بن المتوكل» (٨١٦-٨٤٥هـ)/(١٤١٣-١٤٤١م)، الذي استجاب لطلبه، مما أسعد السلطان البنغالي الذي داوم على إرسال الهدايا لكل من السلطان والخليفة.(١)

في حين قام سلطان مالوه محمود شاه الخلجي (٨٤٠-٨٧٣هـ)/(١٤٣٦-١٤٦٨م)، بمراسلة الخليفة العباسي «المستنجد بالله يوسف بن محمد العباسي» (٨٥٩-٨٨٤هـ)/(١٤٥٥-١٤٧٩م) يطلب منه التفويض الشرعي بالحكم، فاستجاب له الخليفة وأرسل له في عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م شرف الملك الحاجب بخلعة الخلافة، فاستقبل محمود شاه الخلجي رسول الخليفة بنفسه في موكب ضخم ضم كبار رجال دولته، وأغدق عليه بالهدايا الحافلة، وأمر أن يُذكر اسم الخليفة في الخطبة.(٢)

وبعد وفاة السلطان محمود الخلجي، سلك ولده غياث الدين بن محمود شاه (٨٧٣-٩٠٦هـ)/(١٤٦٨-١٥٠٠م) المسلك نفسه، وواصل سياسة أبيه لاستجلاب رضى الخليفة العباسي في القاهرة، بالهدايا والرسائل، حتى قام في عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م بإرسال وفد إلى الخليفة «المستنجد بالله يوسف بن محمد العباسي»، يطلب منه تقليداً بولايته على إقليم الهند فاستجاب له الخليفة.(٣)

فإذا كان ملوك وسلاطين تلك الدويلات قد سعوا إلى توطيد أركان حكمهم، باستجلاب رضى خلفاء بني العباس في القاهرة من جانب، فإننا نجدهم من جانب آخر لا

(١) السخاوي، الضوء اللامع، مج٤، ج٨، ص ٢٨٠.
(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢١٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٠ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٣.
(٣) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٣، ص ٦٥ - الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، ص ٣٥٩-٣٦٠.

يألون جهداً في سبيل اجتذاب العلماء من شتى أرجاء العالم الإسلامي، موفرين لهم كافة الإمكانات المادية والمعنوية من أجل تحقيق إنجاز ثقافي وعلمي متميز، حتى بلغت شهرة بعض حكام هذه الدويلات آفاقاً بعيدة بين أقطار العالم الإسلامي، بما عُرف عنهم من رعاية لأرباب العلوم والفنون والآداب، ليس داخل ممالكهم فحسب، وإنما في أقطار عدة من العالم الإسلامي، أبرزها الحجاز ومصر كما سنشاهد في موضعه من هذه الدراسة.(١)

وما لبثت كل واحدة من تلك الدويلات أن أصبحت مقصداً للعلماء من شتى أنحاء العالم الإسلامي وفي مختلف فروع العلوم، وكان من أثر هذه الموجات الوافدة، أن أصبح لكل دولة من تلك الدويلات سماتها ومميزاتها من حيث اللغة والعلوم والعمارة والفنون.

فهاهي ذي مملكة الدكن البهمنية، والتي استقبلت أعداداً كبيرة من علماء فارس، تستلهم الفنون الفارسية المعاصرة لها في عمارتها من مساجد وقصور وقبور وما عليها من زخارف ونقوش.(٢)

أما مملكة كشمير، فقد مثلت حالة خاصة، فطبيعتها الوعرة كفلت لها عزلة جبلية حصينة، فلم تظهر بها تأثيرات خارجية ظاهرة، واحتفظت بطرزها القديمة الموروثة، باستثناء بعض الاتجاه العربي، متمثلاً في اللغة العربية التي امتزجت باللغة الكشميرية المحلية كنتيجة حتمية لانتشار الإسلام بهذا الإقليم، وجهود الدعاة من علماء المسلمين في نشرها، بالإضافة إلى بعض التأثيرات العربية في بعض نماذج عمارتها.(٣)

وإذا كان هذا هو الحال في مملكة كشمير، فإن الأمر لم يختلف كثيراً في إقليم البنغال، الذي يقع في أقصى الشرق من شبه القارة الهندية، وإن كانت طبيعته الخصبة، وفرت له ثراءً ونماءً كبيرين، وقد وصفه ابن بطوطة في رحلته بأنه من أكثر أقاليم الهند خصباً ورخصاً في الأسعار، ووفرة في السلع.(٤)

---

(١) أنظر فيما بعد، الفصل الثالث من الباب الثاني من هذه الدراسة.

(٢) أربري، تراث فارس، ترجمة: أحمد محمود الساداتي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٩م، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) ظهر التأثير العربي في مسجد ومقبرة السلطان زين العابدين شاهي خان (٨٢٣-٨٧٥هـ)/(١٤٢٠-١٤٧٠م) - أربري، تراث فارس، ص ١٤٤.

(٤) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦١٣-٦١٤.

أما مملكة جونبور فإن قصر فترة استقلالها عن سلطنة دهلي لم يهيئ لها الفرصة الكافية لظهور ملامح حضارية أو ثقافية ذاتية، اللهم إلا بعض ما تركه سلاطينها من منشآت فخمة من قصور وغيرها.(١)

في حين أدى قرب مملكة مالوه (الواقعة في وسط شبه القارة الهندية) من سلطنة دهلي حيث تقع على الجنوب منها مباشرة إلى تأثرها بما ساد فيها من علوم وفنون وآداب، وإن بلغتها بعض المؤثرات الفارسية الجديدة من الجنوب حيث مملكة الدكن البهمنية، ولكن بصورة طفيفة.(٢)

ويفسر أربري وجود بعض التأثيرات المصرية والشامية في بعض منشآت مملكة مالوه، بأن تلك التأثيرات قد ظهرت بعد وصول سفارة الخليفة العباسي «المستنجد بالله يوسف» (٨٥٩-٨٨٤هـ)/(١٤٥٥-١٤٧٩م) إلى السلطان محمود شاه المخلجي (٨٤٠-٨٧٣هـ)/(١٤٣٦-١٤٦٨م) سلطان مالوه، وذلك في عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م، حاملة خلعة الخلافة والتقليد بالولاية على مالوه.(٣)

أما أبرز الأمثلة على تأثير موارد الدولة وموقعها على نوعية الوافدين عليها، وبالتالي نتائج ذلك على السمات المميزة لثقافاتها وعلومها وفنونها، فتتمثل في مملكة كجرات، فموقعها المتميز الذي يطل بسواحل ممتدة على بحر العرب في شمال غرب شبه القارة الهندية، أهلها كي تصبح منفذ التجارة الهندية إلى شتى بقاع الأرض، مروراً بسواحل شبه الجزيرة العربية ومصر والشام.(٤)

وقد أدت هذه الصلات التجارية المباشرة مع العالم العربي، إلى وجود جاليات عربية كبيرة في كبرى موانئ مملكة كجرات خاصة كنباية التي ضمت عدداً كبيراً من تجار مصر والشام والجزيرة العربية الذين حملوا معهم إلى جانب بضائعهم، عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، بل وطرزهم المعمارية وفنونهم الزخرفية بشتى صورها، كما ساعد انخراط هؤلاء التجار في الحياة العلمية والثقافية (تحصيلاً وتدريساً وتصنيفاً) على ازدياد هذا الاختلاط والامتزاج بين ما حملوه من تأثيرات وبين عناصر الثقافة المحلية الموروثة،

---

(١) أربري، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) أربري، تراث فارس، ص ١٤٠.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢١٨ - أربرى، المرجع السابق، ص ١٤٠ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٠ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٣.

(٤) شوقي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص ٤٥-٤٧.

فأنتج مزيجاً علمياً وثقافياً فريداً أهل هذه المملكة أن تحمل شعلة الحضارة وتقود ركب العلوم والثقافة الإسلامية على امتداد الساحل الغربي لشبه القارة الهندية.(١)

وهكذا كان لقيام هذه الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند أثره في سد الفراغ الثقافي الذي تركته سلطنة دهلي نتيجة ضعف سلاطينها واضطراب أحوالها السياسية، فبقيام الدولة البهمنية بالدكن في أواسط القرن الثامن الهجري / أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، والدولة «المظفرية»(٢) بكجرات في أوائل القرن التاسع الهجري / أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، فتح باب جديد لنشر الكتاب والسنة والعمل بهما، ولعبت هاتان الدولتان دوراً هاماً في نشر علم الحديث وتصنيف كتبه ورعاية المشتغلين به.(٣)

كما ساعدت هذه الدويلات في المحافظة علي المكانة السامية التي كانت للغة العربية في نفوس حكام الهند ورعيتهم، فنال العلماء العرب كل الإجلال والتقدير، كما ظلت المسكوكات تضرب باللغة العربية طوال عهود استقلال تلك الدويلات.(٤)

وتحققت لبلاد الهند بفضل تلك الدويلات وحكامها نهضة علمية وأدبية وفنية، شكلت حجر الأساس لحضارة أكبر دولة عرفتها بلاد الهند على مدى تاريخها، وهي الإمبراطورية الإسلامية المغولية، التي ستنجح لأول مرة في تاريخ شبه القارة الهندية في بسط سيطرتها على جميع أقاليمها وممالكها وتوحيدها تحت راية سياسية واحدة، لتقود ركب الحضارة في تلك البلاد طيلة الثلاثة قرون ونصف القرن التالية (٩٣٢-١٢٧٤هـ)/(١٥٢٦-١٨٥٨م).

---

(١) وأبرز أمثلة هؤلاء التجار الذين اشتغلوا بالعلم أيضاً، محمد بن محمدين وجيه جلال الدين المصري المالكي بن سويد (ت. ٩١٩هـ/١٥١٣م) ولقب بملك المحدثين، وكان ذات قدر ومكانة لدى حاكم كجرات محمود بيكرو - السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص ٩٠-٩١ - محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، ص ٥٣٨.

(٢) * المظفرية = نسبة إلى السلطان ظفر خان مظفر الأول أول من استقل بحكم بكجرات عن سلطان دهلي في عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م وإن كان قد تولى حكمها كوال من قبل سلطان دهلي ناصر الدين محمد شاه الثالث (٧٩٢-٧٩٥هـ)/(١٣٩٠-١٣٩٣م) منذ عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م.
-أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٦٧ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٤٣٥ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٣) الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٢٠٤ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ١٢.

(٤) انظر ملحق رقم (٣) نماذج لعملات سكت باللغة العربية في لدويلات الهند المستقلة.

الفَصْلُ الثَّانِي

العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند

(١) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة كشمير.

(٢) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة البنغال.

(٣) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة الدكن البهمنية.

(٤) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة جونيور.

(٥) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة مالوه.

(٦) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة كجرات.

الفصل الثاني

العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند

تناولنا فيما سبق من هذه الدراسة، كيف كان للعلماء - سواء من رجال الهند أو من أولئك الذين وفدوا على أرضها من شتى أرجاء العالم الإسلامي - الدور الأكبر في سبيل ازدهار الحياة الثقافية والعلمية فيها في عصر سلطنة دهلي، وكيف كان على عاتقهم العبء الأكبر في سبيل المحافظة على تقدم ركب الحضارة الإسلامية في سلطنة دهلي، سواءً بتشجيع من سلاطينها في عهود قوتهم، أو بجهودهم الفردية وإخلاصهم وتفانيهم في أداء واجبهم في فترات الضعف والاضطراب السياسي وانصراف السلاطين إلى الاهتمام بالنواحي السياسية والعسكرية للحفاظ على عروشهم.

ومما لا شك فيه أن الدور الذي لعبه العلماء في الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة في بلاد الهند، لم يكن بأقل أهمية أو فاعلية من نظيره في سلطنة دهلي، حيث كان لعلماء تلك الدويلات ممن ولدوا ونشأوا بها دورهم البارز في الارتقاء بالحياة الثقافية والعلمية بها، إضافة إلى علماء دهلي الذين آثروا الرحيل عنها متوجهين صوب تلك الدويلات لأسباب واعتبارات عدة، منها اعتبارهم أن الأجواء بتلك الدويلات أصبحت أكثر ملاءمة لممارسة حياتهم وأنشطتهم العلمية خاصة في ظل ترحاب سلاطين تلك الدويلات بهم وإكرام وفادتهم، وقد ازدادت أعداد علماء دهلي الوافدين على تلك الدويلات عقب اجتياح تيمورلنك، وما أشاعه من دمار وقتل دفعهم إلى مغادرة المدينة وخاصة بعد معرفتهم بنية تيمور اصطحابهم معه إلى حاضرته سمرقند.[1]

---

(١) لم يكتف تيمورلنك وجنده بإشاعة الدمار في دهلي وما كان يغزوه من بلدان، بل كان يأخذ كثيراً من أهل هذه المناطق أسرى، خاصة أصحاب الحرف والمهن والفنون والعلوم، فرغم جهله بالقراءة والكتابة إلا أنه كان حفياً بأصحاب العلم والأدب والمعارف، حتى بلغت حاضرته سمرقند مركزاً فذاً بين مراكز الثقافة الإسلامية، ويكفينا مثالاً على ذلك أنه اصطحب معه إلى سمرقند عقب غزوه لدمشق ٨٠٣هـ/١٤٠٠/١٤٠١م، المؤرخ والأديب العربي ابن عربشاه (ت.

وعلى صعيد آخر، ساهم العلماء الوافدين على تلك الدويلات من بقاع العالم الإسلامي المختلفة، بما جلبوا معهم من أمهات الكتب في شتى مجالات العلوم، وكذلك الطرق المختلفة في التدريس، إضافة إلى ما صنفوه من كتب علمية ومؤلفات أدبية متميزة، في إثراء المناخ الثقافي والعلمي بتلك الدويلات، تحت مظلة وارفة من الرعاية والاهتمام من قبل حكام وسلاطين تلك الدويلات.

وقد أدى كل ذلك إلى ذيوع صيت تلك الدويلات في العالم الإسلامي، وازدياد وفود العلماء إليها في مختلف فروع العلوم، ومنهم علماء الحديث النبوي والذين كان من أبرزهم، تلاميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) والذي رغم أن جهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف قد اتخذت من مصر مركزاً لها - إلا أن تلامذته قد خرجوا بما اكتسبوه من علمه إلى بلاد الهند، وبذلوا جهودهم المخلصة في سبيل نشر الكتاب والسنة بها[1]، حتى تبوأت مكاناً بارزاً في مجال خدمة علوم الكتاب والسنة في العالم أجمع، وبخاصة علم الحديث النبوي الذي نال عناية خاصة في بلاد الهند خاصة في مملكتي كجرات والدكن البهمنية.[2]

وفيما يلي ذكر لأبرز العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند:-

(١) العلماء ودورهم في مملكة كشمير

سبق وتناولنا فيما سبق في موضعه من هذه الدراسة، أن انتشار الإسلام في كشمير لم يكن بالسيف قدر ما كان بفضل جهود العلماء المسلمين، الذين وفدوا على هذا الإقليم،

٨٥٤هـ/١٤٥٠م)، الذي صنف كتاب "عجائب المقدور في نوائب تيمور" عقب عودته إلى دمشق في عام ٨٣٥هـ/١٤٣١م/١٤٣٢م المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مج١، ص ٢٨٧ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ٢٢٣ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٤٦.

(١) من أهم من وفد إلى الهند لدراسة علم الحديث على أيد علماءها الإمام جلال الدين السيوطي (ت. ٩١١هـ/١٥٠٥م)، فيقول في ترجمته لحياته: "وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب..." وذكر أن مؤلفاته قد بلغت الثلاثمائة كتاب سوى ما رجع عنه - أنظر: السيوطي. حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة، ج١، ص ١٤٠ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ١٥.

(٢) خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ١٢-١٥.

وسعوا إلى نشر الدين الإسلامي به، حيث شهد عام ٩٧هـ/٧١٥م قدوم السيد حميم الشامي إلى إقليم كشمير من بلاد الهند، وكان أول من أقام مسجداً في كشمير في منطقة تُعرف بملجامر.[1] ومن المتفق عليه أن المسجد منذ فجر الإسلام لم يكن مكاناً لأداء الصلوات فحسب، وإنما كان مركزاً لنشر العلوم الإسلامية، من حفظ القرآن، والاجتهاد في التفسير، ودراسة الحديث النبوي الشريف وشرحه، وكذلك الفقه الإسلامي، كما كان داراً للإفتاء والقضاء في كثير من الأوقات، إضافة إلى كونه ملجأ للفقراء والبائسين، مما أهله كي يصبح منطلقاً هاماً للنشاطات العلمية والدعوية، لذلك فلابد وأن يكون مسجد حميم الشامي الذي أقامه في كشمير، قد أدى مسئولياته تجاه نشر القبس الأول من الدعوة الإسلامية في هذا الإقليم.[2]

وقد صمتت المصادر تماماً عن ستة قرون تقريباً، فيما يخص انتشار العلم والثقافة الإسلامية في كشمير منذ عام ٩٧هـ/٧١٥م وحتى عام ٧١٥هـ/١٣٢٤م وهو العام الذي سبق قدوم الشيخ «عبد الرحمن البلبل» (ت. ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) إلى كشمير، ويأتي هذا الصمت إجحافاً لنشاط علمي وثقافي إسلامي في هذه البقعة النائية من العالم الإسلامي المترامي الأطراف أتى ثماره في صورة نسخة من القرآن الكريم، نسخها عالم كشميري يُدعى «فتح الله الكشميري» مترجمة إلى الفارسية[3] وقد كتب الناسخ بيده تاريخ الكتابة قبل سورة «بني إسرائيل» هذا نصه:- «في سنة ستمائة وخمس وثلاثين على يد فتح الله الكشميري» في دلالة على وجود نشاط علمي وثقافي إسلامي في كشمير قبل عام ٧٢٥هـ/١٣٢٤م.[4]

وقد كان لقدوم الشيخ عبد الرحمن البلبل الأثر الكبير في ازدياد رواج الإسلام وعلومه في كشمير، بعد أن كانت تسير سيراً فطرياً أصيلاً، ورغم أن الشيخ المذكور لم يقض في كشمير أكثر من عامين ثم توفي، إلا أنه ترك خلفه عدداً كبيراً من تلامذته ومعتقديه، كان من بينهم حاكم كشمير نفسه وهو الحاكم رينجان شاه الذي تلقب فيما

---

(١) أنظر فيما قبل، الباب الثاني، الفصل الأول، ص ١٤٠.

(٢) محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص ٦٦.

(٣) وهذه النسخة محفوظة في "المجمع الثقافي للفن واللغات" في كشمير - تحت رقم (٩٤) - محمد مظفر، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٤) محمد مظفر، المرجع نفسه، ص ٦٠.

بعد باسم «صدر الدين»، إضافة إلى أثر جهده الكبير في تمهيد الطريق أمام الشيخ علي بن الشهاب الهمذاني (ت. ٧٨٦هـ/١٣٧٩م).[١]

وقد ولد الشيخ العالم الكبير الرحالة علي بن الشهاب بن محمد بن علي الحسيني الهمذاني في عام ٧١٤هـ/١٣١٤م، وتلقى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم نهج طريق التصوف، وأخذ الطريقة عن عدد من شيوخ عصره، ثم إنه خرج للترحال، فسار في البلدان حتى أدرك كبار المشائخ والعلماء، وقد دخل كشمير للمرة الأولى في عام ٧٤٠هـ أو ٧٤١هـ/١٣٤٠م، ومكث بها ما يقرب من الأربعة أشهر، توجه بعدها للحج. أما المرة الثانية التي دخل فيها كشمير فكانت في عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م أي بعد ما يقرب من الثلاثين عاماً من زيارته الأولى، وقد كانت زيارته الثانية هذه في عهد السلطان «قطب الدين هندال» (٧٧٢-٧٨٨هـ)/(١٣٧٠-١٣٨٦م)، إثر خلاف بينه وبين تيمورلنك في معنى «الحكمة»، وقد قيل أن تلك الزيارة كانت في عام ٧٨١هـ/١٣٧٩م وعلى أية حال، فقد دخل الشيخ علي الهمذاني إلى كشمير ومعه جمع من أصحابه بلغ السبعمائة وقد عُرفوا في كشمير بـ «السادات»، فكانت «أكبر جالية إسلامية ... في تاريخ العالم»، وكان كل واحد منهم «أمة وجماعة في نفسه»[٢]. ... بعثهم الشيخ علي الهمذاني إلى جميع نواحي كشمير، يدعون إلى الإسلام ويرسون مبادئه، بتوجيهات من الشيخ الذي مكث بكشمير في هذه المدة ما يقرب من العامين ونصف العام، أرسى خلالها القواعد على الأساس الذي كان على وشك الاندثار. كما يرجع إليه الفضل في أن تحولت كشمير إلى بقعة إسلامية لها ثقافتها وحضارتها، وبمساعيه وأصحابه أقيمت المدارس والزوايا، وشيدت المساجد وعمرت.[٣] وللشيخ علي الهمذاني مصنفات كثيرة أغلبها بالفارسية وهي لسانه الأصلي وبعضها باللغة العربية.[٤]

ومن مصنفاته بالفارسية، «ذخيرة الملوك» وهو شرح فصوص الحكم لابن عربي (ت. ٦٣٨هـ/١٢٤١م)[٥]، و «مشارب الأذواق» وهو شرح على الميمية لابن الفارض (ت.

(١) محمد مظفر، نفسه، ص ٦٢-٦٣.

(٢) محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص ٦٤

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٨٧-٨٨ - محمد مظفر، المرجع السابق، ص ٦٣-٦٤، ص ٦٧.

(٤) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٨٨.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٢٦٢.

٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، و «مرآة التائبين في التوبة»، ومنها «المنامية» في الرؤيا، و «الهمذانية في تحقيق لفظ همذان» و «الوجودية» في تحقيق الوجود، و «التلقينية»، و «المشبه»، و «مشكل حل» في تحقيق الكلام، و «النورية» في أحسن الطرق وأخصرها، و «رسالة في آداب المشيخة»، و «رسالة في مقامات الصوفية وأحوالهم ودرجاتهم ومعنى الفقر وما يتعلق به»، ومنها «رسالة في مناقب أهل البيت»، و «رسالة في آيات الأحكام» من القرآن الكريم، ومن مصنفاته باللغة العربية «الرسالة الذكرية» و «منازل السالكين».[١]

وقد توفي الشيخ علي الهمذاني في عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م بعد أن أحدث تحولاً في تاريخ كشمير الدعوي والعلمي والثقافي الإسلامي.[٢]

ومن علماء الإسلام الذين أدلوا بدلوهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة كشمير، الشيخ الفاضل العلامة محمد بن علي بن الشهاب الهمذاني (وهو ابن الشيخ علي الهمذاني السابق)، قدم كشمير وله اثنتان وعشرون سنة، وتلقب بـ «شرف الدين»، وقد تلقى العلم على يد والده وكثير من علماء عصره، وله مصنفات عديدة، منها «شرح الشمسية»[٣] في المنطق، و «البحر الزخار»، ورسالة تُسمى «جامعة الفنون» صنفها وهو ابن ثلاثة وعشرون عاماً، ذكر في مقدمتها «أردت مع صغر السن وقصور البضاعة والفتور في هذه الصناعة (أي العلوم الحكمية) أن أجمع بعض العلوم الكشفية والعقلية، المشهورة المعتبرة في نسخة واحدة، وأعرض عن ذكر المقدمات والمباحث الزائدة، وجاءت من قواعد العلوم ببعضها، واختصرت مع جميع مباحثها، مبتدياً إلى تصغير حجم الكتاب، وتسهيلاً لحفظه بالخير والصواب ففرغت بتوفيق الله وقضائه وقد كان مقدار عمري نبوة أبي القاسم محمد عليه السلام».[٤]

وقد أقام الشيخ محمد بن علي الهمذاني بكشمير اثنتي عشرة عاماً، ثم توجه إلى الحرمين الشريفين في سنة ٨٠٠ هـ/١٣٩٧م، فحج وزار، ثم عاد إلى الهند حيث توفي بكشمير وبها دفن في مقبرة والده، وذلك في عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م.[٥]

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ٨٨-٩٠.

(٢) الندوي، نفسه، ج٢، ص ٩٠ - محمد مظفر، المرجع نفسه، ص ٦٤.

(٣) والشمسية متن مختصر في المنطق، صنفه الشيخ نجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م وهو تلميذ نصير الدين الطوسي (ت. ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) - أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٠٦٣.

(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٤٣.

(٥) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٤٣.

ومن أشهر رجال التصوف في كشمير الشيخ نور الدين الكشميري، ولد في عام ٧٥٧ هـ/١٣٥٦م وأخذ العلوم والمعارف من الشيخ محمد بن علي بن الشهاب الهمذاني (ت. ٨٠٩ هـ/١٤٠٦م)، ولازمه مدة، وقد توفي بكشمير في عام ٨٤٢ هـ/١٤٣٨م ودُفن بها. (١)

كذلك الشيخ بهاء الدين الكشميري، الذي أخذ العلم والمعرفة عن الشيخ أبي إسحاق الجيلاني، أحد تلامذة الشيخ علي الهمذاني (ت. ٧٨٦ هـ/١٣٨٤م)، وقد سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار ثم عاد إلى كشمير ونال شهرة عريضة بها، ثم قتل على يد اللصوص في عام ٨٤٩ هـ/١٤٤٥م بكشمير ودُفن بها. (٢)

أما الشيخ العالم جمال الدين الكشميري، فهو من رجال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، وكان من أبرز العلماء في الفقه والحديث والأصول واللغة العربية، قدم كشمير صحبة الشيخ علي الهمذاني، وأقام بها امتثالاً لأمره من أجل التفرغ لتعليم السلطان قطب الدين هندال (٧٧٢-٧٨٨هـ)/(١٣٧٠-١٣٨٦م)، فتفرغ للدرس والإفادة حتى توفي بكشمير وبها دُفن. (٣)

- أما في مجال الصناعة الطبية، فقد اشتهر في كشمير الشيخ الفاضل منصور بن محمد بن أحمد الكشميري، وهو أيضاً من رجال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وكان من العلماء البارزين في هذا المجال، وقد صنف كتاب «الكفاية المجاهدية»، نسبة إلى السلطان مجاهد السلطنة والدين السلطان زين العابدين شاهي خان (٨٢٠-٨٧٢هـ)/(١٤١٧-١٤٦٨م) تاسع سلاطين مملكة كشمير، وهو كتاب في حفظ الصحة وأبواب من الطب. (٤)

وهكذا كان لهؤلاء العلماء الفضل في ازدهار العلوم والثقافة الإسلامية في كشمير، حتى أصبحت أحد أكثر ممالك الهند المستقلة ازدهاراً.

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٧٨.
(٢) الندوي، نفسه، ج٣، ص ٤٢.
(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٥٠-٥١.
(٤) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٧٠.

(٢) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة البنغال

ولم يكن حظ علماء مملكة البنغال ممن تناولتهم مصادر التاريخ الإسلامي، خاصة كتب التراجم والطبقات العامة والخاصة حظاً وافراً، حيث أمدتنا تلك المصادر بكم ضئيل من تراجم هؤلاء العلماء، الذين ساهموا في مد عجلة العلوم والثقافة الإسلامية في تلك المملكة بطاقة إعانتها على الاستمرار في الدوران.

وقد لوحظ غلبة التصوف ورجاله على هذا النذر اليسير جداً من تراجم علماء البنغال في تلك الفترة ولعل أبرز هؤلاء:-

- الشيخ عمر بن أسعد اللاهوري الشيخ علاء الدين الهندوي، أحد العلماء البارزين في علوم الفقه والأصول واللغة العربية، ذكر أن والده كان وزيراً لبعض ملوك بنغالة، ومن أجل ذلك كانت له المنزلة الكبيرة عند الملوك والأمراء، وطار صيته في الآفاق، وكان يدرس ويفيد حتى أخذ عنه جمع غفير من الناس، وظل كذلك حتى أخذ طريق التصوف، وترك البحث والاشتغال، وتولى المشيخة وأخذ عنه أيضاً خلق كثير، حتى توفي في مستهل رجب من عام ٨٠٠هـ/١٣٩٨م. (١)

وقد كان الشيخ أحمد بن سليمان بن أحمد الشهاب المصري السكندري المالكي المعروف بالتروجي(٢)، من كبار العلماء الوافدين على مملكة البنغال، حيث جال في البلاد ودخل العراق والهند، ثم دخل مملكة البنغال، وعظم أمره فيها، وذكر السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) في الضوء اللامع أنه «حصل له فيها دنيا عريضة ثم ذهبت عنه»(٣)، وقد انتقل إلى الحجاز وأقام بالحرمين عاماً، وقد وصف بأنه كانت له نباهة في العلم، ويذاكر بأشياء حسنة من الحكايات والشعر، وينطوي على خير، حتى أنه وقف عدة كتب وجعل مقرها رباط الخوزي بمكة حيث كان يقيم وبه توفي في عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م عن عمر ناهز الستين عاماً. (٤)

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٩٥.
(٢) التروجي = نسبة إلى تروجة من نواحي الإسكندرية، حيث سكن بها وقتاً – السخاوي، الضوء اللامع، مج١، ج١، ص ٣٠٨.
(٣) السخاوي، المصدر السابق، مج١، ج١، ص ٣٠٧.
(٤) السخاوي، المصدر نفسه، مج١، ج١، ص ٣٠٧-٣٠٨.

وكان الشيخ نور الدين أحمد بن عمر بن أسد اللاهوري البندوي من كبار أهل التصوف في البنغال، ولد ونشأ بمدينة بندوه من أرض البنغال وأخذ العلم والطريقة عن أبيه الشيخ علاء الدين البندوي (ت. ٨٠٠هـ/١٣٩٨م)، وانقطع إلى الله سبحانه، ثم لما توفي والده، تولى الشياخة بعده، وأخذ عنه كثير من المشايخ، وقد صنف عدة رسائل منها «مؤنس الفقراء»، و«كتاب في أذكار القوم وأشغالها» وكذلك «أنيس الغرباء»، وقد توفي في ذي القعدة من عام ٨١٨هـ/١٤١٦م بمدينة بندوة ودُفن بها.(١)

وقد ذكر السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) عن أحد صوفية الهند ويُدعى غريب بن عبد الله البنغالي الحنفي، أنه قدم القاهرة في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، وأنه رحل إلى كل من خراسان وبغداد والروم وحلب(٢) والشام، والمساجد الثلاث ومصر، كما ذكر أن عمره وقت دخوله مصر تسع وأربعين سنة، وأن شيخه في السلوك يُدعى «ستن الدين البنغالي»، ثم روى الكثير عن زهده، وتقشفه، وقدرته الكبيرة والعجيبة في التحكم في حاجاته من الغذاء ونحوه.(٣)

أما الشيخ جلال الدين المكجراتي، فكان من أشهر رجال الصوفة على الطريقة الجشتية، وقد ولد ونشأ بأرض كجرات، ثم سافر إلى بنغالة، وقد أسلم على يده خلق كثير من أهلها، وصف بأنه كان شيخاً جليلاً، وقوراً، عظيم الهيبة، كبير المنزلة، مرزوق القبول، يجلس على السرير مثل الملوك والسلاطين، ويحكم في الناس كحكمهم، وقد توفي بالشهادة في عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م.(٤)

(٣) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة الدكن البهمنية

أذِن قيام الدولة البهمنية في بلاد الدكن جنوب شبه القارة الهندية في أواسط القرن الثامن الهجري / أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، بفتح باب جديد لنشر الكتاب

(١) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٥-٢٧.

(٢) حلب = مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسُميت بحلب (رجل من العمالقة)، وقيل لأن خليل الله إبراهيم عليه السلام كان يحلب غنمه بها ويتصدق بلبنها يوم الجمعة فيقول الفقراء: حلب، فسميت بذلك، وهي مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، ولها سبعة أبواب ... القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٨٣.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، مج٣، ج٦، ص ١٦٠.

(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٤٩.

والسنة والعمل بهما، ولعبت هذه الدولة دوراً هاماً في نشر علوم القرآن والسنة واللغة العربية، كما نالت تقدماً كبيراً في مجال العلوم العقلية من الطب والهندسة والفلك والمنطق والحكمة وغيرها وقد اشتهر بها عدد كبير من العلماء من رجال الهند ومن الوافدين عليها في تلك العلوم.(١)

ولعل أبرز هؤلاء العلماء:-

الشيخ الفاضل عليم الدين الحكيم التبريزي، وكان من الأطباء الحاذقين ببلدة كلبركة، من مملكة الدكن البهمنية، وذلك في عهد السلطان علاء الدين حسن البهمني (٧٤٨-٧٥٩هـ)/(١٣٤٧-١٣٥٨م)، وقد مارس الطب عملاً وتدريساً.(٢)

السيد الشريف العلامة محمد المنجم البدخشي من رجال القرن الثامن الهجري، وكان من العلماء البارزين في علوم الهيئة والهندسة والفلك، ولاه السلطان علاء الدين حسن البهمني قضاء العسكر في مدينة كلبركة، فأقام بها مدة حياته حتى توفي ودُفن بها.(٣)

الشيخ الفاضل العلامة نصير الدين الشيرازي، كان طبيباً شهيراً، ممارسة وتدريساً وقد وفد على الهند وسكن مملكة الدكن في عهد السلطان علاء الدين حسن البهمني المذكور، وكان يمارس الطب ويدرسه في مدينة كلبركة.(٤)

وقد كان الشيخ الفاضل العلامة صدر الدين السمرقندي، من كبار العلماء الذين برزوا في علوم الهيئة والنجوم وسائر الفنون الحكمية، وقد تولى الصدارة بأرض الدكن في سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م في عهد السلطان علاء الدين حسن البهمني، وظل بها حتى وفاته في عهد السلطان علاء الدين مجاهد شاه البهمني (٧٧٦-٧٨٠هـ)/(١٣٧٤-١٣٧٨م) في مدينة كلبركة وبها دُفن.(٥)

في حين كان الشيخ عين الدين المبيجابوري قد ولد بدار الملك دهلي في عام

(١) خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ١٢، ص ١٥.

(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٨٦.

(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٥٥.

(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٧٤.

(٥) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ٦٣-٦٤.

٧٠٦هـ/١٣٠٦م، ونشأ بها، وأخذ العلم عن كبار علمائها، ثم رحل إلى دولة آباد الدكن، وأخذ العلم بها حتى استقر به المطاف في مدينة بيجابور الدكنية في عام ٧٧٣هـ/١٣٧١م، فظل بها بقية حياته يدرس ويصنف، وقد بلغ عدد مصنفاته مائة واثنتين وثلاثين كتاباً، أشهرها «الملحقات في التاريخ»، و«طور الأبرار»، كتاب في «الأنساب»، و«تاريخ الأولياء من أهل الهند»، وقد توفي في جمادى الآخرة من عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م بمدينة بيجابور وبها دُفن.(١)

الشيخ الفاضل العلامة لطف الله السبزاوي، أحد العلماء الذين برزوا في المنطق والحكمة في مملكة الدكن في عهد السلطان «فيروزشاه البهمني» (٨٠٠-٨٢٥هـ)/(١٣٩٧-١٤٢٢م) وقد بعثه السلطان المذكور برسالة إلى تيمورلنك حينما سمع بعزمه على غزو الهند، فذهب إليه بالرسالة في عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م، فأقام لديه ستة أشهر، عاد بعدها ظافراً إلى مدينة كلبركة.(٢)

الشيخ العالم الكبير حسين بن محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي، ثم الكلبركوي، الشهير بـ «محمد الأكبر»، ولد بدار الملك دهلي ونشأ بها، وتلقى العلم على كبار علمائها، حتى برز في النحو واللغة العربية والفقه والأصول والكلام، ومن مصنفاته «المعارف» باللغة العربية في النحو «وشرح الملتقط» لوالده، و«شرح السوانح»، و«رسالة في العقائد» بالفارسية ورسالة في إباحة السماع(٣)* ورسالة في إباحة لبس النعلين في المسجد، ورسالة في مقامات الصوفية، ورسالة في التصريف بالفارسية، وقد توفي في حياة أبيه في مدينة كلبركة سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م ودُفن بها.(٤)

الشيخ علي بن أحمد الزمزمي، ولد ببلاد الهند، وحمل إلى مكة طفلاً فنشأ بها وحفظ القرآن، كما حفظ كتباً في الفقه الحنفي حتى برع فيه، وقد دخل بلاداً عديدة سعياً وراء العلم والمعرفة، فدخل شيراز واليمن، وعاد إلى الهند أكثر من مرة حتى نال شهرة ومكانة كبيرة في مدينة كلبركة الدكنية، وقد توفي غريقاً في إحدى مرات عودته إلى بلاد الهند من مدينة عدن في عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م.(٥)

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص٩٨-٩٩.
(٢) الندوي، نفسه، ج٣، ص ١٢٣-١٢٤.
(٣) * السماع = تعني الاستماع إلى الموسيقى.
(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٦٣.
(٥) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص١٠٦-١٠٧.

الشيخ محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي، ولد في عام ٧٢١هـ/١٣٢١م في دار الملك دهلي، ورحل إلى دولة آباد وهو ابن أربع سنوات بأمر محمد تغلق شاه الثاني سلطان دهلي، ثم عاد إلى دهلي وهو ابن ست عشرة سنة، ثم خرج منها مرة أخرى أمام الغزو التيموري في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م، وتوجه صوب كجرات ومنها إلى دولة آباد الدكن مرة أخرى، وعندها استقدمه السلطان تاج الدين فيروزشاه البهمني إلى مدينة كلبركة في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م، فسكن بها ومارس التدريس، وكان بارعاً في علوم الفقه، والتصوف، والتفسير، وغيرها.(١)

وقد ترك الشيخ الحسيني الدهلوي مصنفات عديدة لعل أبرزها «تفسير القرآن الكريم على لسان المعرفة»، و«تفسير القرآن على منوال الكشاف»، وتعليقات على خمسة أجزاء من الكشاف، ومنها «شرح مشارق الأنوار على لسان المعرفة»، وكذلك ترجمة «المشارق» بالفارسية، وله كتاب «أسماء الأسرار»، و«حدائق الأنس»، و«آداب السلوك»، ومن أشهر مصنفاته كتاب «الأربعين» في الحديث، وقد أورد تحت كل حديث شطراً من آثار الصحابة والتابعين والمشايخ القدماء، إلى غير ذلك من المصنفات، التي قضى في تصنيفها جلّ حياته، حتى توفي في عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م بمدينة كلبركة، وبها دُفن.(٢)

الشيخ علي بن أحمد المهائمي الدكني، الهندي الحنفي، ولد في عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، وكان فقيهاً ومفسراً وصوفياً، ومن اشهر مصنفاته «التفسير الرحماني» أو «تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن»، و«الزوارف في شرح العوارف»، و«شرح فصوص الحكم»، و«شرح النصوص» للشيخ صدر الدين القونوي (ت. ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، و«أدلة التوحيد» إلى غير ذلك من المصنفات منها «النصرة في أحكام الفطرة» كما صنف في أسرار الفقه ومحاسن الشريعة كتاباً أسماه «إنعام الملك العلام بأحكام حكم الأحكام»، كما له رسالة في الفقه الشافعي، وقد توفي الشيخ علي المهائمي في عام ٨٣٥هـ/١٤٣٢م.(٣)

(١) البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص ٤ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦٥ - الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٥٢-١٥٦.
(٢) البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٤ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦٥ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٥٢-١٥٦.
(٣) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص٢١٩ - البغدادي، المرجع السابق، ج١، ص ٥٢، ص ٦١٤، ج٢، ص ٦٥١ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٢ مج، استانبول ١٩٥١م، مج١، ص ٧٣٠ - أيوب تاج الدين، المرجع السابق، ص ٦٦ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٠٥-١٠٦.

الشيخ الفاضل عبد الغني الحنفي المندوي، الذي كان من أبرز علماء الفقه والأصول واللغة العربية، وقد تولى الصدارة في عهد السلطان أحمد شاه البهمني (٨٢٥-٨٣٨هـ)/(١٤٢٢-١٤٣٥م) في مدينة بيرار الدكنية.[١]

ومن أبرز العلماء الذين وفدوا على مملكة الدكن البهمنية وعظم أمرهم بها الشيخ محمد بن محمد العلاء أبو عبد الله العجمي البخاري الحنفي، وقد ولد في عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ببلاد العجم ونشأ بها، وقد رحل في شبابه إلى أقطار عدة بغية طلب العلم، حتى نبغ في الفقه والأصلين والعربية واللغة والمنطق والجدل والمعاني والبيان والبديع وغيرها من العلوم، كما ترقى في التصوف وكان ماهراً في الأدبيات.[٢]

وقد توجه نحو كلبركة من بلاد الدكن فسكن بها ونشر العلم والتصوف، وكان ممن قرأ عليه ملكها وترقى عنده لما وقر عنده من علمه وزهده وورعه، ثم رحل إلى مكة فجاور بها، ثم القاهرة فأقام بها سنتين ثم رحل إلى دمشق وبها توفي في عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م.[٣]

أما الشيخ أبو الفتح بن العلاء الكالپوي، فكان من كبار علماء النحو والصرف والتصوف، حيث أخذ الطريقة السهروردية، ثم توجه إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار ثم عاد إلى كلبركة، وللشيخ الكالپوي مصنفات رشيقة منها «التكميل في النحو»، و«المشاهدة في التصوف»، وقد توفي في مدينة كالپى الدكنية في عام ٨٦٢هـ/١٤٥٧م ودُفن بها.[٤]

ومن كبار علماء الفقه والأصول والعربية، الشيخ القاضي الفاضل إبراهيم بن فتح الله بن أبي بكر بن فخر الدين الملتاني، ولد ونشأ بمدينة ملتان وقرأ العلم بها على أساتذة عصره، ثم سافر إلى مملكة الدكن جنوباً، فدخل مدينة بيدر في عهد السلطان علاء الدين البهمني (٨٣٨-٨٦٢هـ)/ (١٤٣٥-١٤٥٨م)، وتقرب إليه، ولما توفي السلطان المذكور، جعل القاضي إبراهيم بن فتح الله الملتاني معلماً لولديه «نظام شاه» و «محمد شاه»، وفي عهد محمد شاه، ولي القضاء بمدينة بيدر وصار أكبر قضاة الدكن، وقد صنف كتباً عديدة

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٩٣.
(٢) السخاوي، الضوء اللامع، مج ٥، ج٩، ص ٢٩١.
(٣) السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج٩، ص ٢٩١-٢٩٤، مج٢، ج٣، ص ٢٢٣.
(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٣-٤.

منها «معارف العوارف» باللغة العربية، وهو في تعريفات العلوم والفنون، وقد توفي في عام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م بمدينة بيدر وبها دُفن.[١]

- وقد وفد الشيخ زين الدين البغدادي - أحد أشهر صوفية بغداد - على بلاد الهند، ودخل أحمد أباد بيدر من بلاد الدكن، وذلك في عهد السلطان علاء الدين شاه البهمني، وقد اشتهر الشيخ زين الدين البغدادي بـ«كنج نشين» أي «المعتزل»، وقد ظل بمدينة بيدر حتى توفي في عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م وبها دُفن.[٢]

ومن أبرز الشخصيات التي جمعت بين مجالات العلوم والسياسة والتجارة، الشيخ الفاضل الكبير عماد الدين محمود بن محمد بن أحمد الكيلاني الشهير بـ «محمود كاوان»، ويُقال له أيضاً «ملك التجار»، و«خواجة جهان»، ولد في نحو عام ٨١٣هـ/١٤١٠م، ثم دخل القاهرة وتتلمذ على يد الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وذلك في عام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، ثم توجه إلى الشام طلباً للعلم، وقد جال في بلاد كثيرة، وجمع في رحلاته تلك بين اكتساب العلم والاسترزاق بالتجارة، ثم دخل الهند، ونزل بأرض مملكة الدكن، وله ثلاثة وأربعون عاماً، وذلك في عهد السلطان علاء الدين أحمد شاه البهمني (٨٣٨-٨٦٢هـ)/(١٤٣٥-١٤٥٨م)، فتقرب إليه وتدرج حتى وصل إلى الإمارة، وقد لقبه السلطان همايون شاه البهمني بن أحمد شاه (٨٦٢-٨٦٥هـ)/(١٤٥٨-١٤٦١م) بلقب «ملك التجار»، ثم استوزره، وجعله «جملة الملك»[٣]، وعينه معلماً لولديه نظام شاه، ومحمد شاه، ثم لقبه السلطان محمد شاه لشكري البهمني (٨٦٧-٨٨٧هـ)/ (١٤٦٣-١٤٨٢م) بـ «خواجة جهان»[٤].[٥]

وكان عماد الدين محمود الكيلاني عالماً كبيراً بارعاً في كثير من العلوم، لا سيما

(١) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٢-٣.
(٢) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٧٤-٧٥.
(٣) جملة الملك = لم أقف لها على تعريف.
(٤) خواجه جهان: لفظة فارسية كانت تُطلق على كبار التجار، و"خواجة" بمعنى تاجر - ثري - كبير، أما "جهان" فتعني العالم، وقد تأتي هنا بمعنى "التاجر الكبير" أو "العالم الكبير" - أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٣ - مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٦٨.
(٥) السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج١٠، ص ١٤٣-١٤٥.

الرياضيات وصناعة الطب، وكذلك الإنشاء وقرض الشعر، كما كان يجذل على أهل العلم الصلات والعطايا، كما أنشأ المدرسة العظيمة التي عرفت باسمه في مدينة أحمد أباد بولاية بيدر الدكنية، وذلك في عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م، وهي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا.(١)

وقد صنف كتباً عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر «مناظر الإنشاء»، و«ديوان الشعر الفارسي».(٢) وقد أدار الخواجة محمود لشاوان مملكة الدكن البهمنية منذ تولى السلطان محمد شاه لشكري السلطة، حيث تولاها وهو ابن سبع سنوات، فساس محمود لشاوان أمور المملكة، واتسع به الملك، ثم وشى به أعداؤه لدى السلطان محمد شاه لشكري، الذي كان قد ضاق ذرعاً من تحكمه في أمور المملكة ورقابته الصارمة عليه كي يمنعه من إساءة التصرف والانخراط في اللهو والمجون، فاستدعاه السلطان يوماً إلى قصره فوثبت عليه عبد حبشي ضربه بالسيف على كتفه وكرر الضربات حتى قتله وكان ذلك في صفر من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م وقد عم الحزن عليه في مملكة الدكن وخارجها.(٣)

(٤) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة جونبور

بلغت مملكة جونبور – رغم قصر مدة استقلالها من سلطنة دهلي في عهد سلاطين الشرق (٧٩٦-٨٨١هـ)/(١٣٩٤-١٤٧٦م) – مكانة كبيرة في مجال العلوم والثقافة الإسلامية، خاصة في عهد السلطان شمس الدين إبراهيم (٨٠٣-٨٤٤هـ)/(١٤٠٢-١٤٤٠م) الذي أولى الحياة الثقافية والعلمية في مملكته عناية خاصة، حتى خرج من هذه المملكة جمع جم من أهالي العلم والمشيخة.(٤)

إضافة إلى عدد كبير من علماء المسلمين ممن وفدوا على أرضها وأدلوا بدلوهم في الحياة الثقافية والعلمية بها.

(١) أحمد محمد الجورانة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص١٩١ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٢-١٦٣.
(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٣٩ – طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مج١، ص ٢٠٨ – الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٦٣.
(٣) السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج١٠، ص ١٤٣-١٤٥ – الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٣١، ص ٣٩ – طاش كبري زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، مج١، ص ٢٠٨ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٢-١٦٥ – محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، ص ٣٦٠.
(٤) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٩.

ومن أبرز علماء مملكة جونبور القاضي نصير الدين الجونبوري، أحد العلماء البارزين في علوم النحو واللغة العربية والفقه والأصول، وكان مولده ونشأته بدار الملك دهلي، وقد تلقى العلم على القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي(١) (ت. ٧٩١هـ/١٣٨٩م)، وكان القاضي يوليه عناية فائقة، حتى بلغ من العلم درجة أهلته للتدريس والإفادة بدهلي زمناً طويلاً، انتقل بعده منها إلى جونبور أثناء الغزو التيموري ٨٠١هـ/١٣٩٩م، وتولى القضاء بها، ثم اعتزل الناس، وانقطع إلى الزهد والعبادة، حتى توفي في جونبور في عام ٨١٧/١٤١٤م ودُفن في حجرته.(٢)

أما الشيخ صفي الدين بن نصير الدين بن نظام الدين الردولوي، فقد كان من نسل الإمام أبي حنيفة النعمان (ت. ١٥٠هـ/٧٦٧م) رضي الله عنه، قدم جده نظام الدين إلى دهلي، ولبث بها زماناً، ثم رحل إلى جونبور وسكن بها، وقد ولد الردولوي بها وتلقى العلم بها على يد كبار علمائها، حتى قيل عنه أنه كان «نادراً من نوادر الدهر في العلم والحكمة».(٣)

وقد صنف مصنفات عديدة منها «دستور المبتدي» في علم الصرف(٤)، وكانت وفاته في الثالث عشرة من ذي القعدة من عام ٨١٩هـ/١٤١٦م.(٥)

في حين كان الشيخ الفاضل حسام الدين بن نصر الله الأصفهاني ثم الهندي الجونبوري من كبار مشائخ الصوفية في مملكة جونبور، وكان على الطريقة الصوفية المعروفة بـ«المدارية»، وقد عمل بالتدريس والإفادة مدة طويلة في عهد السلطان إبراهيم الشرقي، حتى توفي بجونبور في عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م.(٦)

ثم الشيخ حسام الدين الفتح بوري، أحد الفقهاء البارزين في الفقه والأصول،

(١) أنظر ترجمته فيما قبل، الباب الأول، الفصل الثاني، ص٨٠-٨١.
(٢) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٧٢-١٧٣.
(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٨٩-٩٠.
(٤) علم الصرف = ويُسمى أيضاً بعلم التصريف، وهو علم بأصول تُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء، والمراد من بناء الكلمة وكذا من صياغتها ووزنها، هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار حروفها الزائدة والأصلية كل في موضعه – للمزيد – القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص ٣٤٥-٣٤٨.
(٥) الندوي، المرجع السابق، ص ٨٩-٩٠.
(٦) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٥٤.

تلقى العلم على يد القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي، وأخذ عنه الطريقة، ثم خرج من دهلي في فتنة الأمير تيمورلنك، فرحل إلى مدينة فتح پور، وهي قرية جامعة في إقليم أودة التابع لمملكة جونپور، فسكن بها، وأخذ عنه خلق كثير من علماءها، وقد اختلف في تاريخ وفاته، حيث قيل أنه توفي في عام ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، في حين يؤكد البعض أنه توفي في عهد السلطان إبراهيم الشرقي مابين عامي ٨٠٤هـ/١٤٠٢م و ٨٤٤هـ/١٤٤٠م.(١)

وقد كان القاضي شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الزاولي من كبار علماء الفقه والأصول واللغة العربية، وكذلك التفسير، وكان مولده بمدينة دولة آباد دهلي، وتلقى العم بها على يد كبار علماءها، منهم القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي (ت. ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م)، والشيخ خولجكي الدهلوي (ت. ٨٠٩هـ/١٤٠٦م)، وقد وصفه القاضي الشريحي الكندي قائلاً: «أتاني من الطلبة من جلده علم ولحمه علم وعظمه علم».(٢)

وقد خرج الزاولي من دهلي صوب جونپور في أثناء الغزو التيموري، ودخلها في عهد السلطان إبراهيم الشرقي، الذي اغتنم فرصة قدوم الزاولي ولقبه بـ«ملك العلماء»، فعمل الزاولي بالتدريس والتصنيف، وكانت أهم مصنفاته «السراج الوهاج والبحر المواج» في التفسير وهو باللغة الفارسية، و«الحواشي على كافية النحو» و«إرشاد الطالبين» في النحو أيضاً، و«بديع الزمان» في البلاغة، و«شرح البزدوي» في أصول الفقه، و«رسالة في تقسيم العلوم» و«مناقب السادات» .... وغيرها، وقد توفي الزاولي في عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م.(٣)

أما الشيخ أبو الفتح بن عبد الحي الجونپوري، فقد ولد في عام ٧٧٢هـ/١٣٧١م، وكان عالماً كبيراً بارعاً في الفقه والأصول والكلام واللغة وقرض الشعر، وقد منحه الله سبحانه قسطاً وافراً من الفصاحة والبلاغة، وكيف لا وقد نشأ في كنف جده القاضي عبد المقتدر بن ركن الدين الشريحي الكندي الدهلوي، وهو من هو من كبار علماء اللغة

(١) الندوي، نفسه، ج٣، ص ٥٤.
(٢) القنوجي، أبجد العلوم، ج٣، ص ٢١٩ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٢٠.
(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٦٨، ج٢، ص ١٣٧١ – القنوجي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٩ – البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص ١٦٦، ص ١٧٠، ص ١٧٢ – أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص ٦٦ – الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٩-٢٠.

في بلاد الهند، فأخذ عنه قسطاً وافراً من المعارف أهلته للتدريس في دهلي، حتى إذا ما كان الغزو التيموري، نجده قد رحل عن دهلي متوجهاً صوب مملكة جونپور ودخلها وقد شارف على الثلاثين من العمر، وقد سكن بها حتى توفي في عام ٨٥٨هـ/١٤٥٤م بعد أن قضى بها ما يقرب من الستين عاماً.(١)

ومن أشهر فقهاء جونپور، القاضي نظام الدين أحمد بن محمد الجونپوري، وكان من كبار فقهاء الحنفية في بلاد الهند، وهو عربي الأصل، كان أحد أسلافه من العرب قد وفد على كجرات وسكن بها، وبها ولد القاضي نظام الدين وبها نشأ وقرأ العلم على كبار أساتذة عصره بها، فبرز في علوم الفقه والأصول، ثم توجه إلى مملكة جونپور ودخلها في عهد السلطان إبراهيم الشرقي (٨٠٣-٨٤٤هـ)/(١٤٠٢-١٤٤٠م)، الذي ولاه القضاء وخصه بأنظار العناية والقبول، وقد صنف له القاضي نظام الدين كتاباً في الفقه الحنفي أسماه «فتاوي إبراهيم شاهية»، وقد توفي في عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، وقيل في عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م بجونپور وبها دُفن.(٢)

كما كان الشيخ الفاضل عبد الملك العادل بن عماد الملك العمري الجونپوري، من أبرز علماء مملكة جونپور، حيث نبغ في علم النحو واللغة العربية، واشتغل بتحصيل العلم منذ صغره، ثم اتجه للتدريس والإفتاء، وصار من أكابر العلماء، وقد انتهت إليه رئاسة التدريس في مدرسة أستاذه القاضي شهاب الدين الدولت آبادي، وصنف تصانيف عدة لعل أشهرها، «حاشية على شرح كافية بن الحاجب»(٣)، وقد توفي في عام ٨٩٧هـ/١٤٩١م بجونپور وبها دُفن.(٤)

ومن أشهر علماء جونپور في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، الشيخ الفاضل خضر بن الحسن بن المبارك بن عثمان بن محي الدين العمري الأدهي البلخي، وكان من أبرز علماء الحديث، قدم الهند، ودخل جونپور، فولي التدريس بمدينة لكهنو

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٣.
(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٢١-٢٢.
(٣) ابن الحاجب = هو الشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بـ "ابن الحاجب"، المالكي النحوي المتوفى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، وكتابه هو "الكافية في النحو وصفه صاحب كشف الظنون بأنها "مختصرة معتبرة، شهرتها مغنية عن التعريف – حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٣٧٠.
(٤) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٩٨-٩٩، ص ١٢٠.

وأقطع قرى عديدة من أعمال إقليم مليح آباد الجونبوري.[1]

في حين كان الشيخ الفاضل الكبير القاضي رضي الدين بن نصر الدين بن نظام الدين الحنفي الردولوي الجونپوري المولد والنشأة والإقامة، ممن برع من علماء الهند في الفقه والأصول والكلام واللغة العربية، وقد ولاه السلطان إبراهيم الشرقي القضاء في مدينة ردولي فسكن بها، وكان يمارس التدريس إلى جانب القضاء.[2]

أما الشيخ فخر الدين بن نصير الدين بن نظام الدين الحنفي الجونپوري، فقد ولد ونشأ جونپور وتلقى العلم على يد جده لأمه، القاضي شهاب الدين أحمد بن عمر الزاولي الدولت آبادي (ت. ٨٤٩هـ/١٤٤٥م)، ولازمه مدة من الزمن حتى برع في الفقه والأصول والكلام والعربية.[3]

وفي ختام ذكر أهم علماء مملكة جونپور ممن أدلوا بدلوهم في الحياة الثقافية العلمية بها، نذكر القاضي نظام الدين الغزنوي، الذي كان أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول والعربية، وكان مولده بمدينة غزنة، وتلقى العلم بها على يد والده قاضي القضاة بغزنة (ت. ٨١٧هـ/١٤١٤م)، ثم انتقل إلى جونپور بعد وفاة والده، فقربه القاضي شهاب الدين عمر الزاولي الدولت آبادي (ت. ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) إلى السلطان إبراهيم الشرقي، فولاه القضاء بمدينة مجهلي شهر بجونپور، فسكن بها حتى توفي، وقد ذكر صاحب نزهة الخواطر أنه قد أعقب، وله ذرية واسعة في الهند.[4]

(٥) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة مالوه.

ورغم أن مدة هذه المملكة كدولة مستقلة قد تجاوزت المائة وثلاثين عاماً، قبل أن تفقد استقلالها على يد بهادورشاه (٩٣٢-٩٤٣هـ)/(١٥٢٦-١٥٣٦م) سلطان مملكة كجرات في عام ٩٣٧هـ/١٥٣١م، إلا أن مصادر التاريخ الإسلامي، لم توفر أخباراً أو تراجم كافية تساعد في رسم صورة واضحة ومستفيضة عن الحياة الثقافية والعلمية في هذه المملكة، ربما لغلبة الطابع السياسي على ما وصل من أخبار عن هذه المملكة التي

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٦٨.
(٢) الندوي، نفسه، ج٣، ص ٧١.
(٣) الندوي، نفسه، ص ١١٥.
(٤) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٧٦-١٧٧.

ظلت تحاول المحافظة على استقلالها في مواجهة المحاولات المستمرة للممالك المجاورة لها لفرض سيطرتهم على أراضيها.[1]

وقد حاولت الباحثة من خلال ما توفر لها من بعض التراجم المحدودة، رسم صورة مبسطة لدور علماء هذه الفترة، من خلال سير بعض علماء تلك المملكة وإسهاماتهم في بعض مجالات العلوم، ولعل أبرز هؤلاء:-

الشيخ عز الدين الزبيري، الذي أورده صاحب «نزهة الخواطر» في تراجم رجال المائة الثامنة، وذكر أنه كان أحد العلماء البارعين في الفقه، وأصول الفقه، وأنه التقى بالرحالة المغربي «ابن بطوطة» (ت. ٧٧٩هـ/١٣٣٧م) في مدينة «چنديري» من مملكة مالوة، أثناء تواجد الأخير ببلاد الهند في الفترة من (٧٣٤-٧٤٣هـ)/(١٣٣٣-١٣٤٢م).[2]

وإن كان ابن بطوطة قد ذكر في رحلته أنه التقى الإمام العالم عز الدين الزبيري – الذي ذكر أنه من ذرية «الزبير بن العوام»[3] رضي الله عنه – في مدينة ظاليور، وهي من مدن مملكة مالوة أيضاً، ووصفه بأنه أحد كبار الفقهاء الصلحاء.[4]

أما شيخ الإسلام، الشيخ چاندلة المندوي، فقد كان أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، وكان قد ولد ونشأ بمدينة «أچ» السندية، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار، وأقام بها مدة من الزمان، ثم رجع إلى بلاد الهند، ودخل مملكة مالوه في عهد السلطان محمود شاه الأول الخلجي (٨٤٠-٨٧٣هـ)/(١٤٣٦-١٤٦٨م)، الذي كلفه بالإقامة لديه، وولاه شياخة الإسلام بالمملكة، وكان يدرس ويفيد بالحاضرة مندو، حتى توفي ودُفن بها في عهد السلطان المذكور.[5]

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٥٧-٢٦٧ – الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٥ – النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٨ – بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٦.
-Longman's History of India, p. 325.
(٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٤١١ – مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص ١٥٤، ص ١٦٦ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٧٨.
(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبد الله، الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من استل سيفه في الإسلام، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، شهد بدرا ٢هـ/٦٢٣م وأحداً ٣هـ/٦٢٤م، وغيرهما، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل سنة ٣٦هـ/٦٥٦م – أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٣٤-٥٣٥ – ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص ٤٣.
(٤) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٥٤٥.
(٥) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٥٢.

أما الشيخ سلام الله الندوي، فكان أحد الفقهاء البارزين في علوم الفقه والأصول واللغة العربية، وقد لقبه السلطان محمود شاه الخلجي بـ«سيد العلماء» وكان ذا مكانة رفيعة لديه.[1]

ويُعد الشيخ شهاب الدين الكرماني، ثم الهندي الجونبوري، أحد كبار العلماء الهنود الذين وفدوا على مملكة مالوه في عهد السلطان محمود شاه الخلجي المذكور، وكان من العلماء الذين برعوا في علم التاريخ حتى أنه صنف للسلطان محمود شاه الخلجي، كتاباً ضخماً في تاريخ مالوه أسماه «محمود شاهي».[2]

ولعل من أشهر رجال التصوف في بلاد الهند بصفة عامة، ومملكة مالوه بصفة خاصة في تلك الفترة، الشيخ عبد الله الشطاري[3]، وهو الشيخ عبد الله حسام الدين بن عبد الله بن زيد بن ضياء الدين .... السهروردي ثم الشطاري الخراساني[4]، وقد أخذ الطريقة القادرية[5]، وغيرها من الطرق الصوفية، ثم قدم الهند ودخل «مندو» وهي قصبة[6] مملكة مالوه، وسكن بها، وقد كان يأمر بدق الطبول كالملوك كلما هم أن يدخل بلدة أو قرية،

(١) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٨١.

(٢) الندوي، نفسه، ج٣، ص ٨٩.

(٣) الشطاري = نسبة إلى الشطارية، وهي طريقة صوفية هندية وسومطرية، وجاوية، وتُنسب إلى شطار (ت. ٨١٨هـ/١٤١٥م) – عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية، ص ٢٦٨.

(٤) أورد الندوي في كتابه، نزهة الخواطر، أنه توفي في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، ثم يذكر في سياق ترجمته أنه صنف رسالة للسلطان غياث الدين للخلجي (٨٧٣-٩٠٦هـ)/(١٤٦٩-١٥٠٠م) صاحب مالوه، لذا فالأرجح أن يكون تاريخ وفاة الشيخ عبد الله الشطاري بعد عام ٨٧٣هـ/١٤٦٩م – الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٩٥-٩٦.

(٥) القادرية: نسبة إلى عبد القادر الجيلاني، ولها فروع في اليمن والصومال والهند والأناضول ومصر والمغرب والسودان الغربي – وفروعها في الهند (البناوة والكرزمر) – الحفني، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٦) قصبة = وجمعها قصبات، والقصبة بفتح القاف والصاد والباء – في اللغة العربية تعني جوف القعر، كما قيل أنها القعر نفسه. والقصبة يُراد بها أيضاً البناء الذي يكون في جوف الحصن. وأحياناً يُطلق اسم "القصبة" على المدينة أو على معظمها، أي قسمها الرئيسي، ويُقال كذلك: قصبة البلاد أي مدينتها، كما تُطلق القصبة بمعني القرية أو وسط القرية، وفي الأصطلاح الإداري الإسلامي، فإن المسلمين استعملوا "القصبات" بمعنى عواصم الأقاليم الجهادية، وصنفوها بمقام الحجّاب من الملوك – طه الولي، المدينة في الإسلام، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية (الفكر العربي)، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة (أكتوبر – نوفمبر) ١٩٨٢م، ص ١١٥.

ويسير موكبه كمواكبهم، ويقيم في الصحراء في الخيام[1]، ومن مصنفاته: رسالة في أذكار الطريقة الشطارية وأشغالها ومراقباتها، صفنها للسلطان غياث الدين الخلجي (٨٧٣-٩٠٦هـ)/(١٤٦٨-١٥٠٠م) صاحب مملكة مالوه.[2]

(٦) العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في مملكة كجرات

ساهمت مملكة كجرات منذ قيامها في أوائل القرن التاسع الهجري (أوائل القرن الخامس عشر الميلادي) – إلى جانب مملكة الدكن البهمنية – بقسط وافر في مجال الاهتمام بعلوم القرآن والسنة، حتى غدت كجرات معقلاً من معاقل دراسة علم الحديث في بلاد الهند والعالم الإسلامي، وقد أصبحت تبعاً لذلك مقصداً للعلماء من شتى أرجاء بلاد الهند والعالم الإسلامي على حد سواء، فاحتضنت هذه البقعة من بلاد الهند كوكبة من كبار العلماء لعل أبرزهم:-

الشيخ العالم الفقيه قيام الدين القرشي الحنفي الظفرآبادي، الذى كان أحد كبار علماء الفقه والأصول، وقد انتقل إلى مدينة ظفرآباد من مملكة كجرات من موطنه دهلي، فاشتغل بها بالدرس والإفادة مدة طويلة، ثم سلك نهج الزهد والتصوف، وانقطع إلى عبادة الله قلباً وقالباً وترك البحث والاشتغال، حتى وفاته في ذي القعدة من عام ٨١٧هـ/١٤١٥م.[3]

الشيخ الصالح الفقيه ركن الدين القرشي الظفرآبادي، وكان من كبار فقهاء الحنفية، فبرع في الفقه والأصول وعلم الحديث النبوي الشريف وكذلك التفسير، حتى قيل أنه كان حافظاً لمائة ألف حديث[4]". وقد انتهج التصوف، وسكن بظفرآباد حتى وفاته في عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م.[5]

(١) وهذا السلوك الرامي إلى العظمة والخيلاء يتناقض تماماً ومبادئ الصوفية الداعية إلى الزهد والتقشف والتي انتهجها هذا الشيخ ووصف بأنه من أشهر رجالها.

(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٩٥-٩٦.

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٢٠-١٢١.

(٤) "قد ينطوي هذا الرقم على مبالغة شديدة خاصة إذا علمنا أن جملة الأحاديث النبوية الصحيحة لا يتجاوز الخمسة آلاف وستمائة وخمسون حديثاً بعد استبعاد التكرارات وهذا على أرجح الأراء – أنظر: ابن حجر العسقلاني، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير، جزئين، ط٣، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٤٤م، جز١، ص ٢٩٨.

(٥) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٧٠-٧١.

الشيخ الإمام العلامة بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد القرشي المخزومي السكندري ثم الهندي الكجراتي المعروف بـ«ابن ادماميني»، المالكي النحوي الأديب، وهو من أبرز العلماء الوافدين على مملكة كجرات في تلك الفترة، وكان مولده بالإسكندرية في عام ٧٦٣هـ/١٣٦٢م، وأخذ العلم عن كبار العلماء بها، ثم انتقل إلى القاهرة لاكتساب العلم، وقد عمل بالتجارة، وأدى فريضة الحج مرات عديدة، ثم دخل اليمن في عام ٨١٩هـ/١٤١٦م، وقام بالتدريس بجامع مدينة زبيد قرابة العام، ولكن الأمور لم تستقر له فرحل إلى بلاد الهند، ودخل كجرات في عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م، في عهد السلطان أحمد بن محمد بن المظفر الكجراتي (٨١٤-٨٤٦هـ)/ (١٤١١-١٤٤٢م)، فنال لديه الحظوة والتقدير وعمل في خدمته، وأقبل عليه أهل العلم وطلابه، وعظموه وأخذوا عنه، ثم أنشأ الدماميني زاوية في كجرات عُرفت باسمه، قام فيها بتدريس العلوم الدينية إضافة إلى علوم اللغة العربية، وللدماميني تصانيف كثيرة منها: «شرح التسهيل»[1] لابن مالك الطائي[2] ذكر في مقدمته أنه قدم إلى كجرات في أواخر شعبان سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، فوجد فيها هذا الكتاب مجهولاً لا يعرف، واتفق أن حمل هذا الكتاب معه فقرأه بعض الطلبة والتمس منه شرحه فشرحه، كما ذكر في خطبته «أبا الفضل أحمد شاه الكجراتي» ابن السلطان مظفرشاه وأطلق عليه اسم «تاريخ الفرائد».[3]

وللدماميني أيضاً شرح على صحيح البخاري أسماه «مصابيح الجامع» ذكر في مقدمته أنه ألفه للسلطان أحمد شاه الكجراتي المذكور، وكذلك «عين الحياة» وهو مختصر «حياة الحيوان الكبرى» للدميري[4]، ذكر في مقدمته أنه يهديه إلى السلطان المذكور، وقد أتمه في عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م بالإضافة إلى مصنفه «الغريب في شرح مغني اللبيب» لابن هشام النحوي[5]، وقد صنفه بكجرات أيضاً، بالإضافة إلى «شرح

(١) هو شرح على كتاب "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" في النحو وهو شرح ممزوج متداول وصل فيه إلى حرف الفاء: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٤٠٦.

(٢) هو الشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي (ت. ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٥.

(٣) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج١، ص ٤٠٦ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٣٧.

(٤) الدميري: هو الشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميري الشافعي (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، أنظر ترجمته في حاجي خليفة، نفسه، ج١، ص ٥٩٥.

(٥) هو الشيخ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بـ "ابن هشام النحوي" (ت.

الخزرجية» و«جواهر البحور» في العروض[1]» و«الفواكه البدرية» من نظمه، و«مقاطع الشرب» و«نزول الغيث»، و«شرح الوافي في النحو» للشيخ محمد بن عثمان بن عمر البلخي[2]»* وقد أهداه للسلطان ذاته وأسماه «المنهل الصافي» وله كذلك «شرح لامية العجم» للطغرائي (ت. ٥١٤هـ/١١٢٠م)، وقد توفي الدماميني فجأة في مدينة كلبركة الدكنية، وقيل مسموماً وذلك في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م.[3]

كما كان الشيخ محمد بن الحسين العلوي الحسيني السندي ثم الكجراتي من كبار علماء الفقه والحديث والتصوف، ولد ونشأ بأرض السند، ثم رحل إلى كجرات، وسكن بمدينة فتن[4] حتى توفي في عام ٧٤٧هـ/١٤٤٣م.[5]

وقد اشتهر من رجال التصوف في مملكة كجرات الشيخ الفاضل الكبير قاسم بن محمد الكجراتي، الذي درس وأفاد طلاب العلم بكجرات في عهد السلطان قطب الدين أحمد شاه الكجراتي (٨٥٥-٨٦٣هـ)/(١٤٥١-١٤٥٩م)، وأسند له السلطان مهمة

٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، ومصنفه في علم النحو هو "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" - أنظر: حاجي خليفة، نفسه، ج٢، ص ١٧٥١.

(١) العروض = هو علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبر للشعر، العارضة للألفاظ والتراكيب العربية، وموضوعه الألفاظ العربية من حيث أنها معروضة للإيقاعات المعتبرة في البحور الستة عشر عند العرب، وهو على ما سبق يكون من فروع علوم الموسيقى والشعر والعلوم الأدبية، وأول من اخترع هذا الفن الإمام خليل بن أحمد (ت. ١٧٠هـ/٧٨٦م)، الذي حصر أشعار العرب في خمسة عشر وزناً أو بحراً - القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص ٣٨١.

(٢) ** لم أقف على تاريخ وفاته.

(٣) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مج٣، ص ١٠٣-١٠٤ - ابن حجر العسقلاني، الذيل على الدرر الكامنة، ص ٣٠٤ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٠٣-٣٠٤ - السيوطي، بغية الوعاة، ص ٢٧-٢٨ - أبي مخرمة، ت. ثغرعدن، ص ١٥٠ - الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ١٥٠ - محمد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ج٨، ص١١١ - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٠٦، ٥٤٩، ٦١٣، ٦٩٦، ج٢، ص١١٣٥، ص١٢١٥، ص١٥٣٧-١٥٣٨، ص١٥٦١، ص١٧٥٢، ص١٧٨١، ص١٩٩٨ - إسماعيل البغدادي، إيضاح المكنون، ج٢، ص١٦٢-١٦٣ - هدية العارفين، ج٢، ص١٨٥ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص٦٥ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص١٤ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص١٢٥-١٣١ - كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ق٦ (١٠-١١)، ص٩٣.

(٤) فتن: إحدى مدن لكجرات وهي على الساحل، كبيرة حسنة، لها مرسى كبير، بها كذلك مسجد حسن - أنظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٦٠٩.

(٥) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص١٣٥.

الإشراف على المدرسة بمدينة «نهروالة»[١] الكجراتية.[٢]

أما الشيخ كبير بن مزيد بن عبد العزيز بن حميد الدين الناكوري، فكان من كبار علماء النحو في مملكة كجرات، ومن مصنفاته «شرح ضوء المصباح»[٣]* في النحو، وقد توفي في كجرات سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م.[٤]

في حين كان الشيخ الفاضل القاضي علم الدين بن عين الدين بن نجم الدين الصديقي الشاطبي[٥]** الكجراتي، أحد كبار علماء القراءة والتجويد والفقه واللغة العربية، والتصوف، وقد سافر ودار ببلاد الهند حتى استقر به المقام في كجرات واشتغل بها بالدرس والإفادة، حتى توفي في رمضان من عام ٨٦٠هـ/١٤٥٥م وله ثمان وثمانون عاماً.[٦]

ثم الشيخ الفاضل القاضي إسماعيل بن عبد الله الأصفهاني الكجراتي، أحد كبار علماء الفقه والأصول والتصوف، حضر إلى كجرات في صباه وتكسب العلم بها، ثم ولي قضاء مدينة بهروج الكجراتية، ثم قضاء مدينة أحمد آباد في عهد السلطان محمود بيكرو(٨٦٣-٩١٧هـ)/(١٤٥٩-١٥١١م)، وظل في منصبه حتى توفي في عام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م.[٧]

وقد ذكر السخاوي أن الشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن يوسف الشهاب بن النجم والذي يعرف بـ «ابن المرجاني» قد توجه من مكة في عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م أو

(١) نهروالة: إحدى كبريات مدن إقليم لكجرات - أنظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٤٧٤، ص ٤٨٤، ص ٥٠٨.

(٢) أحمد الجورانة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ١٨٩ - الندوي، المرجع نفسه، ص ١١٩.

(٣) * وهو شرح على كتاب المصباح في النحو للإمام ناصر بن عبد السيد المطرزي النحوي المتوفي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م - حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٠٨.

(٤) إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص ٨٣٧ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٢١.

(٥) الشاطبي: نسبة إلى شاطبة وهي مدينة كبيرة قديمة جليلة متقنة حصينة تقع شرق الأندلس، ولها قصبتان ممتنعتان وهي قريبة من جزيرة شقر - أنظر القزويني - آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٣٩ - الحميري، الروض المعطار، ص ٣٢٤.

(٦) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص١٠٨.

(٧) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٣١.

الذي تلاه إلى بلاد الهند، وأقام بمدينة كنباية من مملكة كجرات، وكان يقرأ الحديث عند ملكها الذي كان يجيبه على ذلك، وذكر أنه ظل بها حتى وفاته في المحرم من عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م.[١]

كما اشتهر من فقهاء كجرات ممن سلكوا أيضاً نهج التصوف كلاً من الشيخ «قطب الدين الظفر آبادي» (ت. ٨٦٩هـ/١٤٦٤م)[٢] والشيخ الصالح الفقيه «حسن بن محمد الأساولي الكجراتي»، الذي ولد في عام ٨١٤هـ/١٤١١م، وكان من العلماء البارزين في المعقول والمنقول، (ت. ٨٧٠هـ/١٤٦٥م).[٣]

ثم الشيخ خوندمير الفتني الفقيه الصوفي الكجراتي، الكبير المنزلة (ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).[٤]

كذلك الشيخ كمال الدين القزويني ثم البروجي الكجراتي، وكان من كبار مشايخ الصوفية، وقد توفي في عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م.[٥]

وقد وفد على كجرات واحد من كبار الفقهاء والمحدثين وهو الشيخ «غوث الدين القادري البغدادي»، ثم الكجراتي، وقد قدم الهند وسكن بمدينة أحمد آباد الكجراتية في عهد السلطان محمود بيكرو المذكور، وأسس هناك مدرسة عظيمة، درس بها زماناً، ثم توجه للحج والزيارة، ورجع إلى الهند ومكث بها حتى توفي في عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م.[٦]

ومن كبار علماء مملكة كجرات، الشيخ راجح بن داود الهندي الأحمد آبادي الحنفي، ولد في عام ٨٧١هـ/١٤٦٦م بأحمد آباد، واكتسب فيها علوم النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والهيئة والكلام، كما برع في الفنون ونظم الشعر، وذكر صاحب الضوء اللامع أنه التقاه في مكة في أوائل عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م، وأنه قرأ عليه جميع شرحه لألفية الحديث، وأنه كتب له إجازة حافلة في نحو ثلاثة كراريس، أثبت له من جملتها ترجمة البدر الدماميني (ت. ٨٢٧هـ/١٤٢٤م)، وكان الشيخ راجح قد سأل

(١) السخاوي، الضوء اللامع، مج١، ج٢، رقم (٣١٦)، ص ١٠٥.

(٢) الندوي، نفسه، ج٣، ١١٩-١٢٠.

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص٥٧.

(٤) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٦٧.

(٥) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٢٢-١٢٣.

(٦) الندوي، نفسه، ج٣، ص١١١.

عنه كونه مات في الهند، وقد زاد له عليها ترجمة الشيخ «العلاء البخاري الحنفي» (ت. ٨٤١هـ/١٤٣٧م) لكون العلاء معروف الجلالة بين علماء الهند، حيث قرأ عليه صاحب كلبركا من بلاد الدكن، وكان يُرسل إليه الهدايا الجزيلة، وقد توفي الشيخ راجح الهندي في عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م. [1]

وقد كان الشيخ عمر بن أحمد بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي المعروف بـ «البطايني»، من كبار العلماء الوافدين على مملكة كجرات، وقد ولد في دمشق في عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م ونشأ بها، ودخل مدينة كنباية في عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، وترقى حتى ولي قاضياً على مذهب الشافعي وذلك في عام ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، واستمر به حتى دخل مكة في عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م سفيراً من صاحب كجرات السلطان محمود الأول بيكرو (٨٦٣-٩١٧هـ)/(١٤٥٨-١٥٢٦م) بهدية إلى صاحب مصر السلطان الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ)/(١٤٦٨-١٤٩٦م)، فالتقى بالشيخ السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) بها، ومكث بمكة عام حتى دخل القاهرة بالهدية المشار إليها، وقد سمع على السخاوي أيضاً بالقاهرة، وأقام قليلاً، ثم رجع إلى كنباية بعد أن كتب له الشيخ السخاوي إجازة. [2]

ومن أعظم علماء الحديث الذين وفدوا على مملكة كجرات الشيخ شمس الدين محمد بن جلال الدين محمد بن فتح الدين عبد الرحمن بن وجيه الدين حسن المصري المالكي، ويُعرف بابن سويد، ولد في عام ٨٥٦هـ/١٤٥٢م، ونشأ في كنف أبيه، فحفظ القرآن وعدد من كتب الفقه والنحو، ثم دخل اليمن وحدث بها، ثم توجه صوب كنباية، وهناك عظم أمره عند صاحبها السلطان محمود شاه الأول بيكرو، حتى لقبه بـ «ملك المحدثين»، كناية عن قوة معرفته بعلم الحديث، وفصاحته، وهو أول من لقب بذلك، وقد صار منزله بهذه المدينة مأوى لمن طلبه، وظل على منزلته تلك مدى حياة السلطان المذكور، حيث تغير عليه ولده وخليفته السلطان مظفر شاه (٩١٧-٩٣٢هـ)/ (١٥١١-١٥٢٥م)، بسبب معاداة بعض الوزراء الذين دسوا له عنده، فساءت علاقته بالشيخ جلال الدين المالكي وظلت كذلك، فانتقل الشيخ إلى مدينة أحمد أباد الكجراتية، وأقام

(١) السخاوي، الضوء اللامع، مج٢، ج٣، ص٢٢٢-٢٢٣ - التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص ٢٨٠ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص ١٣.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، مج٣، ج٦، رقم (٢٤٤)، ص ٧٢-٧٣.

بها حتى توفي ودُفن بها في عام ٩١٩هـ/١٥١٣م. [1]

وفي إطار ذكرنا لأبرز علماء كجرات، لا يمكن إغفال الشيخ «محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي» الشهير بـ «بحرق»، والذي ولد بحضرموت[2] في عام ٨٦٩هـ/١٤٦٥م ونشأ بها، وأخذ العلم عن كبار فقهائها، وكان عالماً موسوعياً، برع في علوم الحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والأدب والفلك، إلى غير ذلك، وقد توجه إلى بلاد الهند، ودخل على السلطان الكجراتي مظفر شاه الثاني بن محمود بيكرو، فقربه وعظمه، وقد توفر له من الرعاية والاهتمام ما ساعده على ترك مصنفات عديدة منها، شرح «لامية العجم»[3] للطغرائي (ت. ٥١٤هـ/١١٢٠م)، وأسماه «نشر العلم في شرح لامية العجم»، وله كذلك «الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية»[4] و«مختصر الترغيب والترهيب»[5] للمنذري (ت. ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، و«عقد

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص ٩٤-٩٥ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٥.

(٢) حضرموت = ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تُعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، ولها مدينتان يُقال لأحدهما تريم وللأخرى شبام، وبين حضرموت وعدن مسيرة شهر: أنظر: ابن خردانبة، المسالك والممالك، ط ليدن ١٨٨٩م، ص ١٣٨ - ياقوت الحموي الرومي، معجم البلدان، ج٢، ص٥٩٢.

(٣) لامية العجم لمؤيد الدين بن إسماعيل الحسين بن علي فخر الكتاب السيد "الطغرائي" المتوفي سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وقد نظمها ببغداد سنة ٥٠٥هـ/١١١١م، في وصف حاله وشكاية عن زمانه أولها:-
أصالة الرأي صانتني عن الخطلوحلية الفضل زانتني لدى العطل.
أنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، مج٢، ص ١٥٣٧-١٥٣٨.

(٤) الأذكار النووية: وهو كتاب "حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار"، وهو كتاب في الحديث الشريف، للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي (ت. ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، وهو مشهور بـ "أذكار النووي"، ويقع في مجلد واحد مشتمل على ثلاثمائة وستة وخمسين باباً ....: أنظر: حاجي خليفة، المصدر السابق، مج١، ص ٦٨٨-٦٨٩.

(٥) الترغيب والترهيب - للشيخ الإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت. ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وهو كتاب في الحديث، ويقع في مجلدين، ألفه حاوياً لما تفرق في غيره من الكتب، مقتصراً على ما ورد صريحاً في الترغيب والترهيب، وذكر الحديث بعزوه إلى من رواه من أصحاب الكتب المشهورة، كالصحيحين، والسنن الأربعة، وبعض المسانيد، ثم أشار إلى صحة إسناد الحديث أو ضعفه..... وللكتاب مختصرات كثيرة، أبرزها مختصر ابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) - أنظر: حاجي خليفة، المصدر نفسه، مج١، ص ٤٠٠.

الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر»، و«شرح العروة الوثقى»[١] في الشريعة، و«الطريقة والحقيقة»، إلى غير ذلك من المصنفات العديدة والأعمال الجليلة، وقد ظل الشيخ بحرق في بلاد الهند حتى توفي بها في عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م.[٢]

---

(١) وكتاب العروة الوثقى هو للشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد السمناني الحنفي (ت. ٤٩٩هـ/١١٠٥م) - حاجي خليفة، نفسه، مج٢، ص١١٣٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص١٧٦-١٧٧ - حاجي خليفة، نفسه، مج٢، ص١٥٣٧-١٥٣٨ - إسماعيل البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٧٦، ص٢٢١، ج٢، ص١١٦، ٣٩٧، ٤٢٦، ٥٥٢ - هدية العارفين، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١ - أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، ص٦٨-٦٩ - خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، ص١٣-١٤.

الفصل الثالث

مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند بالعلم والعلماء في ممالكهم وفي العالم الإسلامي

(١) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة كشمير.

(٢) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة البنغال.

(٣) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة الدكن البهمنية

(٤) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة جونبور.

(٥) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة مالوه.

(٦) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة كجرات.

الفصل الثالث

مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند بالعلم والعلماء في ممالكهم وفي العالم الإسلامي

في هذا الجزء من الدراسة سيتم تناول مظاهر اهتمام ملوك وحكام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند بالحياة الثقافية والعلمية في ممالكهم، ذلك الاهتمام الذي تمثل في رعايتهم للعلوم والفنون والآداب، وكذلك حفاوتهم بالعلماء سواء من أهل البلاد أو من أولئك الوافدين عليها من شتى أرجاء العالم الإسلامي.

ولعله من الأهمية بمكان أن نذكر كذلك، كيف تجاوز اهتمام هؤلاء الحكام بالعلم والعلماء حدود ممالكهم، بل حدود بلاد الهند ككل، حتى بلغ عدداً من مدن العالم الإسلامي، كان أبرزها مكة والمدينة والقدس والقاهرة، كما سنشاهد في موضعه من هذه الدراسة.

أما مظاهر هذا الاهتمام، فقد تعددت وتنوعت من اهتمامهم بدور العلم من حيث إنشاءهم للمدارس والزوايا والأربطة إلى اهتمامهم بحركة التصنيف والترجمة من اللغات الأخرى خاصة السنسكريتية إلى اللغتين العربية والفارسية والعكس، وكذلك اهتمامهم باقتناء أمهات الكتب في شتى مجالات العلوم، وتشجيع العلماء على وضع الشروح لها.

أما عن تقديرهم وحفاوتهم بالعلماء من أهل البلاد ومن الوافدين عليها، فقد اتخذ صوراً عديدة، كتقليدهم للمناصب الرفيعة ومنحهم الألقاب التشريفية وتقريبهم من البلاط الملكي واستشارتهم في أمور الحكم، وتخصيص القرى والضياع لهم، إلى غير ذلك من المنح والعطايا الجزيلة، وفيما يلي سنتناول تفصيلاً مظاهر الاهتمام والحفاوة تلك:-

(١) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة كشمير

لطالما احتلت منطقة كشمير مكانة متميزة على صعيد الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند منذ عصور تاريخها القديم[١] وحتى بعد أن دخلت تحت لواء الإسلام، حيث شهد البيروني في كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» على تلك المكانة، ذاكراً أنه لم تصل أيدينا إلى ما وصلت إليه كشمير وبنارسي[٢] في العلم والفن، وأن أهل كشمير أهل كتابة، وأن كلتا المدينتين كشمير وبنارسي هما مدرستنا علوم الهنادكة.[٣]

وقد شهدت مملكة كشمير ازدهاراً علمياً وثقافياً كبيراً، ونشاطاً متميزاً للعلوم الإسلامية في عصر سلاطين كشمير الذين امتد حكمهم في الفترة (٧٣٥-٩٩٧هـ)/(١٣٣٥-١٥٨٩م)، وتحديداً منذ عهد السلطان الكشميري «قطب الدين هندال» (٧٧٢-٧٨٨هـ)/(١٣٧٠-١٣٨٦م)، وهو أول سلاطين كشمير الذين أفردت لهم مصادر التاريخ الإسلامي مساحة لا بأس بها، للحديث عن إنجازاته واهتمامه بالحياة الثقافية والعلمية في مملكته، بعد أن اقتصرت أخبار من سبقه من سلاطين كشمير على الجانب السياسي والعسكري، متمثلاً في جهودهم في الحفاظ على استقلال بلادهم عن سلطنة دهلي من جهة، أو الصرع على السلطة وإخماد الفتن من جهة أخرى.[٤]

(١) اشتهرت كشمير في عصور تاريخها القديم وقبل أن تعرف الإسلام بآلهة العلم "سرسوتي" عند الهنادكة، وكان لها إسهاماً هاماً في تطوير علومهم وفنونهم، وكانت مهداً للبراهمة وعلومهم، ويكفي أن المصنفات في شتى مجالات العلوم كانت تُعرض على علماء كشمير، ولم تكن تلقى رواجاً وشيوعاً ما لم تحظ بإشادة واستحسان منهم- أنظر: محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص٦٥.

(٢) بنارسي = هي مدينة فاراناسي (Varanasi)، ويعود أصل تسميتها إلى (Varana) أو "بيرنا" وهو أحد الجداول أو النهيرات الصغيرة التي تصب في نهر الجانج، وتُعرف المدينة كذلك باسم كاشي، وناراس، وهي من أقدس مدن الهند عند الهندوس، وتقع على وادي نهر الجانج في شمال الهند الأوسط (وهي الآن في الجزء الشرقي من ولاية أوتار براديش الهندية) وتحتوي المدينة على نصف معابد الهند تقريباً (ما يزيد على الألف معبد).

-Bahattarya, a Dictionary of Indian History, p. 112-113.

http://hubpages.com/hub/Benares-The-City-of-Varanasi

(٣) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٢١.

(٤) اقتصرت فترة حكم أول سلاطين مملكة كشمير الإسلامية "شمس الدين شاه ميرزا" على ثلاث سنوات فقط (٧٣٥-٧٣٨هـ)/(١٣٣٥-١٣٣٨م)، ثم خلفه ولده جمشيد الذي حكم عاماً واحداً

على أية حالة فبتولي السلطان قطب الدين هندال للحكم، شهدت مملكة كشمير نهضة ثقافية وعلمية كبيرة، حيث كان هذا السلطان محباً للعلم والعلماء، ويتمنى أن تروج العلوم الإسلامية في ربوع مملكته، وفي سبيل تحقيق أمنيته تلك قام ببناء مدرسة في المدينة التي شيدها وأطلق عليها اسم «قطب الدين بوره»، وكانت إلى الشمال من حاضرة ملكه «سرينجار»، ولعلها أول مدرسة أسست في كشمير، وقد كانت مدرسة عظيمة، وكانت الدولة نفسها تقوم بكفالتها والاهتمام بشئونها، كما كان التعليم بها مجانياً، فلعبت هذه المدرسة دوراً رائعاً ورائداً في رواج العلم في كشمير، حتى أن الطلاب كانوا يفدون عليها من العراق وخراسان في عهود من تلاه من سلاطين كشمير.[١]

كما أنشأ السلطان قطب الدين هندال مدرسة أخرى بناءاً على نصيحة السيد علي الهمذاني (ت. ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) الذي كان قد حضر إلى إقليم كشمير في عهده، وأشار عليه بالأمر ببنائها حتى تخصص لتحفيظ القرآن الكريم، وعمل بعض السادة الذين صحبوا السيد علي الهمذاني بالتدريس في هذه المدرسة.[٢]

وفي عهده أيضاً أنشئت مدرسة «العروة الوثقى»، أقامها الشيخ «جمال الدين» المحدث والمفسر، وكان أحد أقرباء السيد علي الهمذاني، أقنعه السيد الهمذاني بالهجرة إلى كشمير من أجل أن يستفيد شعب كشمير من علمه الجم ففعل، وأنشأ المدرسة المذكورة.[٣]

وقد خلف قطب الدين على عرش كشمير ولده السلطان اسكندرشاه (٧٨٨-٨١٣هـ)/ (١٣٨٦-١٤١٠م)، الذي وصف بأنه كان محباً لأهل العلم سخياً عليهم

وشهرين اثنين (٧٣٨-٧٤٠هـ)/(١٣٣٨-١٣٤٠م) ثم حكم أخاه علاء الدين علي شير قرابة ثلاثة عشر عاماً (٧٤٠-٧٥٣هـ)/(١٣٤٠-١٣٥٢م) ذكر الهروي أنها بدأت بازدهار كبير وانتهت بقحط عظيم أفنى خلقاً كثيرين في حين لم تتناول المصادر أي من إنجازات ولده شهاب الدين شيراشامك (٧٥٣-٧٧٢هـ)/(١٣٥٢-١٣٧٠م) على صعيد الحياة الثقافية والعلمية رغم أنه حكم ما يقرب من العشرين عاماً تقريباً. الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص٢٧١-٢٧٤.

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص٢٧٤-٢٧٥ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١١٤ - محمد مظفر - النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص٦٨.

(٢) محمد مظفر، المرجع السابق، ص ٦٩.

(٣) محمد مظفر، المرجع نفسه، ص ٦٩.

ويقربهم إلى نفسه ويعظمهم، حتى تيمم علماء العراق وخراسان وما وراء النهر[1] أعتابه، كما سعى في نشر العلوم الإسلامية، فأنشأ مدرسة بحاضرته سرينجار، وجلب لها مدرسين عظماء، ونالت فيها العلوم الإسلامية الدرجة الأولى من العناية، إلى جانب العلوم العصرية الأخرى.[2]

وقد تولى حكم كشمير بعد اسكندرشاه أخيه السلطان زين العابدين شاهي خان (٨٢٠-٨٧٢هـ)/(١٤١٧-١٤٦٨م)، واستمرت فترة حكمه لما يزيد على الخمسين عاماً، وكان هذا السلطان على درجة كبيرة من التسامح الديني، وكان عهده مثالاً يُحتذى في إمكانية التعايش بين مختلف الطوائف الدينية، وأثبت إمكانية الاستفادة من طاقات أصحاب الديانات الأخرى كل في مجال براعته، فتصادق السلطان زين العابدين مع جميع الطوائف، واتخذ العديد من الإجراءات التي راعى فيها مشاعر الوثنيين الهنود[3]، إلى جانب الاهتمام الشخصي من قبل هذا السلطان باكتساب العلوم والفنون، وكان مجلسه مشغول دائماً بأهل العلم من الهنود والمسلمين، وكان يكرم أرباب الفضل والكمال حتى اجتمع لديه خلق كثير من العلماء مسلمين ووثنيين.[4]

وكان للسلطان زين العابدين اهتماماً خاصاً باللغات، فكان عالماً باللغة العربية والفارسية والسنسكريتية والتبتية[5]، إضافة إلى براعته في علوم أخرى، حيث كانت له

---

(١) ما وراء النهر = يُراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له "بلاد الهياطلة" وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم، وهو من أنزه الأقاليم وأخصبها وبه قرى ومدن عديدة وشهيرة، أبرزها ترمذ، الشاش، خوارزم، سمرقند، بخارى. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص ٤٥-٤٧ - كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٧٦، ص ٤٧٧، ص ٤٨٤، ص ٥٠٦، ص ٥٠٨، ص ٥١٨-٥١٩، ص ٥٢٣-٥٢٤، ص ٥٣١.

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٥-٢٧٦ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٢٩-٣٠ - محمد مظفر، نفسه، ص ٧٠.

(٣) أمر السلطان زين العابدين شاهي خان بإعادة الوثنيين الذين أخرجوا من ديارهم في العهد السالف وأذن أن يدينوا بدينهم، ويمارسوا عاداتهم وطقوسهم، وسمح بحرق النساء مع بعولتهن الموتى، بعد أن كان والده السلطان سكندر شاه (٧٨٨-٨١٣هـ)/(١٣٨٦-١٤١٠م) قد منع ممارسة كل هذه الطقوس، كما أبطل السلطان زين العابدين الجزية عن الوثنيين، ومنع المسلمين عن ذبح البقر تأليفاً لقلوب الوثنيين، كما أجاز للذين أكرهوا منهم على دخول الإسلام في عهد والده أن يرتدوا عن الإسلام - الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٧٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٧٢.

(٤) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٧ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٧٣، ص ٢٧٨-٢٧٩ - محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص ٧١.

(٥) أي لغة إقليم التبت وهو إقليم يقع في أقصى شمال شبه القارة الهندية بينها وبين بلاد الصين.

مهارة فائقة في علم الموسيقى، كما كان يقرض الشعر بالفارسية والكشميرية، إضافة إلى اهتمامه بالعلوم الدينية، وقد كان شغوفاً باقتناء أمهات الكتب في شتى مجالات العلوم، حتى أنه سمع عن نسخة لتفسير الكشاف للزمخشري (ت. ٥٣٨هـ/١١٤٣م) مخطوطة بيد المفسر نفسه أصبحت زينة المكتبة بمكة المكرمة، فلم يقر له قرار حتى أرسل كاتباً عالماً إلى مكة توّاً لنسخها ونقلها إليه، وكفل جميع تكاليف سفره وإقامته بمكة هو وأسرته، فنقلها وعرضها على علماء مكة للتوثيق، ثم رجع إلى كشمير بعد مضي عامين كاملين، فأودع السلطان هذا الكتاب في مكتبته الضخمة.[1]

كما كان للسلطان زين العابدين اهتماماً خاصاً بعلم الموسيقى - وكان الموسيقيون والمطربون يتوجهون صوب كشمير لينالوا المنح والعطايا الجزيلة من السلطان بعد أن يستعرضوا أمامه مهاراتهم في العزف على الآلات الموسيقية، وكذلك مهاراتهم في الشعر والغناء، حتى كان السلطان يأمر في أحيان كثيرة بترصيع آلاتهم بالجواهر تعبيراً عن سعادته وإعجابه بمهاراتهم تلك.[2]

وعلم أحد حكام مدن الهند وهي مدينة كواليِر وكان يُدعى «دونكرسين» أن السلطان يهتم بعلم الموسيقى ويرعاه رعاية كاملة، لذا أرسل له كتاباً قيماً في هذا الفن.[3]

وقد تعددت مظاهر اهتمام السلطان زين العابدين شاهي خان بالحياة الثقافية والعلمية في مملكته، فشيد المساجد والمدارس والزوايا والخانقاوات وكان أهمها مدرسة السلطان زين العابدين التي شيدها لتعليم الإسلام وعلومه في حاضرته، وسعى في جلب كبار العلماء للتدريس في تلك المدرسة حتى نالت صيتاً كبيراً في العالم الإسلامي، واجتذبت أعداداً كبيرة من طلاب العلم من كشمير وخارجها، إضافة إلى العلماء والفضلاء الذين كانوا يزورونها حيناً بعد حين، كما اضطلعت هذه المدرسة أيضاً بدور القضاء وكذلك الإفتاء، وكان السلطان يقوم بتوفير ما يلزم هذه المدرسة من موارد، كما كان يُنفذ فتاوى قاضي القضاة وتوجيهات العلماء وإرشاداتهم، حتى أمكن له أن يجعل من كشمير منطقة إسلامية محصنة.[4]

---

(١) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٧٧ - محمد مظفر، المرجع السابق، ص ٧١-٧٢، ص ٧٤.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٨٠.

(٣) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٨٠.

(٤) محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص ٧٢-٧٣.

ومن منجزات هذا السلطان أيضاً أن أمر ببناء خانقاه للشيخ محمد بن الحسن البيهقي (ت. ٨٨٩هـ/١٤٨٤م) خارج حاضرته. [١]

كما اهتم السلطان زين العابدين شاهي خان بحركة الترجمة، فكان أول من أنشأ داراً للترجمة في كشمير، وكانت بجوار مدرسته سالفة الذكر، وقد ملأها بالكتب الهامة والمخطوطات النادرة التي حصل عليها من مختلف البلدان الإسلامية، وكان لا يعلم بأمر كتاب في أنحاء العالم الإسلامي إلا وطلبه وأودعه مكتبته، وقد كلف الكثرة الغالبة من العلماء الذين كانوا يتقنون السنسكريتية والعربية والفارسية والهندية بالتواجد باستمرار في دار الترجمة، وكانت الكتب تُترجم من السنسكريتية إلى الفارسية والعكس، ومن أمثلة تلك الكتب كتاب «راج ترنكي» لكاتب هندوكي يُدعى «كلهن» وقد ترجمه عالم يُدعى «الملا أحمد» وأطلق على الترجمة اسم «بحر الأثار» وهو عن تاريخ سلاطين الهند، وكذلك «ماها بهاراتا»[٢] التي تُرجمت أيضاً من السنسكريتية إلى الفارسية. [٣]

ومن مظاهر اهتمام السلطان زين العابدين شاهي خان بالحياة الثقافية والعلمية في مملكة كشمير، تلك العناية والحفاوة التي نالها العلماء والفضلاء في عهده، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما ناله العالم الهندى «مامك» – الذي صنف كتاباً في علم الموسيقى باسم السلطان – من إنعامات وعطايا جزيلة. [٤]

كما نال العالم الهندى «سري بت» الذي كان لا مثيل له في الطب كل الرعاية من

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٣٤.
(٢) ماهابهاراتا = هي ملحمة هندية كبرى تعتبر من أهم الأثار في الأدب الهندي، وقد أُرخت بحوالي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد، وبدأت قصيدة قصصية قصيرة، ثم أخذت تضيف إلى نفسها في كل قرن من القرون المتعاقبة حكايات ومقطوعات، كما امتصت في داخلها قصائد وقصص تراثية هندية، حتى بلغ عدد أبياتها ١٠٧,٠٠٠ زوج من أبيات الشعر الثمانية المقاطع، أي ما يساوى الإلياذة والأوديسية مجتمعتين سبع مرات، واسم مؤلفها أسطوري، إذ ينسبها الرواة لمن يسمونه "ڤياسا" Vyasa وهي كلمة معناها "المنظم" وفي حقيقة الأمر فقد كتبها مائة شاعر وصاغها ألف منشد، ثم صب البراهمة أفكارهم الدينية والخلقية فيها حتى خرجت بصورتها التي هي عليها اليوم، والماها بهاراتا في مجملها تتناول قصصاً من العنف والمغامرة والحروب بين قبائل الهند – للمزيد مراجعة: قدرى قلعجي، موسوعة المورد، ط١، بيروت ١٩٨١م، ج٦، ص ١٧١ – ول ديورانت، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص ٢٩٢-٢٩٣.
(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٨٠ – محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، ص ٧٤.
(٤) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٨٠.

السلطان. [١] في حين كان للشعراء أيضاً حظاً من جود السلطان وسخائه، ففي عهده قام الشاعر «سهوم» – الذي كان يقرض شعراً باللهجة الكشميرية، إضافة إلى تفوقه في العلوم الهندية – بتصنيف منظومته التى عُرفت باسم «دين حرم» وفيه فصل جمع فيه أحداث السلطان زين العابدين وسماه «شاه نامه». [٢]

وقد شيد السلطان زين العابدين مدينة امتدت مبانيها على مساحة شاسعة، وتوطن العلماء والمساكين في المدن الأخرى التي كان قد عمرها، وكان حريصاً دائماً على تفقد أحوالهم. [٣]

وقد توفي السلطان زين العابدين سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٨م عن تسعة وستين عاماً بعد أن حكم ما يقرب من الاثنتين وخمسين عاماً. [٤]

ثم تولى السلطان حسن شاه بن حيدر شاه بن زين العابدين (٨٧٤-٨٨٦هـ)/(١٤٧٠-١٤٨١م) عرش كشمير عقب وفاة والده حيدر شاه (٨٧٢-٨٧٤هـ)/(١٤٦٨-١٤٦٩م)، فنالت الحياة الثقافية والعلمية في كشمير مزيداً من العناية والاهتمام من قبله، حيث قام بتأسيس مدرسة إسلامية كبيرة، ساهم في بنائها باحثون وعلماء مساهمة لا بأس بها، وأطلق عليها السلطان اسم «دار الشفا» كما وقف لإيراداتها منطقة من مناطق كشمير كانت تُسمى بـ «رينه كير» وألحق بهذه المدرسة مكتبة ضخمة حوت بعضاً من أمهات الكتب الإسلامية القيمة. [٥]

أما العلوم التى كانت من مقرراتها فهي العلوم الإسلامية، والرياضيات والمنطق والفلسفة، وغيرها، وكان السلطان حسن شاه بن حيدر شاه (٨٧٤-٨٨٦هـ)/(١٤٧٠-١٤٨١م) قد وقف لإيرادات هذه المكتبة القرى والمدن، كما كان يلحق بهذه المدرسة والمكتبة «رواق»[٦] لسكن الطلبة والباحثين. [٧]

(١) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٨٧.
(٢) الهروي، نفسه، ج٣، ص ٢٨٠.
(٣) الهروي، نفسه، ج٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.
(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٨٠ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٧٣.
(٥) محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير، ص ٧٤-٧٥.
(٦) رواق = المقصود بالرواق في المساجد، المساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة، وكذلك تعني إقامة مجانية طوال فترة دراستهم في الجامع – أنظر: محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٥٧.
(٧) محمد مظفر، المرجع السابق، ص ٧٥.

وهكذا فمما لا شك فيه أن إنجازات هؤلاء السلاطين قد ساهمت بشكل كبير في الارتقاء بالحياة الثقافية والعلمية في مملكة كشمير، واستمرت منشآتهم من مدارس ومكتبات ودور للترجمة في أداء دورها في هذا المجال لعقود لاحقة، تارة بدعم من الدولة وتارة أخرى بالدفع الذاتي بفضل جهود العلماء والفضلاء في فترات تقلصت فيها سنوات حكم السلاطين وازدادت الصراعات على السلطة والنفوذ.

(٢) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة البنغال

وإذا كنا بصدد تناول مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين مملكة البنغال بالعلم والعلماء في مملكتهم وخارجها، فقد وجبت الإشارة إلى أن صمت مصادر التأريخ لتلك الفترة عن ذكر مظاهر اهتمام سلاطين هذه المملكة بالعلوم والثقافة وخاصة في الفترة المبكرة من نشأتها، إنما يعود إلى كثرة الاضطرابات التي مرت بها هذه المملكة، والتي كانت لفرط ثراءها بالموارد الطبيعية فضلاً عن بعدها عن الحاضرة دهلي، تُشكل إغراءاً مستمراً لحكامها بالاستقلال بها.

وقد سبق الإشارة في موضع سابق كيف أصبحت هذه الولاية شبه مستقلة عن سلطنة دهلي بعد وفاة السلطان غياث الدين بلبن سلطان دهلي في عام ٦٨٦هـ/١٢٨٧م، واتخذ حكامها من مدينة «لكهنو» أو «لكهنوتي» حاضرة لهم، ثم في أوائل القرن الثامن الهجري (أوائل القرن الرابع عشر الميلادي) أعاد السلطان غياث الدين تغلق شاه (٧٢٠-٧٢٥هـ)/(١٣٢٠-١٣٢٥م) بسط سيطرته لبعض الوقت على البنغال من جديد، وقسمها إلى وحدتين إداريتين، ولكن بوفاته يستقل حاكم كل وحدة بحكمها لتظل البنغال طيلة قرنين ونصف من الزمان مملكة مستقلة عن سلطنة دهلي انتشر خلالها الإسلام بصورة كبيرة بين أبناء الطبقة الهندوسية الدنيا، مما جعل المسلمين يمثلون الأغلبية الساحقة في هذا الإقليم.[١]

وقد قام الإلياسيون (٧٤٦-٨١٧هـ)/(١٣٤٥-١٤١٤م) ثم (٨٤١-٨٩٢هـ)/(١٤٣٧-١٤٨٧م) بتوحيد كامل الأراضي البنغالية تحت تاج واحد، مما أدى إلى انحسار

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج١، ص ١٩٠ – ج٣، ص ١٦٤-١٦٥ – بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٦٥.

-C. Raychaudhuri, an Advanced History of India, p. 344.

-S. Bahattacharya, a Dictionary of Indian History, p. 122.

حدة الاضطرابات السياسية واتجاه المملكة إلى الاستقرار الذي ما لبث أن أدى إلى ازدهار العلوم والفنون الإسلامية خاصة في عهد السلطان غياث الدين أعظم شاه (٧٩٢-٨١٤هـ)/(١٣٩٠-١٤١٠م) الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالحياة العلمية والثقافية في مملكته بل وتعدى اهتمامه هذا خارج حدود مملكته، إضافة إلى اهتمامه الشخصي بالعلوم والفنون وهو الذي وصف بأنه كان حنفياً ذا حظ من العلم والخير، محباً في الفقهاء والصالحين، قرب إليه العلماء والمشايخ وأحسن إلى الناس وغمرهم بإحسانه».[١]

وقد تناولت مصادر التاريخ الإسلامي بكثير من الاهتمام مظاهر اهتمام هذا السلطان بالحياة الثقافية والعلمية خارج حدود مملكته وتحديداً بالحرمين الشريفين، فذكر أنه أنشأ بمكة المكرمة مدرسة عُرفت بـ «المدرسة البنغالية» وقرر بها طلبة، ومدرساً حنفياً، وقد ابتناها عند باب «أم هانئ»[٢] وبدأ عمارتها في رمضان من عام ٨١٣هـ/١٤١٠م، وقرر بها دروساً للمذاهب الأربعة، وابتدأ التدريس بها في جمادى الأول وقيل بل الآخرة من عام ٨١٤هـ/١٤١١م.[٣]

ويروي صاحب «نزهة الخواطر» تفاصيل إنشاء هذه المدرسة، فيذكر أن السلطان غياث الدين أعظم شاه المذكور، أرسل أحد أخلص خدمه ويُدعى «ياقوت الغياثي»[٤] ومعه صدقة كبيرة ليتصدق بها على أهل الحرمين الشريفين، ويبني له بمكة مدرسة ورباطاً، ويقف على ذلك عقاراً يصرف ريعه على أعمال الخير كالتدريس ونحوه،

(١) ابن حجر العسقلاني، الذيل على الدرر الكامنة، ص ٢٢٠ – السخاوي، الضوء اللامع، مج١، ج٢، ص ٣١٣ – التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص ١٨٣.

(٢) أم هانئ = هي أم هانئ "المجيرة"، قال لها رسول الله (صلعم) "قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت" متفق عليه، وهي ابنة عم النبي (صلعم) تربت معه في بيت أبيها أبي طالب، فهي "فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي، وأخت الإمام علي كرم الله وجهه، وكانت قبل إسلامها تدفع عن النبي أذى المشركين وتنصره في كل تحركاته في سبيل الله، وقد توفيت في عام ٥٠هـ/٦٧٠م – أنظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ٦٨٣.

(٣) تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ومحمد الطناحي، فؤاد سيد، ٨ أجزاء، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص ١١٧ – ابن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة، ص ٢٢٠ – السخاوي، الضوء اللامع، مج١، ج٢، ص ٣١٣ – التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص ١٨٣ – الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٠٢.

(٤) لم أقف له على ترجمة أو تاريخ وفاة.

وقد وصل ياقوت الغياثي إلى السيد «حسن بن عجلان»[1] شريف مكة يومئذ مع هدايا جميلة إليه، فقبلها وأمره أن يفعل ما أمره السلطان، وأخذ الشريف ثلث المال، ووزع الباقي على الفقهاء والفقراء بالحرمين الشريفين فعمتهم، ثم اشترى ياقوت الغياثي دارين متلاصقتين على باب أم هانئ لبناء المدرسة والرباط ثم هدمهما وبناهما في عامه رباطاً ومدرسة وجعل بها أربعة مدرسين من أهل المذاهب الأربعة، وستين طالباً وقف عليهم أصيلتين[2] وأربع وجبات ماء في «الركاني» واشترى داراً مقابلة للمدرسة المذكورة وقفها على مصالح الرباط.[3]

كما أنشأ السلطان غياث الدين أعظم شاه مدرسة بالمدينة النبوية بمكان يقال له الحصن العتيق عند باب السلام[4]، ولم ينقطع عن إرسال الصدقات الهائلة لأهل الحرمين، حتى توفي في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م بعد أن طار صيته في الآفاق، بفضل إحسانه ورعايته للعلوم وأربابها حتى صار بلاطه مقصداً للناس.[5]

ورغم ازدهار العلوم والفنون في عهد الإلياسيين إلا أنه قد تخللته فاصلة زمنية تُقدَّر بنحو خمسة وعشرين عاماً، انتقلت خلالها السلطة إلى سلالة حاكمة محلية هندوسية وهي سلالة راجا كانس (Raja Ganesa) الذي اغتصب السلطة من السلطان علاء الدين فيروزشاه في سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م وسلمها لابنه «جادو» الذي دخل الإسلام وحكم تحت اسم السلطان جلال الدين محمد شاه (٨١٧-٨٣٥هـ)/(١٤١٤-١٤٣٢م)، والذي رغم أصوله الهندوسية تمكن من حكم البنغال بمؤازرة عدد من المسلمين.[6]

---

(١) هو الزين أبو زهير بركات بن البدر أبي المعالي حسن ابن عجلان بن رميثة (ت. ٨٢٩هـ/١٤٢٦م) وتولى إمارة مكة منذ عام ٨٠١هـ/١٣٩٨م وقد عينه السلطان المملوكي الناصر فرج (٨٠٨-٨١٥هـ)/(١٤٠٥-١٤١٢م) في عام ٨١١هـ/١٤٠٨م نائباً له في الأقطار الحجازية وضم إلى حكمه المدينة المنورة وينبع وخليص والطائف والصفراء - أنظر: المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٢، ص ١٦-٢٣ - السخاوي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٣-١٠٥ - ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٩٤.

(٢) هما على الأرجح شجرتين مثمرتين.

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٠٢.

(٤) باب السلام: يقع في الركن الجنوبي الغربي من المسجد النبوي الشريف وهو يحاذي الباب الذي أحدثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زيادته المسجد النبوي الشريف - السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص ٥٠.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، مج١، ج٢، ص ٣١٣ - ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، ق٣، ج١، ص ٢٢٦ - التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج١، ص ١٨٣.

(٦) بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٦٦.

وقد حسن إسلام هذا السلطان وأظهر عناية ورعاية بالعلوم الدينية وأربابها، ليس في مملكته فحسب بل خارجها أيضاً، حيث أرسل في عام ٨٣٠هـ/ ١٤٢٩م هدايا جليلة لجماعة من الناس كان منهم الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري الهندي (ت. ٨٤١هـ/١٤٣٧م) بمصر ودمشق[1]، وقد توفي السلطان جلال الدين محمد شاه في سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م.[2]

وفي عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م عادت أسرة إلياس شاه لسدة الحكم في البنغال مرة أخرى واستمرت حتى عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وكان أبرز حكام تلك الفترة الملك الفاضل شمس الدين يوسف شاه بن باربك شاه (٨٧٩-٨٨٦هـ)/(١٤٧٤-١٤٨١م)، وقد وصف بأنه كان من خيار السلاطين، عادلاً، باذلاً، كريماً، رحيماً، خيِّراً، بارعاً في العلم والعمل، وقد عُرف بحبه وتقديره للعلم والعلماء، لذا اجتمع عنده العلماء من كل ناحية وبلدة، وكان له براعة في علم الفقه، حتى قيل أن العلماء كانوا يلجأون إليه في حل بعض القضايا وكان يقضي بما يفضي إلى العجب»[3]، حتى توفي في سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، وقيل في سنة ٨٨٧هـ/١٤٨١م.[4]

وفي نهاية عهد الإلياسيين استشرى نفوذ حراس القصر من الأحباش وما أن حل عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، حتى قام قائدهم بقتل آخر حاكم إلياسي، وهو جلال الدين فتح شاه (٨٨٨-٨٩٢هـ)/(١٤٨١-١٤٨٧م) واستأثر لنفسه بالسلطة، واستمرت فترة حكم الأحباش حتى سنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م، أي لما يقرب من السبع سنوات، عمت خلالها مظاهر الفوضى جميع أرجاء مملكة البنغال، وتدهورت بطبيعة الحال الحياة الثقافية والعلمية بها، ووصل الأمر في عهد رابع سلاطين الأحباش وهو شمس الدين مظفرشاه (٨٩٦-٨٩٩هـ)/(١٤٩١-١٤٩٤م) أنه قتل كثيراً من العلماء والصالحين. واستمرت مدة حكمه ثلاث سنوات ونصف تقريباً، وانتهى الأمر بمقتله على يد السلطان سيد علاء الدين حسين شاه (٨٩٩-٩٢٥هـ)/(١٤٩٤-١٥١٩م) الذي نجح في إعادة النظام والانضباط إلى مملكة البنغال.[5]

---

(١) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج٨، ص ٥٤٦ - السخاوي، الضوء اللامع، مج٤، ج٨، ص ٢٨٠.

(٢) بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٦٣.

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٨٢.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٦٧ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٨١-١٨٢.

(٥) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٩ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٦٦.

وقد كان السلطان سيد علاء الدين حسين شاه رجلاً عاقلاً، وعالماً، إضافة إلى كونه محارباً صنديداً، وقد أولى اهتماماً بالحياة الثقافية والعلمية في مملكته، فاستدعى العلماء والصالحين من أطراف المملكة واهتم بأحوالهم، وظل على هذه الحال طوال فترة حكمه التي امتدت لما يقرب من السبعة وعشرين عاماً.[1]

(٣) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة الدكن البهمنية

تُعتبر مملكة الدكن البهمنية من أوائل الدويلات الإسلامية التي استقلت عن سلطنة دهلي في بلاد الهند وذلك في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م في عهد السلطان الدهلوي محمد تغلق شاه الثاني (٧٢٥-٧٥٢هـ)/(١٣٢٥-١٣٥١م)، وكان أول من استقل بحكمها القائد «علاء الدين حسن شاه» الذي كان معيناً من قبل محمد تغلق الثاني حاكماً على كلبركا أحد أكبر مدن إقليم الدكن، وهو الذي اشتهر فيما بعد باسم السلطان «حسن كانكو» وبه استهل البهمنيون حكمهم الذي دام حتى عام ٩٣٤هـ/١٥٢٧م، فكان عهدهم عهد ازدهار للحياة الثقافية والعلمية في مملكة الدكن، وحظي العلماء والصالحين في عهدهم بالرعاية والاهتمام وأغدقوا عليهم من فضلهم وإحسانهم.[2]

ومما عرف عن السلطان حسن كانكو اعتقاده الشديد في أهل التصوف، حيث كان أحد رجالها ويُدعى «قطب العارفين الشيخ نظام الدين الدهلوي» قد بشره بأنه سيصبح سلطاناً وذلك أثناء خدمته للسلطان محمد تغلق شاه الثاني.[3]

وقد نال العلماء والصالحين اهتماماً ورعاية كبيرتين من قبل السلطان حسن كانكو فقد أكرم وفادة الشيخ الفاضل العلامة صدر الدين الشريف السمرقندي المنجم، وكان

---

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٦٩.

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضاراتهم، ص١٦٨ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٩.

(٣) روي أن علاء الدين حسن بعد أن وصل إلى دار السلطنة في دهلي في عهد محمد تغلق شاه الثاني، وترقى حتى أصبح من كبار قادته، أن دُعي من قبل قطب العارفين الشيخ نظام الدين الدهلوي، الذي مد مائدة للسلطان وكبار خاصته، وحدث أن خرج السلطان فقال الشيخ للخادم: "أن السلطان قد ذهب، والسلطان على الباب فأحضره، فخرج الخادم فرأى حسن كانكو على الباب فأحضره إلى الشيخ وانكب حسن على قدم الشيخ بعقيدة خالصة ... وسر وابتهج بالبشارة ثم توجه إلى الدكن .. فحكم كلبركا ثم استولى على باقي النواحي في عهد محمد تغلق شاه الذي آثر السلم - أنظر: الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١١.

أحد العلماء البارزين في علوم الهيئة[1] والهندسة والنجوم وغيرها، حتى ولاه السلطان حسن كانكو الصدارة بأرض الدكن في عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وظل يشغلها حتى توفي فيما بين عامي (٧٧٦-٧٧٩هـ)/(١٣٧٤-١٣٧٧م) في عهد السلطان مجاهد شاه (٧٧٦-٧٨٠هـ)/(١٣٧٤-١٣٧٨م).[2]

كما استغل السلطان حسن كانكو المذكور فرصة قدوم الشيخ فضل الله بن فيض الله الحسيني الشيرازي (ت. نيف[3]* وعشرين وثمانمائة هـ/١٤١٧-١٤٢٦م) ودخوله بلاد الهند في عهده، وكان أحد الأساتذة المشهورين بالذكاء والفطنة، فجعله معلماً لأبنائه محمد ومحمود وداود.[4]

وقد استمر هذا الاهتمام والحفاوة بالعلماء في عهد ولده السلطان محمد شاه الأول (٧٥٩-٧٧٦هـ)/(١٣٥٨-١٣٧٤م) حتى صارت بلاد الدكن في عهده الذي امتد طوال ثمانية عشر عاماً قبلة لاجتماع الأفاضل من جميع بلاد الهند.[5]

وقد بلغ تقديره للعلماء حد قبول شفاعة أحدهم وكان يُدعى الشيخ «ركن الدين الفرشوري»[6]، وهو أحد كبار مشايخ الصوفية في عصره، وكان قد تشفع لدى السلطان

---

(١) علم الهيئة: هو علم يُعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها، وموضوعة الأجرام المذكورة من الحيثية المذكورة، من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها، وهو يتفرع إلى فروع عدة منها: علم كتابة التقاويم، علم حساب النجوم، علم كيفية الأرصاد، علم الآلات الرصدية، علم المواقيت، علم الآلات الظلية، ... إلخ - للمزيد راجع: طاش كبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مج ١، ص ٣٥٧-٣٦٧ - القنوجي، أبجد العلوم، ج٢، ص ٥٧٦-٥٨٣.

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ٦٣.

(٣) * النيف = كل ما زاد عن العقد فهو نيف، حتى يبلغ العقد الثاني - الرازي، مختار الصحاح، ص ٢٩٩.

(٤) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١١٤.

(٥) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٣.

(٦) هو الشيخ الكبير محمد بن محمد الجنيدي ركن الدين بن سراج الدين الفرشوري، أحد كبار الأولياء، ولد بمدينة بيشاور (تابعة لإقليم السند في تلك الفترة وهي الآن في دولة باكستان) سنة ثمانين وستمائة للهجرة (١٢٨١م) ونشأ بها، ثم سافر إلى البلاد حتى وصل إلى دولت أباد سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م ثم انتقل إلى كلبركة سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٧م فاغتنم قدومه السلطان محمد شاه بن علاء الدين حسن البهمني (٧٥٩-٧٧٦هـ)/(١٣٥٨-١٣٧٥م) واعتقد فضله وكماله فطابت له الإقامة بها، حتى توفي في سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م - أنظر: الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٤٦.

محمد شاه الأول المذكور في اثنين من قادته الذين شقوا عصا طاعته في منطقة دبوجيري الدكنية وهما «بهرام خان» و«كويندراي»، فما كان من السلطان إلا أن قبل وساطة الشيخ ولكنه اشترط كي يعفو عن جرائمهما أن يخرجا من مملكته، فخرجا بالفعل إلى كجرات ثم توجه السلطان بعدها إلى مدينة كلبركا الدكنية، وأسعد العلماء ومشايخ المدينة من كثرة إنعاماته وإحسانه.[1]

وقد تولى الملك المؤيد محمد بن الحسن البهمني عرش الدكن بعد أخيه داود الذي لم يحكم سوى أشهر معدودة وقيل أياماً ثم قُتل في عام ٧٨٠هـ/١٣٧٩م ليتولى السلطان محمود البهمني المذكور في نفس العام ويستمر في الحكم حتى عام ٧٩٩هـ/١٣٩٧م، وقد وصف بأنه كان من خيار السلاطين، عادلاً، باذلاً، كريماً، فاضلاً، وكان عارفاً باللغة العربية والفارسية، ويتكلم بها في غاية الطلاقة، كما كان يجيد الكتابة، جيد الخط، وله ميل إلى قرض الشعر، وقد اجتمع العلماء عنده من كل حدب وصوب.[2]

وكان من جملة من قصده من العلماء الشاعر المشهور شمس الدين الحافظ الشيرازي (ت. ٨٢٧هـ/١٤٢٤م) والذي لفرط حفاوته به أركبه على المركب المحمود شاهي، وعندما عاد الشاعر إلى بلاده، أرسل إلى السلطان أبياتاً من إنشائه مستهلها:-

دمى باغم بسر بردن جهان يكسر نمى ازرد

بمى بفروش دلق ماكزين دهتر نمى ازرد

يس آسان نمود أول غم دريا بيسرى زد

غلط كردم كه يك موجش بص من زر نمى ازرد.[3]

ومعناها:

أتترك نسيم الحديقة وهو سر أبعاد كل أحزان الدنيا

كأحمق يبيع أسماك البحر والحرير وهي لا تتوافق

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٣.
(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٥٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٧٠.
(٣) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٥٧ - النمر، المرجع السابق، ص ١٧٠.

وأول ظهور الضوء في البحر يذهب ضراوة نمر الحزن

ويخطئ أبشع خطأ من يصد النور ويستسلم للحزن

إلى غير ذلك من الأبيات الرقيقة، التي ما أن وصلت إلى أسماع السلطان محمود شاه حتى أرسل إليه بألف تفكة من الذهب.[1]

ومما روي عن اهتمام السلطان محمود شاه البهمني بالحياة الثقافية والعلمية في مملكته، أنه أنشأ المكاتب لتعليم اليتامى في كلبركة، وبيدرا وقندهار، وإيلچپور .... وفي بلاد أخرى من مملكته، وجعل الأرزاق السنية للمحدثين ليتفرغوا بالاشتغال بعلم الحديث دون غيره، وكان للمحدثين لديه مكانة خاصة حيث عظمهم غاية التعظيم.[2]

ومن مآثره أيضاً أنه كان يتكلف في الزي والملبس قبل توليه السلطنة تكلفاً بالغاً، فلما قام بالملك ترك التكلف وكان يقول: «إن الملوك أمناء الله على بيت مال المسلمين» وقد توفي سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م بعد أن امتدت فترة حكمه لما يقرب من العشرين عاماً تقريباً.[3]

وقد استمرت سياسة سلاطين الدكن في الاهتمام بالعلم ورعاية العلماء والحفاوة بهم في عهد السلطان فيروزشاه بن داود بن الحسن البهمني (٨٠٠-٨٢٥هـ)/(١٣٩٧-١٤٢٢م)، الذي تمتع هو نفسه بميول وقدرات جعلته يسلك طريق العلم والمعرفة، حيث كان سريع الإدراك قوي الذاكرة، إلى جانب تلقيه العلم في صغره على يد الشيخ فضل الله بن فيض الله الشيرازي المتوفى سنة نيف وعشرين وثمانمائة.[4]

ورغم مشاغل السلطنة وتبعاتها إلا أن السلطان فيروزشاه البهمني المذكور لم يفتر عزمه عن مواصلة السعي في اكتساب العلم ومجالسه أربابه في كل مناسبة، حيث يذكر صاحب طبقات أكبري: «أنه لم يجعل الأمور الصعبة، والأعمال المعقدة بعيداً عن أهل الخلوة والمنقطعين للعبادة، وكان هو نفسه يعتكف في خشوع».[5]

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٢، ص ١٥٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٧٠.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٥٧ - النمر، المرجع السابق، ص ١٧١.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٢، ص ١٥٧ - النمر، المرجع نفسه، ص ١٧١.
(٤) الندوي، نفسه، ج٣، ص ١١٦ - النمر، نفسه، ص ١٧١.
(٥) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٧.

وكان مع اشتغاله بمهام الحكم، يُدَرِّس ثلاثة أيام في كل أسبوع، وهي السبت والاثنين والأربعاء، وإذا لم ينتهز فرصة أثناء اليوم دَرّس في الليل.[1]

كما كان يحسن إلى طلبة العلم إحساناً جميلاً، ويحب المذاكرة بالعلوم، ولم يزل عازماً على أن يبني مرصداً للنجوم، حتى اجتمع عزمه على ذلك في سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧هـ فأمر ببنائه في موضع يُقال له «بالا لشهاط» قريباً من دولة أباد، واشتغل العلماء الذين كلفهم السلطان فيروزشاه البهمني بالعمل على إنشاء هذا المرصد.[2]

وكان أبرز هؤلاء العلماء:-

الشيخ حسن بن علي الگيلاني، وكان أحد العلماء البارزين في علوم المنطق والحكمة وسائر الفنون العقلية، ومن ندماء السلطان فيروزشاه البهمني، الذي أمر بأن يساعد مجموعة من العلماء الشيخ حسن الگيلاني في بناء هذا المرصد، ولكن الشيخ وافته المنية في عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م قبل إتمامه للمهمة.[3]

الشيخ الفاضل العلامة محمود بن محمود الحسيني الكاذروني (ت. بعد عام ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وكان أحد العلماء البارعين في علوم الهندسة والهيئة وسائر الفنون الرياضية، أمره السلطان فيروزشاه البهمني بمعاونة الشيخ حسن الگيلاني في بناء المرصد، ولكن البناء لم يتم لوفاة الأخير كما سبقت الإشارة.[4]

ومن جملة اهتمام فيروزشاه البهمني بالعلم والعلماء، ما كان من استحضاره للشيخ الإمام العالم الكبير محمد بن يوسف الحسيني الدهلوي (ت. ٨٢٥هـ/١٤٢٢م) عندما علم بأمر سكناه مدينة أحمد أباد بـكجرات، فاستدعاه إلى كلبركة من بلاد الدكن في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م فسكن بها يدرس ويفيد حتى وافته منيته في العام المذكور.[5]

ولما كان حكم السلطان فيروزشاه البهمني لمملكة الدكن قد امتد لربع قرن من

(١) من الكتب التي كان يدرسها السلطان فيروزشاه البهمني (٨٠٠-٨٢٥هـ)/(١٣٩٧-١٤٢٢م)، الزاهدي في التصوف، وشرح التذكرة، وشرح المقاصد، تحرير الإقليدس، والمطول – أنظر: الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١١٧.

(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١١٧.

(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٥٨، ص ١١٧.

(٤) الندوي، نفسه، ج٣، ص ١٦٦.

(٥) الندوي، نفسه، ج٣، ص ٥٣، ١٥٤.

الزمان، فقد ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية في مملكة الدكن ازدهاراً كبيراً، وكانت وفاته في عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م.[1]

وقد تولى بعد فيروزشاه صِنوه[2] الملك المؤيد أحمد بن داود بن الحسن البهمني السلطان الصالح أحمد شاه الأول (٨٢٥-٨٣٨هـ)/(١٤٢٢-١٤٣٥م)، وقد شهد عهده الذي دام ما يقرب من الثلاثة عشر عاماً ازدهاراً كبيراً لأحوال المملكة وخاصة الحياة الثقافية والعلمية بها.[3]

حيث كان السلطان أحمد شاه الأول البهمني محباً للعلم وأهله، مرافقاً للفضلاء والأكابر أكثر الأوقات، كما كان له معرفة بالعلم ومشاركة جيدة فيه، حيث ذكر أنه كان بارعاً في الفقه واللغة العربية وعلم الهيئة وأحكام النجوم، ويكتب الخط الجيد ويفوق أقرانه في معرفة الخيل.[4]

ومن فضائل هذا السلطان ما قيل عن أن أيامه كلها كانت لا تنقضي إلا في عبادة، أما نهاره ففي تلاوة القرآن الكريم، ونسخ المصاحف، والبحث في العلم مع الطلبة، وأما الليل فإنه يسمر عنده خواصه إلى نصف الليل، يقضونه في المباحث العلمية، فإن عرض له في النهار شئ من أشغال مملكته كالحكم بين الناس ونحوه، كان أهل المجلس في بحثهم في العلوم وهو مع ما هو فيه من النظر في أمور المملكة يشاركهم فيما هم فيه، حتى أنه كان لا يبطل مباحثة أهل العلم وهو وإياهم على السماط في الأكل.[5]

وكان السلطان أحمد شاه الأول (٨٢٥-٨٣٨هـ)/(١٤٢٢-١٤٣٥م) لا يتعلل بأعذار في سبيل نشر الشريعة الإسلامية، وكان يرعى ويعظم ويكرم آل النبي (صلعم) وتابعيه، حتى ظُن أنه شيعي، وكان الباعث على هذا الظن أمره بإعدام أحد كبار أمرائه الذي كان يُدعى «شيرملك» تحت أقدام الفيلة لعدم إظهاره تواضعاً أمام شيخ يُدعى «أحمد

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص

(٢) صِنوٌ = إذا خرجت نخلتان أو ثلاث من أصلٍ واحد فكل واحدة منهن صِنوٌ، والاثنان صِنوان والجمع (صِنوانٌ)، (أصناء): ومنه قوله تعالى "صنوان وغير صنوان". وفي الحديث "عم الرجل (صنو) أبيه (والمعنى أي أخاه) – أنظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٦٧.

(٣) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٦-٧.

(٤) المقريزي، درر العقود الفردية في تراجم الأعيان المفيدة، مج١، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٥) المقريزي، المصدر السابق، مج١، ص ٢٨٥-٢٨٦.

سيد ناصر الدين عرب» وكان يُعرف بـ «سيدي»، وكان السلطان أحمد شاه الأول قد أعطاه مالاً جزيلاً لكي يتوجه به إلى مدينة كربلاء[1]، وقد صادفه الأمير «شيرملك» أثناء رحيله صوب كربلاء فأمره الشيخ «أحمد سيد ناصر الدين» بأن ينزل عن صهوة جواده تواضعاً له، فرفض الأمير بل وأمره هو بالترجل عن فرسه وأنزله أعوانه عن جواده، وعندها عاد الشيخ من فوره على السلطان أحمد شاه الأول يشكو له ما حدث، فلاطفه السلطان وخفف عنه وسمح له بالسفر ثانية، ولكن بعد أن أصدر أمره المذكور أنفاً بإعدام الأمير «شيرملك» معلقاً بأنه: «لا يجوز إهانة السادات».[2]

وفي موقف أخر يدل على إكرامه وتعظيمه لآل البيت، ما ذكر من أنه أعطى أحد الأشراف ويقال له «نور الله بن خليل الله بن نعمة الله»[3] أربعة «لكوك»[4] تنكة، سوى الجواهر والخدم والتحف.[5]

وفي دلالة على تقديره الشديد للعلماء والفضلاء، نجده وقد قرر اتخاذ ولياً للعهد ليخلفه، وكان ولده الأمير علاء الدين هو المؤهل لهذا الأمر في حين عين أبناءه الأخرين على حكم الولايات، كي يسود الصفاء والوفاء بينهم، ثم أخذ عليهم موثقاً بألا يخالف أحدهم الأخر، وأوصى أبناءه وصية يرى المتأمل فيها مدى حرص السلطان أحمد شاه الأول على أن ينتهج أبناءه نفس منهجه في تكريم العلماء وأهل الفضل والصلاح، وأن يخصوا الأربعة التالي ذكرهم بمزيد من الإكرام والإنعام وهم:-

(١) كربلاء = بالمد، وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما، في طرف البرية عند الكوفة، فإما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسُميت بذلك، ...... وقد سأل الحسين عن اسم هذه الأرض حين مر بها فقيل له كربلاء فقال: "أرض كرب وبلاء" - أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥مج، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مج٤، ص ٤٤٥.

(٢) المقريزي: درر العقود الفردية في تراجم الأعيان المفيدة، مج١، ص٢٨٣ - الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٠-٢١.

(٣) ذكر المحقق محمود الجليلي أن المقريزي ذكر في حاشية المسودة أن (نور الله بن نعمة الله) توفي سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٨م عن عمر ناهز ١٠٩ سنة. أنظر: المقريزي، المصدر السابق، مج١، هامش رقم (١)، ص٢٨٣.

(٤) جمع لك، واللك مائة ألف تنكة، والتنكة مثقالان ونصف، كما كتب المقريزي بخط يده، أنظر: المقريزي، المصدر نفسه، مج١، ص ٢٨٢.

(٥) المقريزي، نفسه، مج١، ص ٢٨٣.

أولاً : العلماء لأن قلوبهم ينابيع الحكمة والمعرفة.

ثانياً : الكتاب، لأن هذه الطائفة تزين بأقلامها وجه السلطان والدولة.

ثالثاً : أهل الصلاح، لأن صلاح العباد ودفع الفساد عن البلاد، يكون بهذه الجماعة، لأنها تعرف أهل الفتنة، وهم حراس الدين والدولة، ولسان السيف البتار ومفسرو آيات النصر والفتح.

رابعاً : المزارعون، لأنهم قوام العالم وبقاء بني آدم مبسوط بجهود هذه الطائفة.[1]

ومن أبرز الأمثلة على تقدير السلطان أحمد شاه البهمني الأول للعلماء واعتزازه برأيهم ومشورتهم، ما كان من استجابته للشيخ الفاضل العلامة نجم الدين الحنفي الكلبركوي أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول والعربية وقد شغل منصب مفتياً في معسكر السلطان أحمد شاه الأول المذكور ومقرباً لديه، وكان ذا جرأة ونجدة، لا تمنعه المهابة من قول الحق، حيث نصح السلطان أحمد شاه بعدم الخروج لغزو السلطان هوشنك شاه (٨٠٨-٨٣٨هـ)/(١٤٠٦-١٤٣٥م) سلطان مملكة مالوه، بعد أن أوشك الجيشان على القتال، فرجع السلطان أحمد شاه على بلاد الدكن، ولكن تعقبه السلطان هوشنك شاه إلى داخل أراضي مملكة الدكن، فاضطر السلطان أحمد شاه عندها إلى الدفاع عن أراضيه، وانتهى الأمر بانتصاره وفرار السلطان المالوي هوشنك شاه.[2]

وجدير بالذكر أن اهتمام ورعاية السلطان أحمد شاه الأول بالعلم والعلماء لم يكن داخل حدود مملكته فحسب بل تعداها أيضاً ليشمل العلماء ويصلهم بالعطايا والمنح في الحجاز ومصر، كما سعى في تشييد دور العلم خارج مملكته أيضاً، فنجده يرسل إلى الحرمين الشريفين نحواً من ثمانين آلاف دينار، صرفت في بناء مدرسة بمكة المكرمة، ومدرسة بالمدينة النبوية، ثم خصص لهما أوقاف، وفرق بقية الأموال على الناس.[3]

كما يذكر السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) أنه أنشأ بمكة رباطاً هائلاً على صدقات وبر وأفضال.[4]

(١) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٢.

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣-٢٤، ص ١٩٠-١٩٢ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٧٥.

(٣) المقريزي، درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة، مج١، ص ٢٨٣.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، مج١، ج١، ص ٢١٠.

وفي إطار سعيه أيضاً لمتابعة الحياة الثقافية والعلمية خارج حدود مملكته، نجده يقوم بإرسال رسالة مصحوبة بهدية ثمينة[1] إلى السلطان المملوكي في مصر الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ)/(١٤٢١-١٤٣٧م) وأمرائه، يسأله فيها أن يمكن رسله من بناء رباط بالقدس الشريف.[2]

وفي جمادى الآخرة من عام ٨٣١هـ/١٤٢٨م، أرسل السلطان أحمد شاه البهمني الأول إلى الشيخ محمد بن محمد أبو عبد الله البخاري العجمي الحنفي (ت. ٨٤١هـ/١٤٣٧م) وهو بمصر ثلاثة آلاف «شاش»[3]، وكان السلطان أحمد يعظمه منذ قرأ عليه أثناء تواجده بـكلبركة، وعندما راسله أشار عليه الشيخ العلاء البخاري، أن يرسل لفقراء الطلبة صدقة، فأرسل السلطان أحمد شاه صدقة كبيرة تولى الشيخ العلاء البخاري توزيعها على الطلبة، ثم أقام لهم وليمة كبيرة.[4]

وقد توفي السلطان أحمد شاه البهمني الأول في رجب من عام ٨٣٨هـ/١٤٣٥م بعد أن حكم ما يقرب من الثلاثة عشرة سنة.[5]

وقد تولى السلطان علاء الدين بن أحمد شاه البهمني (٨٣٨-٨٦٢هـ)/(١٤٣٥-١٤٥٨م) الحكم بعد والده حيث كان ولياً لعهده وذلك في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م، ووصف بأنه كان عادلاً، فاضلاً كريماً، بارعاً في بعض العلوم، بل كان يقوم على المنبر ويخطب بنفسه أحياناً.[6]

---

(١) تألفت الهدية من أربعة سيوف، وستة عشر جملاً عليها شاشات وأزر، أنظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط القاهرة ١٩٧٢م، ج٤، ق٢، ص ٧٧٣ - ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٨، ص ٥٥٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٧٧٣ - كذلك - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٢٤٧.

(٣) شاش = هو نسيج حريري، كان يزدان برسوم مخططة أو مرقشة تشبه جلد النمر، لذلك عُرف كذلك باسم "النمر". أنظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ط الإسكندرية ١٩٨٢م، ص ٥٣٧ - عاصم محمد رزق، مراكز الصناعة في مصر الإسلامية، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٩م، ص ١١٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج٨، ص ٥٥٤ - السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج٩، ص ٢٩٢.

(٥) السخاوي، المصدر السابق، مج١، ج١، ص ٢١٠.

(٦) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٠٠-١٠١.

وقد ضرب هذا السلطان مثالاً يُحتذى في التسامح الديني وعدم التفرقة بين المسلم والهندوسي عندما أسس مارستاناً[1] بمدينة أحمد آباد الدكن حيث عين بها الأطباء من المسلمين والهندوس ورتبهم وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال، ثم رتب العقاقير والأدوية وسائر ما يحتاج إليه المرضى من حر ومملوك وغني وفقير دون تمييز.[2]

وتجدر الإشارة إلى أنه في أواخر عهد هذا السلطان مُني التواجد الشيعي في هذه المملكة بنكبة كبرى، حيث يروي صاحب طبقات أكبري، كيف استطاع نجل «مشير الملك» الذي سبق ونكبة السلطان أحمد شاه الأول (٨٢٥-٨٣٨هـ)/(١٤٢٢-١٤٣٥م) وكان يُدعى «سلار حمزة» بمعاونة أحد وزراء السلطان علاء الدين شاه البهمني ويُدعى «رجابي رستم» من أن ينتقم لمقتل أبيه تحت أقدام الفيل بسبب أحد السادات كما سبقت الإشارة، فدبر مذبحة لما يقرب من الألفين ومائتين من السادات صحيحي النسب، حيث أقام لهم وليمة كبرى، وأجلسهم جميعاً بكل التكريم والتعظيم، ثم أعمل ثلاثة آلاف رجل مسلح السيف فيهم فقتلوا جميعاً، ويتعجب الهروي في نهاية الخبر الذي ذكره كيف أن الأب (يقصد به السلطان أحمد شاه الأول) يلقي بوزيره تحت أقدام الفيل بسبب إهانته لأحد السادات، ثم يُقتل في عهد الابن (يقصد السلطان علاء الدين شاه بن أحمد شاه البهمني) ألفين ومائتين من السادات دون ذنب أو جريرة.[3]

ويستطرد صاحب طبقات أكبري في إطار تناوله لهذا الحدث معلقاً بأنه: «لم تحدث في عهد قط مثل هذه الواقعة منذ واقعة «يزيد الملعون»[4]».[5]

وقد توفي السلطان علاء الدين بن أحمد شاه البهمني في عام ٨٦٢هـ/١٤٥٨م بعد أن حكم ما يقرب من الأربع وعشرين سنة.[6]

---

(١) مارستاناً: لفظة فارسية تعني "دار الشفاء".

(٢) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٠٢.

(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٧.

(٤) يزيد الملعون، يُقصد به الخليفة الأموي يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)/(٦٨٠-٦٨٣م) والذي قتل قائده "عبيد الله بن زياد" الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأتباعه في كربلاء في العاشر من محرم من عام ٦١هـ/ ٦٨١م - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، أحداث سنة ٦١هـ، ص ٤٠٠-٤٦٧.

(٥) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧.

(٦) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٠.

خلفاء السلطان علاء الدين شاه البهمني

وقد تولى بعد السلطان علاء الدين شاه البهمني ولده السلطان علاء الدين همايون شاه (٨٦٢-٨٦٥هـ)/(١٤٥٨-١٤٦١م)، الذي اشتهر بـ «ظالم»[1]، والذي ما أن استتب له أمر السلطنة حتى اتخذ له وزيراً فاضلاً هو الخواجة «محمود كاوان الكيلاني»[2] (ت. ٨٨٦هـ/١٤٨١م) وكان عالماً محنكاً يخاف الله، ففوضه همايون شاه أمر الوزارة، ووضع زمام حل وعقد وقبض وبسط الأمور الملكية في يده القوية، بل وجعله معلماً لابنيه نظام شاه ومحمد شاه، معللاً ذلك بقوله: «الارتقاء على مدارج القهر ومعارج السلطنة يكون بعون ومساعدة الوزير .... ولا ينكر أن زيادة المحاصيل وإعداد الجيش ثمرة من ثمرات رأيه».[3]

ولم يستمر حكم همايون شاه أكثر من ثلاث سنوات حيث توفي في عام ٨٦٥هـ/١٤٦١م ليتولى خلفاً له ولده نظام شاه (٨٦٥-٨٦٧هـ)/(١٤٦١-١٤٦٣م) وكان ابن عشرة أعوام، تلاه في الحكم أخاه السلطان محمد شاه (الثالث) (٨٦٧-٨٨٧هـ)/(١٤٦٣-١٤٨٢م) وهو ابن عشر سنوات وقيل تسع، وكانت الكلمة الأولى والأخيرة في تلك الفترة للوزير الفاضل «محمود كاوان الكيلاني» المذكور، حيث ساس أمور المملكة، في حين شُغل محمد شاه في تلك السن المبكرة باكتساب العلم حتى برع وفاق أقرانه، ومهر في الخط، ثم تولى زمام السلطنة بعد أن بلغ رشده، ورويداً رويداً أخذ يضيق من سيطرة الوزير محمود كاوان على مقاليد السلطنة، وانتهز أعداء الوزير فرصة غضب السلطان عليه فدسوا له عنده، وأمر السلطان محمد شاه بقتل محمود كاوان في صفر من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، فقتل وعم الحزن عليه في مملكة الدكن وخارجها، وكان مقتله إيذاناً بانهيار المملكة البهمنية، ثم لم يلبث أن توفي السلطان محمد شاه الثالث نفسه في عام

(١) لقب همايون شاه بـ "ظالم" لأنه كان يفرط في أداء الحقوق لطبعة الحاد، كما كان سفاكاً للدماء في تأديب المجرمين والعصاة، وكان متصفاً بالنزق والتهور، ولكنه مع ذلك لم يخل من صفات محمودة، حيث كان مع قهره وجبروته مصيباً في الرأي، حسن البيان، كما كان سخياً جواداً - أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص٣٠.

(٢) سبقت الترجمة له تفصيلاً - أنظر فيما سبق، الباب الثاني، الفصل الثاني، ص١٧١-١٧٣.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج١٠، ص١٤٣-١٤٥ - الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٣١، ص ٣٩ - طاش كبري زادة، مفتاح السعادة، مج١، ص ٢٠٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٢-١٦٥.

٨٨٧هـ/١٤٨١م ولم يكن قد أتم العقد الثالث من عمره بعد، بعد أن حكم قرابة العشرين عاماً.[1]

وبانهيار حكم محمد شاه الثالث تولى بعده حكاماً ضعاف لم يكن لهم من السلطنة سوى ألقابها، وانتهى الأمر بتفكك مملكة الدكن البهمنية إلى خمس دويلات محلية ما لبثت أن سقطت جميعها في يد الإمبراطورية الإسلامية المغولية.[2]

(٤) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة جونبور

سبقت الإشارة في موضع سابق من هذه الدراسة إلى أن مملكة جونپور (٧٩٦-٨٨١هـ)/(١٣٩٤-١٤٧٦م) كانت من الممالك الهندية الإسلامية المستقلة القصيرة الأجل، حيث لم تتجاوز فترة استقلالها عن سلطنة دهلي التسعين عاماً، وحكمها في هذه المدة الزمنية ستة حكام، كان أبرزهم السلطان شمس الدين إبراهيم الشرقي (٨٠٣-٨٤٤هـ)/(١٤٠٢-١٤٤٠م) ثالث حكام هذه الدولة، الذي حكم ما يقرب من نصف عمر هذه الدولة، وشهدت البلاد في عهده أوج تقدمها وازدهارها.[3]

وقد امتدح المؤرخون عهد السلطان إبراهيم الشرقي، ذاكرين كيف كانت مملكته في ظل حكمه مهداً للأمن والأمان، حتى صارت مقصداً للعلماء والعظماء، وأصبحت جونپور دار علم معروفة، وأصبح قصر السلطان نفسه داراً للعلم لكثرة من وفد عليه من العلماء، كما صنفت في عهده وباسمه العديد من الكتب والرسائل منها «حاشية هندي»، و«البحر المواج»، و«فتاوى إبراهيم شاهي»، و«إرشاد» إلى غير ذلك.[4]

ومن مآثر السلطان إبراهيم الشرقي أيضاً، اهتمامه بإنشاء المدارس، وكذا الجامع بمدينة جونپور.[5]

(١) السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج١٠، ص ١٤٥ - الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٣٤-٤٠ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٤٩.

(٢) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٧-٥٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٩-١٧٤ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٢٧٧-٢٨٠.

(٣) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٣-١٧٦ - الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ص ١٦٦-١٦٧ - بوزورث، المرجع السابق، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٤) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٤ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١-٢، ص ١٣١ - الساداتي، المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٥) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٢.

وقد نال علماء الهند والعالم الإسلامي ممن وفدوا على بلاط السلطان إبراهيم الشرقي كل تعظيم وتقدير وحفاوة وإكرام ولعل أبرز هؤلاء:-

الشيخ محمد بن عيسى المجونپوري، ذكر صاحب نزهة الخواطر أنه كان من نسل محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان قد ولد بدار الملك دهلي في صفر من عام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، ثم خرج صحبة والده أثناء الغزو التيموري لسلطنة دهلي في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م، فدخل جونپور، وأخذ العلم من كبار العلماء بها، ثم ترك البحث والاشتغال وانتهج طريق التصوف، وتشدد فيه، حتى قيل أن ظهره لم يمس الأرض طيلة اثنتي عشرة سنة، وكان لا يخرج من حجرته إلا للصلوات الخمس، وكان لا يتردد إلى أحد، ولا يفتح بابه لأحد، وظل على ذلك طيلة أربعين عاماً، وكان لا يقبل الهدايا من السلاطين، حتى قيل أن السلطان إبراهيم الشرقي الذي كان يعتقد في فضله وكماله أراده أن يقبل شيئاً من هداياه وعطاياه، ولكن الشيخ كان دائم الرفض، وظل كذلك حتى توفي في الرابع عشر من ربيع الأول من عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م.(١)

الشيخ الكبير عادل الملك المجونپوري(ت. بعد عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م)، أحد المشايخ المشهورين، ولد ونشأ بجونپور، وقرأ العلم على أساتذة عصره بها، وكان السلطان إبراهيم الشرقي يتبرك به.(٢)

القاضي أحمد بن عمر الدولت آبادي، ولد بدولة آباد دهلي بعد ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، ونشأ بها، وقرأ العلم على القاضي عبد المقتدر ركن الدين الشريحي الكندي (ت. ٧٩١هـ/١٣٨٩م)، والشيخ خواجكي الدهلوي (ت. ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)، فبرز في الفقه والأصول واللغة العربية، وصار إماماً في العلوم، غاية في الذكاء وسرعة الإدراك وقوة الحفظ وشدة الانهماك في المطالعة في الكتب، لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث، وهو من قال فيه القاضي الشريحي الكندي: «أتاني رجل جلده علم ولحمه علم، وعظمه علم»، وعندما دخل القاضي أحمد بن عمر الدولت آبادي مملكة جونپور، نال كل الحفاوة والتكريم، حتى طابت له الإقامة بها خاصة لما لقاه من عناية السلطان إبراهيم الشرقي وكذلك بقية الساسة والعلماء، حتى

(١) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٤٣-١٤٤.
(٢) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٩٢.

أنه جعله قاضياً للقضاة، وكان يضع له كرسياً في حضرته وقد صيغ من الفضة كي يجلس عليه، وحدث أن مرض القاضي الدولت آبادي وطال مرضه، فعاده السلطان إبراهيم الشرقي، وأمر بالماء فجيئ به فأخذه السلطان وطوفه على رأس القاضي سبع مرات وقال: «اللهم إن قدرت له موتاً فاصرفه عنه إليّ»، وقد توفي القاضي الدولت آبادي لخمس بقين من رجب من عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م بمدينة جونپور ودُفن جنوبي مسجد السلطان إبراهيم الشرقي ومدرسته.(١)

وقد توفي السلطان إبراهيم الشرقي في عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، وخلفه ولده السلطان محمود شاه بن إبراهيم (٨٤٤-٨٦١هـ)/(١٤٤٠-١٤٥٦م)، وعرف بسلطان الشرق، وقد وصف بأنه كان أحد خيار السلاطين، عادلاً، باذلاً، محظوظاً، محباً لأهل العلم، محسناً إليهم، دام حكمه لما يقرب من الستة عشر عاماً ثم توفي في عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م.(٢)

وقد تولى بعد السلطان محمود شاه ولده السلطان محمد شاه بن محمود شاه بن إبراهيم الشرقي (٨٦١-٨٦٣هـ)/(١٤٥٦-١٤٥٨م)، ولكنه لم يكن أهلاً للحكم، فعزل ليتولى بعده أخاه السلطان حسين شاه بن محمود شاه (٨٦٣-٨٨١هـ)/(١٤٥٨-١٤٧٦م)، وقد حكم قرابة التسعة عشر عاماً) قضى أغلبها في محاولة الحفاظ على استقلال مملكته في مواجهة إصرار السلطان الدهلوي بهلول اللودي (٨٥٥-٨٩٤هـ)/(١٤٥١-١٤٨٨م) على استعادة سيطرته على جونپور.(٣)

ورغم الضغوط السياسية والعسكرية الكبيرة التي صاحبت فترة حكم السلطان حسين الشرقي، إلا أن الحياة الثقافية والعلمية في جونپور كانت محط عنايته واهتمامه، حتى ذكر أنه هو نفسه كان فاضلاً كبيراً، وله مشاركة جيدة في العلوم، وكان قد تتلمذ على يد القاضي سماء الدين المجونپورى (ت. بعد ٨٩٤هـ/١٤٨٩م) أحد كبار علماء عصره، وقد قربه إليه السلطان حسين الشرقي بل واستوزره أيضاً.(٤)

كما برع السلطان حسين الشرقي في علم الموسيقى، ووضع فيه مصنفاً أسماه

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٩-٢٠.
(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٧٦-١٧٩ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص٢/ ص ١٥٨-١٥٩.
(٣) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٩ - الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٦٠.
(٤) الندوي، نفسه، ج٣، ص ٦١، ص ٨١.

«تحفة الهند». [1] وعلى أية حال ففي عهد هذا السلطان فقدت مملكة جونپور استقلالها، وعادت إلى حظيرة سلطنة دهلي، بعد أن نجح السلطان بهلول اللودي (٨٥٥-٨٩٤هـ)/(١٤٥١-١٤٨٨م) في إعادة بسط سيطرته عليها في عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م، وسمح في بداية الأمر للسلطان حسين الشرقي بالإقامة في جزء من المملكة وظل الوضع هكذا حتى توفي السلطان بهلول اللودي في عام ٨٩٤هـ/١٤٨٩م، وتولى بعده ولده سكندرشاه الثاني (٨٩٤-٩٢٣هـ)/(١٤٨٩-١٥١٧م) الذي أصر على الاستيلاء على جونپور كاملة، فتوجه لحرب السلطان حسين شاه الشرقي، الذي فر إلى البنغال ليعيش بها عدة سنوات حتى توفي بها في عام ٩٠٥هـ/١٥٠٠م. [2]

(٥) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة مالوه

شُغلت هذه الدولة طوال فترة استقلالها التي امتدت لما يقرب من المائة وثلاثين عاماً بصراعات ومناوشات مستمرة مع الدويلات المحيطة بها ، والتي كانت تتطلع دوماً إلى بسط امتدادها الجغرافي على حساب هذه الدويلة، ولعل أبرز هذه الدويلات مملكة الدكن البهمنية، ومملكة كجرات التي ظل سلاطينها في محاولات دائمة لبسط سيطرتهم على مملكة مالوه.

وظل تركيز سلاطين مالوه الأوائل[3] الذين حكموا في الفترة من (٨٠٤-٨٣٩هـ)/(١٤٠١-١٤٣٦م) منصباً على جهتين رئيسيتين، الأولى ترتيب وإقرار الوضع الداخلي وبسط سيطرتهم على جميع مدن وقلاع المملكة، والثانية درء المحاولات المستمرة لسلاطين الدكن وكجرات لإخضاع مالوه لسيطرتهم[4].

ومنذ عهد السلطان محمود شاه الأول الخلجي (٨٤٠-٨٧٣هـ)/(١٤٣٦-١٤٦٨م)

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٦١.
(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٨٠-١٨١ - زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص ٤٣١ - الندوي، المرجع السابق، ص ٦١.
(٣) وهم ملوك أسرة الغوريين الذين حكموا مالوه في الفترة (٨٠٤-٨٣٩هـ)/(١٤٠١-١٤٣٦م) وهم ديلاورخان حسين الغوري (٨٠٤-٨٠٨هـ)/(١٤٠١-١٤٠٥م)، هوشنك شاه المعروف بمحمد الأول (٨٣٨هـ/١٤٣٥م) ثم مسعود خان ٨٣٩هـ/١٤٣٦م. أنظر: زامباور، المرجع السابق، ص ٤٣١-٤٣٢ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٧٥.
(٤) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٥-٢٠٠.

- أول سلاطين أسرة الخلجيين التي حكمت مالوه في الفترة (٨٤٠-٩٤٣هـ)/(١٤٣٦-١٥٣٧م) - بدأت المصادر التاريخية لتلك الفترة في تناول جهود سلاطين هذه المملكة على صعيد الحياة الثقافية والعلمية فيها، وكان حظ السلطان محمود شاه الأول المخلجي هو الأوفر في هذا الصدد، حيث وصف السلطان محمود شاه المخلجي بالكرم والجود، واشتهر هذا السلطان بحفاوته بأرباب الفضل والكمال، ورعايته للعلماء من شتى البلدان، حيث اجتمع لديه خلق كثير من العلماء من مختلف أرجاء العالم الإسلامي. [1]

وقد أولى السلطان محمود شاه المخلجي الحياة الثقافية والعلمية في مملكته عناية خاصة، واهتماماً بالغاً، فأسس مدرسة عظيمة ببلدة «مندو»[2] عُرفت باسم «المدرسة المحمدية» وأجرى على العلماء وطلاب العلم بها الأرزاق والرواتب. [3]

كما أقام في عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م داراً للشفاء، وأوقف عليها عدة قرى للإنفاق على الأدوية وما يحتاج إليه المرضى، وأمر فضل الله الحكيم[4] الملقب بملك الحكماء بمراعاة أحوال المرضى والمجانين. [5] ولم يكن اهتمام السلطان محمود شاه الأول المخلجي بالحياة الثقافية والعلمية مقتصراً على ربوع مملكته فحسب، بل تعداها إلى الحرمين الشريفين، حيث أنشأ بمكة المكرمة عند باب أم هانئ مدرسة تُعرف بدارها، وقرر في مشيخة التدريس والحديث بها إماماً من أئمة الحنفية ويُدعى الشمس البخاري. [6]

وقد أولى هذا السلطان علماء مملكته وأولئك العلماء والفضلاء الذين وفدوا على بلاده، عناية واهتماماً كبيرين، ومن أبرز هؤلاء:-

- الشيخ جائلدة المندوي، وكان أحد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح، ولد ونشأ

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٦٠-١٦١ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٦٢.
(٢) مندو = مدينة في إقليم مالوه، جعلت حاضرة له في عهد السلطان هوشنك شاه (٨٠٨-٨٣٨هـ)/(١٤٠٥-١٤٣٥م) من السرة الغورية التي حكمت مالوه (٨٠٤-٨٣٩هـ)/(١٤٠١-١٤٣٦م)، وهي مدينة حصينة تحيط بها أسوار يبلغ طولها الخمسة وعشرون ميلاً.
-Bahattacharya, a Dictionary of Indian History, p. 576.
(٣) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢٠١ - أحمد الجورانة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ١٨٧ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٦١.
(٤) لم أقف له على تاريخ وفاة أو ترجمة.
(٥) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٠ - الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٦١.
(٦) السخاوي، الضوء اللامع، مج٥، ج١٠، ص ١٤٨.

بمدينة أچ السندية ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار، وأقام بها مدة من الزمان ثم عادة إلى الهند، ودخل مندو في عهد السلطان محمود شاه الخلجي الذي كلفه بالإقامة لديه، وولاه شياخة الإسلام في مندو، وكان يدرس ويفيد بها حتى توفي ودُفن بها في عهد السلطان محمود شاه الأول الخلجي المذكور.[1]

الشيخ سلام الله المندوي، وكان أحد الفقهاء البارزين، كما برع في علوم الأصول واللغة العربية، وقد لقبه السلطان محمود شاه الخلجي بسيد العلماء، وكان وجيهاً مبجلاً عنده.[2]

الشيخ شهاب الدين للجونپوري، وكان أحد الفضلاء المشهورين في عصره، سافر إلى مندو في عهد السلطان محمود شاه الخلجي، الذي أكرم وفادته، ونال الشيخ منه كل التشجيع حتى صنف له كتاباً ضخماً في تاريخ مملكة مالوه، أسماه «محمود شاهي» نسبة إلى السلطان محمود شاه الخلجي نفسه.[3]

وكانت وفاة السلطان محمود شاه الخلجي في التاسع عشر من ذي القعدة من عام ٨٧٣هـ/١٤٦٨م بعد أن حكم ما يقرب من الأربعة وثلاثين عاماً، نادراً ما خلت من الحروب والغارات.[4]

وقد تولى خلفاً له، ولده السلطان غياث الدين بن محمود شاه الخلجي (٨٧٣-٩٠٦هـ)/(١٤٦٨-١٥٠٠م)، وكان على العكس تماماً من والده، حيث آثر الهدوء والدعة والتمتع بمباهج الحياة[5]، وجعل مملكته حصناً آمناً مطمئناً دون أن يُغير على ممالك الآخرين، وكان من أشد الحكام اهتماماً بالفنون والطرب والموسيقى، حتى توجه أهل تلك الفنون إلى بلاطه من شتى البلدان.[6]

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٥٢.
(٢) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ٨١.
(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ٨٩.
(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٢١٩، ص ٢٢٢ - الندوي، نفسه، ج٣، ص ١٦١-١٦٢.
(٥) ذكر الهروي أن السلطان غياث الدين كان يقضي جل وقته في اللهو والمرح، حتى أنه جعل حرمه مملوءا بالجواري الجميلات، وبالغ في هذا الأمر، وعلم كل فتاة جميلة منهن فناً، ومهنة تناسبها، وعلم البعض الرقص والدق على الدفوف، وجماعة منهن الغناء والمزمار ....، وعلم خمسمائة جارية ممن يحظون بقوة العزيمة= =المعرفة والعلوم المختلفة، وكان يشرك إحداهن يومياً في طعامه .. أنظر: الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص٢٢٢.
(٦) الهروي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢.

ثم تغيرت سلوكيات السلطان غياث الدين بن محمود شاه الخلجي تغيراً تاماً، فتوجه للتقشف وسلك مسلك الزهد والتعبد وقرب إليه رجال التصوف، وكان أبرزهم الشيخ الإمام العارف عبد الله بن حسام الدين بن عبد الله ابن زيد بن ضياء الدين السهروردي ثم الشطاري الخراساني (ت. ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) وكان من الرجال المشهورين في العلم والمعرفة، وشيخاً جليلاً كبير المنزلة، وكان يعتقد في فضله وكماله، ويعظمه تعظيماً بالغاً، ويتلقى إشاراته بالقبول، وقد صنف له الشيخ رسالة في أذكار الطريقة الشطارية.[1]

وفي عهد السلطان غياث الدين الخلجي، أسست مدرستان، إحداهما في العاصمة مندو في موضع يُقال له شاهي آباد، عُرفت بـ «المدرسة الغياثية»[2]، والثانية مدرسة «ظفرآباد» التي أسسها السلطان في مدينة ظفرآباد من مملكة مالوه.[3]

وقد ظل السلطان غياث الدين على زهده وورعه حتى توفي في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م بعد أن حكم اثنتين وثلاثين سنة.[4]

وقد تولى مملكة مالوه بعده ولده السلطان ناصر الدين بن غياث الدين الخلجي (٩٠٦-٩١٧هـ)/(١٥٠٠-١٥١١م) ورغم أنه كان كثير الانشغال بالحروب والمعارك من جهة ثم في أوقات أخرى باللهو والمرح، إلا أنه عُرف بإجلاله للعلماء، ويتضح ذلك من نصحه لابنه محمود حين استشعر دنو أجله قائلاً: «احترام وكرم السادات لأنهم ثمرة حديقة النبوة والرسالة، وأنعم على طبقة العلماء العالية لأنهم ورثة الأنبياء من فيض السحاب، وكف عن ناقصي العقل والجهلاء».[5]

تلك كانت أهم مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين مالوه بالعلم والعلماء، حيث اتخذ طابع حكم من تلى السلطان ناصر الدين بن غياث الدين من حكام مالوه، منحىً سياسياً وعسكرياً يكاد يكون صرفاً، كان هدفه درء أطماع من جاور من ممالك في مملكته، وإسكات أصوات الفتنة والعصيان التي أضحت تتعالى بين الحين والآخر.

(١) الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ٩٥-٩٦.
(٢) أحمد الجورانة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ١٨٨.
(٣) أحمد الجورانة، المرجع السابق، ص ١٨٨.
(٤) الهروي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢٣.
(٥) الهروي، نفسه، ج٣، ص ٢٣٦.

(٦) مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء في مملكة كجرات

نالت الحياة الثقافية والعلمية في مملكة كجرات عناية واهتماماً كبيرين، وآثر سلاطين هذه المملكة الصلحاء والعلماء سواء من مملكتهم أو من أولئك الوافدين عليها من شتى أنحاء العالم الإسلامي بفيض كرمهم وجزيل عطاياهم، فها هو ذا السلطان أحمد شاه الأول بن ظفرخان الكجراتي (٨١٤-٨٤٦هـ)/(١٤١١-١٤٤٢م) يفتتح عهده بالعدل والإحسان، وفتح القلاع والحصون، ثم يؤسس مدينة كبيرة بإقليم كجرات ويُطلق عليهم اسم «أحمد آباد» والنسبة ليست إليه، وإنما هي تيمناً باسم الشيخ الفقيه الزاهد شهاب الدين أحمد بن عبد الله الكهتوي[١] (توفي في الرابع عشر من شوال من عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) أحد مشايخ الصوفية المشاهير في بلاد الهند، وكان قد استدعاه السلطان مظفر شاه الأول (٨١٠-٨١٤هـ)/(١٤٠٨-١٤١١م) إلى كجرات وكلفه بالإقامة لديه، ثم عندما تولى ولده أحمد شاه الأول الحكم بايع الشيخ الكهتوي وأسس هذه المدينة وأطلق عليها اسم أحمد آباد تيمناً باسمه.[٢] وهي المدينة التي جعلها السلطان أحمد شاه الأول المذكور، حاضرة لملكه.[٣]

وقد اجتمع عند السلطان أحمد شاه الأول الكجراتي أهل العلم من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، لما عرفوه عنه من التدين وتشجيع العلم وإكرام العلماء وحثهم على التصنيف فوضعوا له التصانيف الجليلة القيمة، لعل أشهرهم الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني (ت. ٨٢٧هـ/١٤٢٤م) الذي صنف له «شرح التسهيل» لابن مالك (ت.٦٧٢هـ/١٢٧٣م) و» مصابيح الجامع «وهو شرح صحيح البخاري، و»عين الحيوة» وهو مختصر حياة الحيوان الكبرى للدميري (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، و «تحفة الغريب شرح مغني اللبيب «وغيرها.[٤]

---

(١) الكهتوي = نسبة إلى قرية كهتو من أعمال ولاية ناكور - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٧.

(٢) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ٧٠ - الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٧ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٣.

(٣) الندوي، المرجع نفسه، ج٣، ص ١٤.

(٤) المقريزي، درر العقود الفريدة، مج٣، ص ١٠٣-١٠٤ - ابن حجر العسقلاني، الذيل على الدرر الكامنة، ص ٣٠٤ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص ٣٠٣-٣٠٤ - السيوطي، بغية الوعاة، ص ٢٧-٢٨ - أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص ١٥٠ - الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص ١٥٠ - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٤٠٦، ٥٤٩، ٦١٣، ٦٩٦، ج٢، ص ١١٤٥،

أما الشيخ شهاب الدين أحمد الكهتوي (ت. ٨٤٩هـ-١٤٤٥م) فله رسالة صنفها للسلطان أحمد شاه الأول الكجراتي.[١]

وفي عهد السلطان قطب الدين أحمد شاه الثاني (٨٥٥-٨٦٣هـ)/(١٤٥١-١٤٥٩م) وهو رابع سلاطين مملكة كجرات نظمت أول قصيدة كبيرة بلغة الكجرات.[٢]

كما وفد على مملكة كجرات في عهده الشيخ عمر بن محمد بن محمد الدمشقي الشافعي المعروف بـ «البيطاني»، وكان قد ولد بدمشق في عام ٨٢٩هـ/١٤٢٦م ونشأ بها ثم دخل القاهرة ثم كبناية من إقليم كجرات في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م بقصد التجارة، ولكن آل أمره إلى الدخول في الديوان الملكي، حتى ولاه السلطان محمود الأول الكجراتي المعروف بـ «بيكرو» - سادس سلاطين مملكة كجرات (٨٦٣-٩١٧هـ)/(١٤٥٩-١٥١١م) - قضاء المذهب الشافعي إلى جانب القاضي الحنفي، وذلك في عام ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، واستمر يشغل هذا المنصب حتى عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م، ثم أرسله السلطان محمود شاه الأول «بيكرو» رسولاً من عنده بهدية إلى السلطان المملوكي في مصر «الأشرف سيف الدين قايتباي» (٨٧٢-٩٠١هـ)/(١٥٦٨-١٤٩٦م).[٣]

وقد أقام بمكة عاماً كاملاً ثم توجه بعده بالهدية المشار إليها إلى القاهرة، وقد اشتغل أثناء تواجده بالقاهرة بالسماع على السخاوي (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ثم توجه بعدها عائداً إلى بلاد الهند.[٤]

وقد عرف عن السلطان محمود بيكرو محبته للعلم والعلماء، وإكرامه لهم وتقريبهم إليه، لذا اجتمع في بلاطه كثير من علماء الهند والعرب والعجم، واشتهرت كجرات في عهده بدراسة الحديث النبوي الشريف، كما صنف له بعض العلماء كثير من الكتب في شتى مجالات العلوم، وترجمة له أحد العلماء «تاريخ ابن خلكان» (ت. ٦٨١هـ/١٠٨٩م) الموسوم بـ «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» إلى اللغة الفارسية.[٥]

١٢١٥، ١٢٩٣، ١٥٣٧-١٥٣٨، ١٥٦١، ١٧٥٢، ١٧٨١، ١٩٩٨. - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص ١٤، ص ١٢٥-١٣١ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٣.

(١) الندوي، المرجع السابق، ج٣، ص ١٨.

(٢) إسماعيل العربي، الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، ص ٦٢.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، مج٣، ج٦، ص ٧٢-٧٣ - بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٠١.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، مج٣، ج٦، ص ٧٣.

(٥) النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٥.

ومن كبار العلماء الذين نالوا رعاية وإنعام السلطان محمود بيكرو الشيخ «عثمان الحسيني الكجراتي»، وكان أحد المشايخ الصوفية المشاهير بأرض كجرات، وهو الذي أنشأ قرية «عثمان بور»، وهي إحدى قرى مدينة أحمد آباد الكجراتية، وسكن بها وأنشأها مدرسة عرفت باسم مدرسة «عثمان بور» وذلك في عام ٨٦٣هـ/١٤٥٩م، وكان السلطان محمود بيكرو يعظمه ويحسن الظن به، وكان كثير التردد إليه، كما أن السلطان محمود أوقف للمدرسة تلك الأراضي، وأهداها مجموعة كبيرة من الكتب العلمية، وظل الشيخ عثمان الحسيني الكجراتي يحظى بالإكرام والإنعام هو وأهله وعشيرته وتابعيهم، وقد توفي في جمادى الأولى من عام ٨٦٣هـ/١٤٥٩م.[1]

وفي عام ٩١٦هـ/١٥١٠م توجه السلطان محمود بيكرو صوب مدينة نهروالة الكجراتية وأنعم على سكانها من العلماء والصالحين والفقراء، ثم ركب لزيارة أضرحة المشايخ، وكان قد أنشأ لنفسه مقبرة، فذهب إليها وفتحها، وجلس على القبر وقال: «اللهم هنا أول منازل الآخرة، فسهله لي واجعله من رياض الجنة» ثم ملأه فضة، وتصدق بها على المحتاجين، وقد توفي في يوم الإثنين الثاني من شهر رمضان من سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، بعد أن حكم ما يقرب من الخمسة وخمسين عاماً.[2]

وقد خلفه في الحكم ولده السلطان مظفر الثاني بن محمود بيكرو (٩١٧-٩٣٢هـ)/(١٥١١-١٥٢٥م) وعرف بـ «مظفر الحليم» لما عُرف به من التقوى والتسامح، وكان والده قد عني بتربيته على يد العلماء والمشايخ، ووكل به للعلامة محي الدين الإيجي[3]، حتى صار من حفاظ القرآن الكريم، ومن المحدثين الفقهاء، كما كان السلطان «مظفر الحليم» عارفاً بالموسيقى، وملماً بالفنون الحربية، وكان ذا مهارة في الخط بجميع أنواعه، وقد كتب مصحفين بيده وأرسلهما إلى الحرمين الشريفين.[4]

---

(١) أحمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص١٨٨ - الندوي، نزهة الخواطر، ج٣، ص٩٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج٤، ج٨، ص٧٤ - الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٠٩-١١٠ - النمر، المرجع السابق، ص١٥٦.

(٣) من العلماء المشهورين في علم الحديث، لقبه السلطان محمود بيكرو بـ "رشيد الملك"، ولما تولى مظفر الحكم قدمه على جميع الأمراء وجعله وزيراً له سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، واستمر وزيراً ما يقرب من الأربعة عشر عاماً - أنظر: النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٧.

(٤) النمر، المرجع السابق، ص١٥٧.

وكان السلطان مظفر الحليم قد أنشأ بمكة المكرمة رباطاً ومدرسة وسبيلاً[1] للماء وجعل لها وقفاً يُرسل إلى مكة، ينفق منه على المدرسين والطلبة ومن يقيم بالرباط.[2]

وعندما مرض السلطان مظفر الحليم وشعر بدنو أجله جمع لديه كثير من العلماء والصوفية وأخذ يتحدث معهم، ويذكر لهم ما من الله به عليه منّ حفظ للقرآن والحديث، فقال: «ما من حديث رويته عن أستاذي «مجد الدين الإيجي».. إلا وأحفظه وأسنده وأعرف حال راويه، وما من آية إلا وقد منّ الله عليّ بحفظها، وفهم تأويلها، وأسباب نزولها وعلم قراءتها، وأما الفقه فقد عرفت منه ما أرجو به أن أكون من قال فيهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[3].. ثم أخذ يكثر من التصدق وزيارة الأولياء، حتى توفي سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٥م.[4]

وهكذا أرجو أن أكون قد وفقت في عرض بعض مظاهر الاهتمام والحفاوة بالعلم والعلماء، والتي أبداها ملوك وسلاطين الدويلات المستقلة ببلاد الهند في سبيل النهوض بالحياة الثقافية والعلمية في ممالكهم ورعاية وتشجيع العلم والعلماء من مختلف أرجاء العالم الإسلامي في شتى مجالات العلم والمعرفة.

---

(١) السبيل = ظهرت كلمة سبيل بمعنى عين الماء وما لحقها من مصطلح معماري في الفترة المملوكية والتي تبلورت عن فكرة عمل الخير في سبيل الله، والسبيل أحد المنشآت المعمارية التي بنيت بغرض توفير المياه لعابري السبيل، وهو عبارة عن حوض للتسبيل لتخزين المياه وكان يقع تحت الأرض وكان يُطلق عليه "الصهريج" وفي الغالب كان مثلث أو مربع الشكل مغطى بقبة وكان في بداية الأمر ملحقاً بالمسجد في أحد أركانه وفي الغالب كان يعلوه مكان لتحفيظ الأطفال القرآن يُعرف بالمكتب أو الكتّاب وبخاصة في عصر دولة المماليك الجراكسة، ثم أصبحت هذه الأبنية منفصلة فيما بعد كما هو الحال في سبيل عبد الرحمن كتخدا - للاستزادة حول الشكل العام للسبيل، وسمات واجهاته، ودوره الوظيفي، والقائمين عليه، مراجعة - علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء، الطبعة الثانية، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، (١٤٢٥-١٤٢٦هـ)/(٢٠٠٤-٢٠٠٥م)، ج٦، ص١٦٦-١٦٧ - حسني محمد نويصر، العمارة الإسلامية في مصر (عصر الأيوبيين والمماليك)، زهراء الشرق (د.ت)، ص١٨٨-١٩٥ - محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، مجلدان، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ديسمبر ١٩٧٩م، ص٢٩٥-٣٠٥.

(٢) النمر، المرجع نفسه، ص ١٥٩.

(٣) حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - رواه البخاري.

(٤) الهروي، طبقات أكبري، ج٣، ص ١٢٢ - النمر، تاريخ الإسلام في الهند، ص ١٥٩-١٦٠.

الخاتمة

الخاتمة

وهكذا أوضحت هذه الدراسة كيف أن بلاد الهند لم تكن فحسب ميداناً شاسعاً من ميادين الجهاد السياسي والعسكري في سبيل نشر الدين الإسلامي وإرساء قواعد دولته في هذا الجزء من العالم، بل كانت كذلك مسرحاً لحركة ثقافية وعلمية إسلامية نشطة، نالت بفضلها بلاد الهند شرف أن تكون البوتقة التي حفظت تراثاً ثقافياً وعلمياً إسلامياً عريقاً، أوشك أن يفنى ويندثر إثر اجتياحين مدمرين لجحافل المغول، أولهما كان على يد جنكيزخان (٦٠٣ - ٦٢٤هـ)/(١٢٠٦- ١٢٢٧م) ثم هولاكوخان (٦٥٤- ٦٦٣هـ)/(١٢٥٦- ١٢٦٥م)، أما ثانيهما فكان الاجتياح التيموري في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين (أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلاديين)، وهما اللذين خلفا ورائهما دماراً واسع النطاق، أصاب مختلف جوانب الحياة في المناطق التي اجتاحوها، وعلى الأخص الجانب الحضاري، حيث أحدث المغول دماراً شاملاً بدور العلم، واضطهدوا العلماء وبطشوا بكثير منهم، وسعوا في تدمير ما وصلت إليه أيديهم من كتب ومخطوطات، اللهم إلا ما أمكن إنقاذه منها على يد من نجح في الفرار من بطشهم من علماء تلك المناطق وصلحائها، اللذين توجه عدد كبير منهم صوب بلاد الهند التي شكلت واحة للأمن والأمان من بطش المغول .

وبصفة عامة فقد خلصت هذة الدراسة إلى مجموعة من النتائج أمكن إيجازها في النقاط التالية :-

(١) كان للحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في الفترة الزمنية موضوع الدراسة طابعاً مميزاً، شكل مزيجاً فريداً من أنماط بشرية وثقافية متعددة، استطاعت أن تتفاعل مع بعضها البعض في بيئة طبيعية وسياسية أشد تميزاً وتفرداً، لتنتج هذه الثقافة الهندية المركبة، التي غذتها مجموعة من الروافد البشرية التي استمرت في التوافد على تلك البلاد، حاملة معها نتاج ثقافات متعددة وحضارات متنوعة، الأمر الذي أهل بلاد الهند كي تحتل مكاناً رائداً في التاريخ الثقافي والعلمي للعالم الإسلامي ككل.

(٢) برغم غلبة العنصر الفارسي والتركي على الموجات البشرية التي وفدت على بلاد الهند على امتداد تاريخها الإسلامي، مقارنة بالعنصر العربي، الأمر الذي أدى بالتبعية إلى غلبة اللغة الفارسية وسيطرتها تدريجياً على النواحي السياسية ثم الثقافية والعلمية فيما بعد، إلا أن اللغة العربية ظلت لها تلك المكانة السامية في نفوس مسلمي الهند حكاماً وأرباب أقلام وعامة، وكيف لا وهي لغة القرآن والحديث وعلومهما، دون إغفال ذكر أنها لسان الخلافة العباسية ذات المكانة السامية لدى حكام الهند ورعيتهم على حد سواء ، فكانت اللغة التي سادت في سك العملة سواءً في سلطنة دهلي، أو في الدويلات الإسلامية التي استقلت عنها .

(٣) أظهرت الدراسة أن برغم محاولات الفكر الشيعي المستمرة للانتشار واكتساب أرض جديدة له في بلاد الهند منذ فترة مبكرة من تاريخها الاسلامي، إلا أن تلك المحاولات باء معظمها بالفشل بفضل جهود سلاطين دهلي (السنيون على المذهب الحنفي) وسلاطين الدويلات الإسلامية المستقلة في درأ خطرهم ومحاربة أفكارهم، وأن هذا الفكر وإن كان صادفه أحياناً بعض النجاح، إلا أنه كان نجاحاً مؤقتاً وفي مناطق تبعد عن دهلي حاضرة السلطنة، وأن الانتشار الحقيقي للفكر الشيعي في بلاد الهند جاء في عصر الامبراطورية الاسلامية المغولية في بلاد الهند (٩٣٢-١٢٧٤هـ)/(١٥٢٦-١٨٥٨م)، التي فتحت الباب على مصراعيه أمام غزو الفكر الشيعي ليتغلغل في بلاد الهند دون أي عائق .

(٤) ألقت هذه الدراسة الضوء على تأثير العقيدة الاسلامية الذي أصبح ظاهراً جلياً على الأفكار والمعتقدات الهندوسية، وكيف استطاعت العقيدة الاسلامية أن تفرض تأثيراً قوياً على صلب المبادئ الهندوسية، وأن تتغلغل في عمق أفكار القائمين عليها، لتجبرهم على إعادة إعمال العقل في الكثير من تلك المبادئ، وظهرت تبعاً لذلك عدداً من التيارات الإصلاحية بزعامة عدد من إصلاحيي الهندوس (رامانوجا، كابير، ناناك) هدفت إلى إصلاح المبادئ الهندوسية وتنقيتها من كثير من الأساطير والخرافات، بل وحاولت التوفيق بينها وبين العقيدة الاسلامية .

(٥) أوضحت الدراسة أن النزعات الانفصالية والاستقلالية الدائمة لمختلف أقاليم بلاد

الهند، والتي أدت إلى قيام عدد من الدويلات الاسلامية المستقلة عن سلطنة دهلي، كان لها تأثيراً إيجابياً على ازدهار الحياة الثقافية والعلمية بصفة عامة، حيث لم تكن روح المنافسة بين حكام تلك الدويلات قاصرة على الجانب السياسي والعسكري فحسب، بل كانت في المجال الثقافي والعلمي أيضاً، فنجد سلاطين تلك الدويلات يتبارون في استدعاء العلماء والفضلاء من شتى أرجاء العالم الاسلامي ويولونهم كل رعاية واهتمام، من أجل تحفيزهم على بذل المزيد من العطاء في مجالات العلوم المختلفة، كما تجاوز اهتمام سلاطين تلك الدويلات بالعلوم والثقافة الاسلامية حدود ممالكهم إلى مناطق عدة في العالم الإسلامي، فسعوا إلى إنشاء المدارس والرباطات في مكة المكرمة والمدينة النبوية، إضافة إلى صدقات هائلة كانت ترسل للإنفاق على طلاب العلم من المجاورين بالحرمين الشريفين .

(٦) أكدت الدراسة أنه في الفترة الزمنية موضوع البحث كانت البراعة والإلمام بعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والبلاغة والمنطق والكلام والتصوف هي معيار الفضيلة ورمز العلم، وكل علم من هذه العلوم كانت له كتبه ومصنفاته الشهيرة التي كان على طلاب العلم أن يقرأوها ويتدارسونها ويحفظونها .

- ففي مجال التفسير راجت دراسة كتب «الكشاف عن حقائق التنزيل «للزمخشري (ت . ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، وكذلك «تفسير البيضاوي «(ت . ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) .
- أما في مجال الحديث فقد حظي كتاب «مشارق الأنوار «للصغاني (٦٥٠هـ /١٢٥٣م) باهتمام بالغ من طلاب علم الحديث في بلاد الهند .
- وفي الفقه راجت كُتب «الهداية «للمرغيناني (ت. ٥٩٣هـ/١١٩٧م) وشروحها.
- وفي أصول الفقه راجت كتب «الحسامي «، و» منار الأنوار «للنسفي (ت. ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) وشروحه، وكذلك «أصول البزدوي «(ت. ٤٨٢هـ/١٠٨٩م).
- أما في النحو والبلاغة، فقد راجت كتب «المصباح» و «الكافية» لابن الحاجب (ت. ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، و» لب الألباب «للقاضي البيضاوي، وكذلك «الإرشاد في النحو «للشيخ شهاب الدين عمر الدولت آبادي الدهلوي (ت. ٨٤٩هـ/١٤٤٤م) .

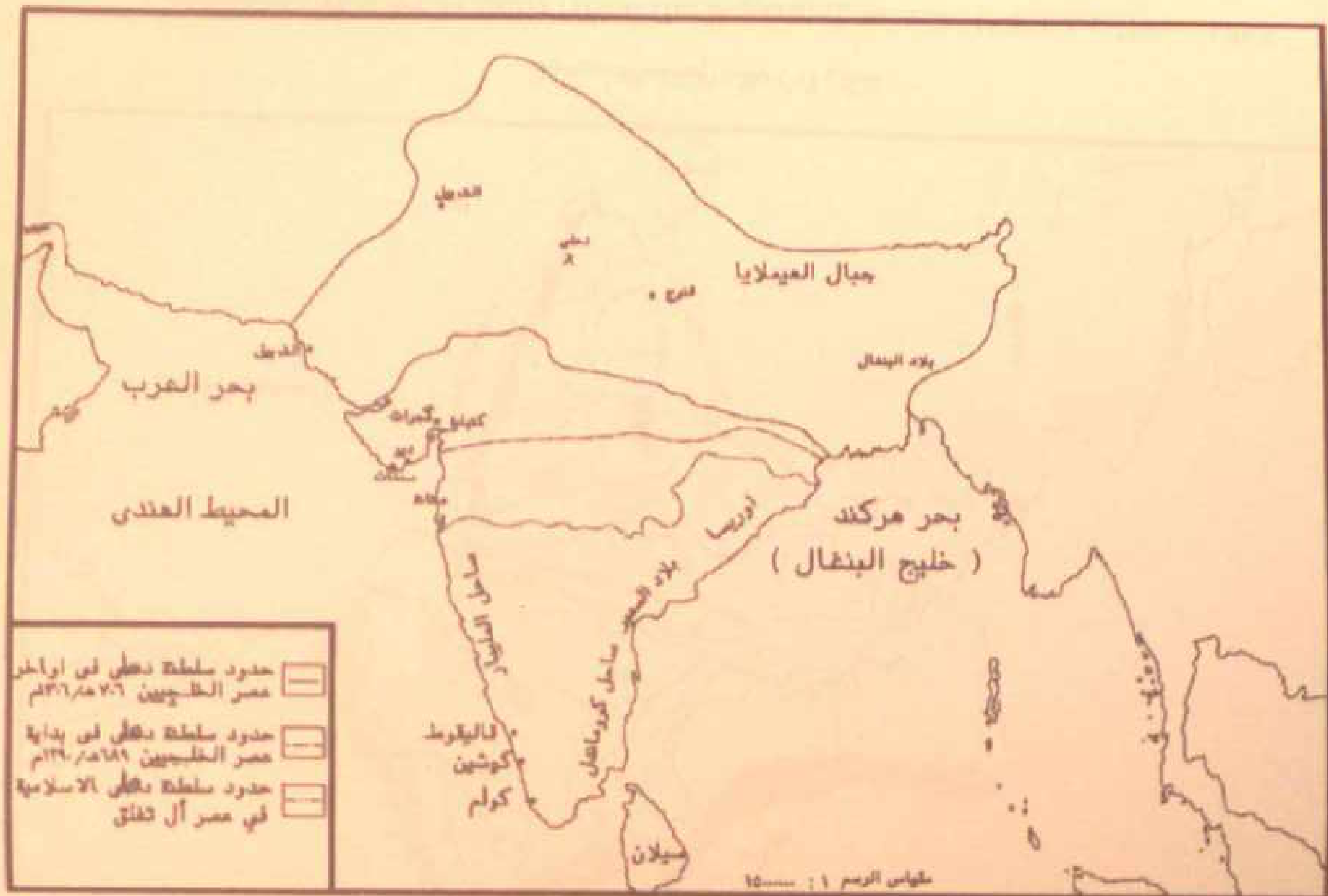
كما أظهرت الدراسة أن علماء الهند لم يكتفوا بتلقي العلوم من تلك المصنفات الكبرى فحسب، بل كانت لهم إسهاماتهم القيمة في مختلف مجالات العلوم من التفسير والحديث والفقه والأصول والشعر والأدب والتاريخ والطب فصنفوا مؤلفات جليلة، إضافة إلى ما وضعوه من شروح على أمهات الكتب في تلك العلوم .

الملاحـــق



شكل (١) بلاد الهند الطبيعية

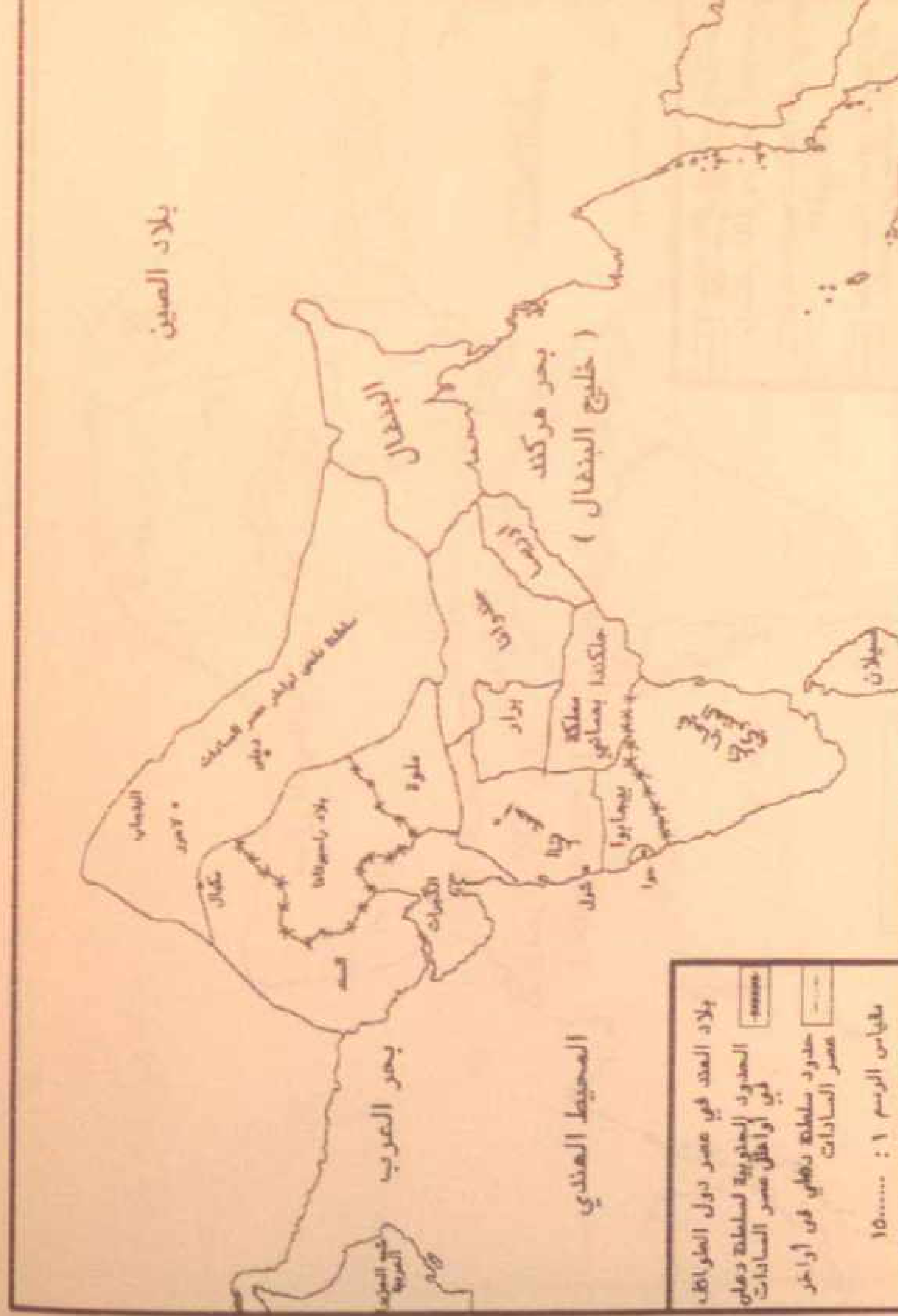
Longman's, History of India (from the Beginning to A.D. 1526), La Hove, 1958



شكل (٢) الهند الإسلامية في عصر الخلجيين وآل تغلق حتى الغزو التيموري
بالاسترشاد بـ: حسين مؤنس - أطلس التاريخ الإسلامي.



شكل (٣) سلطنة دهلي الإسلامية في عصر سلاطين أسرة لودهي ومملكة بهماني الدكنية
بالاسترشاد بـ: حسين مؤنس - أطلس التاريخ الإسلامي.



شكل (٤) بلاد الهند في عصر دول الطوائف
بالاسترشاد بـ: حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- أبو الفداء:

- عماد الدين إسماعيل صاحب حماة (ت. ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م) .

١- المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨م .

- ابن أبي الوفاء القرشي:

- محيي الدين أبي محمد عبد القادر (ت. ٧٧٥هـ/١٣٣٤م) .

٢- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية، دار هجر، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

- ابن الأثير :

- عز الدين أبي الحسن علي بن محمد (ت. ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).

٣- الكامل في التاريخ، طبعة القاهرة ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م) .

- الإدريسي:

- محمد بن محمد بن عبد الله الشريف (ت. ٥٦٠ هـ/ ١١٦٥م) .

٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٩م .

- الأدنروي:

- أحمد بن محمد (من علماء القرن الحادي عشر الهجري) .

٥- طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

- الاصطخري:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت. ٣٣٩هـ/٩٥٠هـ) .

٦- المسالك والممالك، ليدن ١٩٢٧م .

• ابن إياس:

– محمد بن محمد بن إياس الحنفي (ت. ٩٣٠ هـ/١٥٢٣م) .

٧– بدائع الزهور في وقائع الدهور، خمس أجزاء، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٢– ١٩٨٤م .

• ابن أيبك الدوادار:

– أبي بكر بن عبد الله (ت. ٧٣٦ هـ/١٣٣٥م) .

٨– كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٩، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: بيرند راتكه، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

• با مخرمة:

– أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت. ٩٤٧هـ/١٥٤٠م) .

٩– تاريخ ثغر عدن، جزئين في مجلد، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤١١هـ/١٩٩١م .

• ابن بطوطة:

– محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت. ٧٧٩هـ/١٣٣٧م) .

١٠– تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، ط بيروت (د.ت).

• البلاذري:

– الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت. ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

١١– فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع و عمر أنيس الطباع، ط بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م.

• بيبرس الدوادار:

– الأمير ركن الدين بيبرس الخطائي المنصوري (ت. ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) .

١٢– زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (عصر سلاطين المماليك)، تحقيق: زبيدة محمد عطا، ط القاهرة ٢٠٠١م .

• البيروني:

– أبو الريحان محمد بن أحمد (ت. ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) .

١٣– تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

• ابن البيطار:

– ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (ت. ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

١٤– الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، أربع أجزاء في مجلدين، ط بغداد ١٢٩١هـ/١٨٧٤م .

• ابن تغري بردي:

– جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت. ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) .

١٥– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزء، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٦– حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، جزئين، الطبعة الأولى، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

• التفتازاني:

– سعد الدين مسعود بن عمر (ت. ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م) .

١٧– تهذيب المنطق والكلام، نسخة مصورة عن الطبعة الصادرة عن مطبعة السعادة، القاهرة ١٩١٢م .

• التقي الغزي:

– تقي الدين عبد القادر التميمي الداري (ت. ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م) .

١٨– الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، القاهرة ١٩٧٠م.

• ابن الجزري:

– الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت.٨٣٣هـ/١٤٣٠م)

١٩– النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة: علي محمد الضباع، طبع دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) .

• الجوهري:

– أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الإمام (ت. ٣٩٣هـ/٩٨٤م) .

٢٠– تاج اللغة وصحاح العربية، طبع دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

حاجي خليفة (ت. ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) .

٢١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدين،طبعة دار التراث، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٩م .

ابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

٢٢- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ٨ أجزاء في ٥ مجلدات، الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٢٣- تهذيب التهذيب، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

٢٤- الذيل على الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٥- توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس (في مناقب الإمام الشافعي)، تحقيق: أبو الفدا عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٢٦- النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير، جزئين، الطبعة الثالثة، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت. ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .

٢٧- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ٣ أجزاء، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٧٦م، ١٩٨٢م، ١٩٨٦م .

• الحميري:

- محمد بن عبد المنعم (ت. ٨٩٩هـ/١٤٩٤م) .

٢٨- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٠م .

• ابن حوقل:

- أبو القاسم محمد (ت. ٣٦٧هـ/٩٧٧ م) .

٢٩- المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، ليدن ١٨٧٣م .

• ابن خرداذبة:

- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت. ٣٠٠هـ/٩١٢م) .

٣٠ - المسالك والممالك، ليدن ١٨٨٩م .

• الخزرجي :

- الشيخ علي بن الحسن (ت. ٨١٢هـ/١٤١٠م) .

٣١- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمنية، الطبعة الثانية، صنعاء ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

• ابن خلدون:

- عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .

٣٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر، سبع مجلدات، طبعة بيروت ١٩٧٨م .

ابن خلكان (ت. ٦٨١هـ/١٠٨٩م)

٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ٧ أجزاء، دار صادر، بيروت ١٩٧١م .

داود بن عمر الأنطاكي:(ت. ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) .

٣٤- تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، الطبعة الأخيرة، القاهرة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

• ابن دقماق:

- إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت. ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) .

٣٥- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ٥ أجزاء، الجزء (٤، ٥) في مجلد، الطبعة الأولى، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م .

• الدمشقي:

- أبي الفضل جعفر بن علي (ت بعد . ٥٧٠هـ/١١٧٤م) .

٣٦- الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: الشوربجي، طبعة القاهرة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م .

• الدمشقي (شيخ الربوة):

- شمس الدين الصوفي (ت. ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) .

٣٧- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط بيروت (د.ت) .

• الذهبي:

- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٦م).

٣٨- العبر في خبر من غبر، ٤ أجزاء، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

• الرازي:
- محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر ( ).
٣٩- مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٧م .

• ابن الزيات:
- شمس الدين أبو عبد الله (ت. ٧٨٤هـ/١٩١١م) .
٤٠- الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى، ط القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

• السخاوي:
- شمس الدين محمد عبد الرحمن (ت. ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .
٤١- التحفة الطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بنشره: أسعد طرابزوني، ٣أجزاء، دار نشر الثقافة، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٤٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء في ٦ مجلدات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

• بن الوردي:
- سراج الدين بن حفص عمر (ت. ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) .
٤٣- تاريخ بن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر)، ط القاهرة ، ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.

سليمان التاجر، وأبي يزيد السيرافي:(ت. القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) .
٤٤- أخبارالصين والهند، تخقيق: يوسف الشاروني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

• السمعاني:
- أبو سعيد عبد الكريم محمد بن أبي أبي منصور التميمي (ت.٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)
٤٥- الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ٥ مجلدات، الطبعة الأولى، دار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

السيوطي:
- جلال الدين عبد الرحمن (ت. ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٤٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزئين في مجلد، تصحيح: محمد أمين الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .
٤٧- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزئين في مجلد، ط القاهرة (د.ت).

• ابن شاكر الكتبي:
- محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت. ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).
٤٨- فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

• ابن شاهين الظاهري:
- غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت. ٨٧٢هـ/١٤٦٧م).
٤٩- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، ط باريس ١٨٩٤م .
٥٠- نيل الأمل في ذيل الدول، مخطوطة مكتبة بودليان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٨ أقسام- جزئين - ٨ مجلدات، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .

الشريف الجرجاني (ت. ٨١٦هـ/ ١٤١٣م).
٥١- شرح المواقف للإيجي، ٨ أجزاء، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م .

• الشهرستاني :
- أبي الفتح عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت. ٥٤٨هـ/ ١١٨٨م).
٥٢- الملل والنحل، طبع باعتناء المستشرق: كورتن، جزئين، لندن ١٨٤٢م .

• الشوكاني:
- محمد بن علي (ت. ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) .
٥٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: محمد سعيد البدري، ٤ أجزاء، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

٥٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

الصفدي:

- صلاح الدين بن أيبك (ت. ٧٦٤ هـ/١٣٦٢م) .

٥٥- الوافي بالوفيات، ٩أجزاء، الطبعة الثانية» غير منقحة»، القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ، ١٩٦٩م .

• طاش كبري زاده:

- أحمد بن مصطفى (ت. ١٠٣٠هـ/١٦٢٠م) .

٥٦- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ٣ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

الطبري (ت. ٣١٥هـ/ ٩٢٧م)

٥٧ - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمدأبو الفضل إبراهيم، ١٠ أجزاء، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

عبد القادر النعيمي الدمشقي (٩٧٨هـ/ ١٥٧٢م).

٥٨- الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهارسها: أبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

• ابن العبري:

- غريغوريوس الملطي: (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٥٩- تاريخ مختصر الدول، طبعة بيروت، ١٨٩٠م .

• العراقي:

- ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن العراقي(ت. ٨٢٦هـ/١٤٢٢م) .

٦٠- الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، ٣أقسام في ٣أجزاء، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

- ابن عربشاه: (ت. ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) .

٦١- عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

- علي مبارك (ت. ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) .

٦٢- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء، الطبعة الثانية، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، (ج١- ج ١٩ صدر سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) و (ج ٢٠ صدر سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- ابن العماد الحنبلي:(ت . ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .

٦٣- شذرات الذهب في أخبارمن ذهب، ٨ أجزاء،دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) .

• العيني:

- بدر الدين محمود (ت. ٨٥٥هـ/١٤٥١م) .

٦٤- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان «عصر سلاطين المماليك »، تحقيق: محمد محمد أمين، ج٣، ط القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

• الفاسي:

- تقي الدين الفاسي (ت. ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م).

٦٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، محمد طاهر الطناحي، محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

• ابن قاضي شهبة:

- تقي الدين أبي بكر بن أحمد (ت. ٨٧٤هـ/١٤٧٠م) .

٦٦- تاريخ ابن قاضي شهبة، ٣ أجزاء في مجلدين، تحقيق: عدنان درويش، ط دمشق ١٩٩٤م .

• القرماني:

- أحمد بن يوسف (ت. ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م).

٦٧- أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق: فهمي سعد، أحمد حطيط، ٣ مجلدات، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

• القزويني:

- زكريا بن محمد بن محمود (ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

٦٨- آثار البلاد وأخبارالعباد، دار صادر، ط بيروت (د.ت) .

• ابن قطلوبغا:

– قاسم بن عبد الله الجمالي (ت. ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) .

٦٩– تاج التراجم في طبقات الحنفية، ط ليبزج ١٨٦٢م .

• القلقشندي:

– شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت. ٨٢١هـ/١٤١١م) .

٧٠– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥م .

٧١– مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٤م – أعيد طبعه بالأوفست ١٩٨٠م .

• ابن قنفذ:

– أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت. ٨١٠هـ/١٤٠٠م)

٧٢– كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة،دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

• القنوجي:

– صديق بن حسن (ت. ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م).

٧٣– أبجد العلوم، ٣ أجزاء، تحقيق: عبد الجبار ذكار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨م .

• ابن كثير:

– عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (ت. ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .

٧٤– البداية والنهاية، ١٤جزء في ٧ مجلدات، الطبعة الخامسة، دار الحديث،القاهرة١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

• اللكنوي الهندي:

– أبي الحسن محمد عبد الحي (ت. ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م).

٧٥– الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين أبو فراس، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .

• الماوردي:

– أبو الحسن علي بن محمد حبيب (ت. ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

٧٦– الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي،الطبعة الأولى، دار ابن قتيبة، الكويت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

• المسعودي:

– أبو الحسن علي بن الحسين (ت. ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

٧٧– مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٩ أجزاء، طبعة القاهرة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

• المقدسي:

– شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد – المعروف بـ« البشاري »(ت. ٣٨٧هـ/٩٩٧م) .

٧٨– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن ١٩٠٦م .

• المقريزي:

– تقي الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد (ت. ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

٧٩– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٣ أجزاء، مطبعة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م .

٨٠– السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ أجزاء، ١٢ قسم .

– الجزئين الأول والثاني، ٣ أقسام لكل منهما، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط القاهرة ١٩٥٦– ١٩٥٨م .

– الجزئين الثالث والرابع، ٣ أقسام لكل منهما، تحقيق: سعيد عاشور، ط القاهرة ١٩٧٠– ١٩٧٣م .

٨١– درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي،٤ مجلدات، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

• المليباري:

– زين الدين بن عبد العزيز

(من علماء القرن العاشر للهجرة، فرغ من تأليفه سنة ٩٩٣ هـ/١٥٨٤ م) .

٨٢– تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين، مطبعة التاريخ، حيدر أباد الدكن، ١٩٣١م .

• ابن منظور:

– جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري (ت. ٧١١هـ/١٣١١ م).

٨٣– لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي وآخرين، ٥٥ جزء في ٦ مجلدات، ط دار المعارف، مصورة عن ط بولاق .

• الموسوي:

– محمد باقر الخوانساري الأصبهاني (فرغ من تصنيفه ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) .

٨٤– روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، ط طهران ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

• ياقوت الحموي:

– شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي (ت. ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) .

٨٥– معجم البلدان، ٨ أجزاء في ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

• اليافعي:

– الإمام أبو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان المالكي(ت. ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

٨٦– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ أجزاء، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

أحمد رجب محمد علي:

١– تاريخ وعمارة المساجد الأثرية في الهند، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

أحمد شلبي:

٢– أديان الهند الكبرى، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨١م.

أحمد فكري:

٣– مساجد القاهرة ومدارسها، جزئين، القاهرة ١٩٦٩ .

أحمد محمود الساداتي:

٤– تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٧م

أحمد مختار العبادي:

٥– في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥م .

٦– قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، ط بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

أحمد مختار العبادي ، السيد عبد العزيز سالم:

٧– تاريخ البحرية الإسلامية، القاهرة ١٩٧٣م .

أحمد محمد الجوارنة:

٨– الهند في ظل السيادة الإسلامية (دراسات تارخية)، نشر مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، اليرموك، المملكة العربية السعودية، إربد ٢٠٠٦م .

إدوارد فون زامباور:

٩– معجم أنساب الأسرات الحاكمة، أخرجه: زكي محمد حسين، طبعة بيروت ١٩٨٠م .

أرنولد (سير. ت.و):

١٠– الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية)، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد العبد و إسماعيل النحراوي، ط القاهرة ١٩٤٧م .

إسماعيل العربي:

١١– الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، طبعة الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٨٥م .

إسماعيل بن محمد أمين:

١٢– إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه: محمد شرف الدين، رفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان (د.ت) .

أطهر المباركبوري (أبو المعالي):

١٣–رجال السند والهند إلى القرن السابع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م

إقبال إشتياني:

١٤- تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، ط القاهرة ١٩٩٠م .

ألبرت حوراني:

١٥- تاريخ الشعوب العربية، الجزء الأول، ترجمة: نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب، ١٩٩٧م .

جرونيباوم (جوستاف .أ .فون):

١٦- حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق، ط القاهرة ١٩٩٧م .

جورج فضلوا حوراني:

١٧- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمة: السيد يعقوب بكر، مصر ١٩٥٨م .

جوستاف لوبون:

١٨- حضارة العرب، تعريب: عادل زعيتر، طبعة مصورة، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٩- حضارة الهند، تعريب: عادل زعيتر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٨م .

حامد زيان غانم:

٢٠- صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك (الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية)، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٨م .

حسني محمد نويصر:

٢١- العمارة الإسلامية في مصر (عصر الأيوبيين والمماليك)، زهراء الشرق (د.ت) .

حسين مؤنس:

٢٢- ابن بطوطة ورحلاته، طبعة دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٣م .

ديري . ن . ماكلين:

٢٣- الدين والمجتمع في عرب السند، طبع ليدن، ١٩٨٩م .

رجب محمد عبد الحليم:

٢٤- انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة (د.ت) .

ريتشارد بلانت:

٢٥- النقود العربية والإسلامية، ترجمة: بسام سروج، ابراهيم سروج، الطبعة الأولى، مكتبة السائح، سوريا، ١٩٩٤م .

سعيد عبد الفتاح عاشور:

٢٦- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، قسمين في مجلد، طبعة القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٩٦م.

٢٧- العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٩٤م .

سهيل عبد الغفار:

٢٨- جهود محدثي شبه القارة الهندية الباكستانية في خدمة كتب الحديث المسندة المشهورة في القرن الرابع عشر الهجري، الجامعة الاسلامية العالمية ـ إسلام أباد ـ باكستان (د.ت) .

سونيا هاو:

٢٩- في طلب التوابل، ترجمة: محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٧م .

السيد عبد العزيز سالم:

٣٠- الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، طبعة الاسكندرية ١٩٨٢م.

شوقي عبد القوي عثمان:

٣١- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، مجلة عالم المعرفة، (العدد١٥١- يوليو)، الكويت ١٩٩٠م .

صلاح عبد الحميد ريحان:

٣٢- الفتح الإسلامي لمدينة كابول (٣١- ٢٠٥هـ)، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة ٢٠٠١م .

عاصم محمد رزق:

٣٣- مراكز الصناعة في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م .

عبد الحكيم بليع:

٣٤- أدب المعتزلة إلى القرن الرابع الهجري، القاهرة ١٩٥٩م .

عبد الحي الحسني الندوي:

٣٥- الثقافة الإسلامية في الهند (عوارف المعارف)، طبع مطبعة الترقي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م .

٣٦- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر:

- الجزء الأول، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٦٦هـ/١٩٤٢م .

- الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م .

- الجزء الثالث، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٣٧١هـ/١٩٥١م .

عبد الله محمد جمال الدين:

٣٧- التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو «السند و البنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي» (١٥-٤١٦هـ)/(٦٣٦هـ/١٠٢٥م)، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١م .

عبد المنعم الحفني:

٣٨- الوسوعة الصوفية (أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية)، الطبعة الأولى، دار الرشاد، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

عبد المنعم النمر:

٣٩- تاريخ الإسلام في الهند، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٠م .

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:

٤٠- بلاد الهند في العصر الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى الغزو التيموري، القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

٤١- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي (دراسة لدول آسيا الوسطى الكومنولث الجديد في عصورها الإسلامية المزدهرة)، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

ف . هايد:

٤٢- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، ٤أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م .

فاضل أحمد الطائي:

٤٣- أعلام العرب في الكيمياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م .

كارل بروكلمان:

٤٤- تاريخ الأدب العربي، ترجمة: غريب محمود، حسن محمود إسماعيل، القسم السادس (١١-١٢) والقسم السابع (١٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م .

٤٥- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ط ٥، دارالعلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م .

كليفورد. أ. بوزورث:

٤٦- الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (دراسة في التاريخ والأنساب)، ترجمة: حسين علي اللبودي، الطبعة الثانية، مؤسسة الشراع العربي، ١٩٩٥م .

كي لسترنج:

٤٧- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس - كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

محمد جمال الدين سرور:

٤٨- دولة الظاهر بيبرس في مصر، القاهرة ١٩٦٠م .

٤٩- دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة ١٩٤٧م .

محمد عبد الغني الأشقر:

٥٠- تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة ١٩٩٩م .

محمد كبير أحمد شودري:

٥١- فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وأثارها في العقيدة (

دراسة ونقداً)، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

محمد محمد أمين ـ ليلى علي إبراهيم:

٥٢- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة ١٩٩٠م .

محمود رزق سليم:

٥٣- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

مصطفى طه بدر:

٥٤- محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدي المغول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م .

مصطفى غالب:

٥٥- أعلام الإسماعيلية، طبعة دار اليقظة العربية، بيروت ١٩٦٤م .

٥٦- تاريخ الدعوة الإسماعيلية، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥م.

ناجلا عبد النبي:

٥٧- مصر والبندقية (العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك)، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠١م .

نظام الدين أحمد بخشي الهروي:

٥٨- طبقات أكبري أو(المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني)، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م .

نعيم زكي فهمي:

٥٩- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

ثالثاً: المصادر والمراجع الفارسية

زبيد أحمد:

١- عربي أدبيات مين پاك وهند كا حصه (مساهمة پاكستان والهند في خدمة الأدب العربي، الطبعة الثالثة، إدارة ثقافت إسلاميه، لاهور، پاكستان (د . ت) .

السيد محمد ميان:

٢- علماء هند كاشندار ماضي (الماضي المجيد لعلماء الهند)، طبعة لاهور ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

ضياء الدين البرني:

٣- تاريخ فيروزشاهي، طبعة كلكته، ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م .

عبد الحق الدهلوي:

٤- أخبار الأخيار في أسرار الأبرار، طبع في دهلي، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٢م .

عبد الحميد التوني:

٥- تاريخ محمودشاهي، تحقيق: سي سي مسرة، طبعة بارودا، ١٩٨٨م.

عبد الرحمن الفرايوئي:

٦- جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، الطبعة الثانية، إدارة البحوث الإسلامية، الجامعة السلفية، بنارس، الهند ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

عبد المجيد سالك:

٧- مسلم ثقافت هندوستان مين أو (الثقافة الإسلامية في الهند)، إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور، پاكستان (د . ت) .

غلام رسول مهر:

٨- تاريخ سنده (تاريخ السند)، سندهى أولى، كراچى، پاكستان (د . ت).

غلام علي آزاد البلكرامي:

٩- سبحة المرجان في آثار هندوستان، طبعة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

فرهاد دفتري:

١٠- الإسماعيليون تاريخهم وعقايدهم،الطبعة الثانية، كامبرج ٢٠٠٧م .

محمد إسحق:

١١- علم حديث مين پاك وهند كا حصه، ترجمة: حسين الرزاقي، إدارة ثقافت إسلامي، لاهور، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م .

محمد أبو القاسم هندوشاه (فرشته):

١٢- تاريخ فرشته، جزئين، طبعة بمبئي، ١٢٤٧هـ/١٨٣٢م .

محمد سعيد ميرزا:

١٣- مذهب إسلام أور باطني تعليم (الدين الإسلامي والتعليم الباطني)، أردو بازار(د . ت) .

محمد مبارك:

١٤- سير الأولياء، طبع بدهلي ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م .

مولوي رحمن علي:

١٥- تذكرة علماء هند، ترجمة: محمد أيوب قادي، پاكستان، كراچي (د . ت) .

رابعاً: المعاجم والموسوعات والدوريات والرسائل العلمية

أ. المعاجم والموسوعات:

١- قدري قلعجي، موسوعة المورد، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨١م .

٢- يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة (د.ت).

ب. الدوريات والرسائل العلمية:

• مجلة ثقافة الهند، إصدار المجلس الهندي للعلاقات الثقافية:

٣- أيوب تاج الدين، اللغة العربية وعلماؤها في الهند، (المجلد ٤٨- العدد ١-٢)، آزان بوان، نيودلهي، الهند ١٩٩٧م .

٤- خالد الحامدي، تاريخ علوم الحديث النبوي في الهند، (المجلد ٤٧- العدد ١-٤)، آزان بوان، نيودلهي، الهند ١٩٩٦م .

٥- رشيد الدين خان، حضارة الهند المركبة،(المجلد ٤٧- العدد ١-٤)، آزان بوان، نيودلهي، الهند ١٩٩٦م .

٦- محمد مظفر، النشاط العلمي في كشمير في عصور تاريخها القديم، (المجلد ٥٠- العدد ١-٢)، آزان بوان، نيودلهي، الهند ١٩٩٩م .

٧- مشير الحق، تطور الفقه الإسلامي في شبه القارة الهندية، (المجلد ٤٩- العدد ١)، آزان بوان، نيودلهي، الهند ١٩٩٨م .

• مجلة الإنماء العربي:

٨- الشيخ طه الولي، المدينة في الإسلام، الفكر العربي، (أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٢م)، العدد (٢٩)، السنة الرابعة .

• المجلة التاريخية المصرية:

٩- أحمد مختار العبادي، دولة سلاطين المماليك في الهند (٦٠٣-٦٨٩هـ)/(١٢٠٣- ١٢٩٠م) أوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك في مصر، المجلد(١٢)، لسنة ١٩٦٤-١٩٦٥م .

• مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية:

١٠- أحمد مختار العبادي، دولة سلاطين المماليك في الهند (٦٠٣-٦٨٩هـ)/(١٢٠٣- ١٢٩٠م) أوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك في مصر، المجلد(٩)، لسنة ١٩٥٥م .

• ندوة مكة الكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية:

١١- عبد العزيز بن راشد السنيدي، المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠-٦٦٠هـ)/(١١٧٤- ١٢٦١م)، بحث مقدم إلى ندوة مكة الكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م .

١٢- محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، مجلدان، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ديسمبر ١٩٧٩م.

خامساً: المراجع الأجنبية

1- AMITESHWAR JHA: Medieval India Coinages, a Historical and Economical Prespective, MUMBAI, 2001.

2- C.RAYCHAUDHURI, KALINKAR DATTA: an advanced history of India, London 1950.

3- D.M.DUNLOP: Arab Civilization to A.D 1500, LONGMAN LIBRAIRIE DU LIBAN, LONDON 1971.

4- EDWARD WASHBURN HOPKINS: the religions of India, I volume, 2004.

5- H.G.RAWLINSON.G.I.E: India, a short cultural history, LONDON 1952.

6- J.D CUNNINGHAM: history of the Sikhs, 2nd Ed, 1953.

7- KHUSHWANT SINGH: a history of the Sikhs, 2 vol, 1963- 1966.

8- LONGMAN'S HISTORY OF INDIA, (from the beginning to A.D 1526), LAHORE, 1958.

9- M.A.MACAULIFFE: The Sikh Religion, 6 vol, 1909.

10- SACHCHIDANANDA BAHTTACHARYA, M.A, a dictionary of Indian history, university of Calcutta, 1967.

11- S.M.IKRAM: Muslim Civilization in India, Edited by: INSLIE.T.EMBREE, NEWYORK&LONDON, Columbia Univ-press, 1964.

12- SHER SINGH: philosophy of Sikhism, Lahore, 1944.

13- W.H.NCLOED: Guru Nanak and the Sikh Religion, 1968.

14- http://prabhu.com/sultanates/sul_delcat.html 14

15- http://www.rbi.org.in/currency/museum/c-medi.html

الفصل الثاني

العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في بلاد الهند في عصر سلطنة دهلي ٧٩

الفصل الثالث

مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين دهلي بالعلم والعلماء في بلاد الهند والعالم الإسلامي ١٢٩

الباب الثاني

الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الاسلامية المستقلة ببلاد الهند

الفصل الأول

قيام الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند وأثره على الحياة الثقافية والعلمية بها ١٥٧

الفصل الثاني

العلماء ودورهم في الحياة الثقافية والعلمية في الدويلات الإسلامية المستقلة ببلاد الهند ١٨١

الفصل الثالث

مظاهر اهتمام وحفاوة سلاطين الدويلات الإسلامية المستقلة